الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة-

كلية أصول الدين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

تحديات العولمة وانعكاساتها على الخطاب العقدي الإسلامي

أطروحة مقدمة لنيل شهاد ة دكتوراه علوم، تخصص عقيدة

إعداد الطالب: خير الدين شرقي

إشراف الدكتور: حسن برامة

لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ ورتبته	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د سعيد عليوان	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
د حسن برامة	مشرفا ومقررا	جامعة الامير عبد القادر قسنطينة
د فيلالي ليلى	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
أ.د حجيبة شيدخ	عضوا مناقشا	جامعة الحاج لخضر باتنة 01
أ.د سعيد رحماني	عضوا مناقشا	جامعة محمد بوضياف المسيلة
أ.د مونية زبيدة بن ميسي	عضوا مناقشا	المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحیم

الإهداء :

أهدي ثمرة جهدي هذا

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله

وكل أفراد العائلة.

إلى كل أساتذتي ومعلمي في جميع الأطوار

والي كل من علمني حرفا .

إلى الزوجة الوفية.

إلى الأحبة : عبدالمؤمن ، أميمة نور اليقين ،

محمد ، عبد الغني.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير:

اشكر الله القدير الذي بفضلهُ تتم الصالحات، وأحمده عز وجل واثني عليهُ أن وفقني في انجاز هذا البحث المتواضع.

كما أتقدم بخالص شكري إلي أستاذي الفاضل الدكتور: **حسن برامة** الذي كان لهُ الفضل الكبير في انجاز هدا العمل المتواضع فلهُ مني أعظم التقدير والامتنان والاحترام.

وكذلك الذي لهُ الفضل المشرف الأول الدكتور: **كمال جحيش** الذي ساهم في إرساء قواعد هذا العمل، فلهُ جزيل الشكر والاحترام.

هذا وأتوجهُ بشكري العميق إلى الفاضل:الدكتور العطري بن عزوز

وكل من ساهم من قريب أو بعيد في انجاز هذا البحث.

خير الدين شرقي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدّمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله نحمده ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مظل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير و أشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله صلي الله عليه وعلى آله وصحبه و من سار على نهجه إلي يوم الدين وبعد:

موضوع البحث وأهميته:

في العصور المتأخرة برزت بعض الاتجاهات المحاربة والمعادية للإسلام أمثال الشيوعية والبعثية والقومية والعلمانية والعولمة ...ونحوها.

وإذا ما لاحظنا التحديات الهائلة والعميقة التي يواجهها المتدين في عصر العولمة، و تنامي الدعوة لتوظيف المعرفة الحديثة في الدراسات الدينية، واتساع مساهمات مجموعة من المفكرين والباحثين والدارسين والخبراء بتلك العلوم في تطبيق مناهجها وأدواتها في دراسة الدين والنص والتراث الديني والتجربة الدينية، وتبلور أسئلة ملتبسة في سياق دراستهم ومن هذه الدعوات ظاهرة العولمة، فإن ظاهرة العولمة من أهم القضايا المعاصرة التي امتد تأثيرها ليشمل قطاعات واسعة جدا من أبناء المسلمين وبناتهم ، ولهذا أصبحت العولمة واقع مهيمن على حياة الناس.

ومن هنا جاءت دراسة العولمة كتحد محدق ومؤثر على المنظومة التشريعية والعقدية لنكشف عن ماهية العولمة وانعكاساتها على الخطاب العقدي.

فالعقيدة الدينية تعد الأساس الذي تقوم عليه كل ثقافة من الثقافات المعاصرة والقديمة، والدين هو أول مقوم من مقومات الثقافة،فهي تساهم في نشر ثقافة من الثقافات بغض النظر عن المسمى الذي تحمله، "كالفلسفة" و" النظام" والنظرة إلى الحياة" و" الإيديولوجيا" وبغض النظر كذلك عن كون هذه العقيدة سماوية في أصلها ثم لحقها التحريف، كاليهودية والنصرانية، أو أرضية

بشرية، كالليبرالية والعلمانية، وهذا الأمر واضح جدا عند قادة الفكر والسياسة في العالم الغربي اليوم لدرجة أن " أيوجين دوستو" مساعد وزير الخارجية الأمريكي ومستشار الرئيس الأمريكي الأسبق (جونسون) قبل أكثر من سبع وثلاثين سنة يقول بوضوح:" إن الظروف التاريخية تقول إن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي: فلسفته، عقيدته، ونظامه ... وذلك يجعلها تقف معادية للشرق الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت عكس ذلك ، فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها " ومن ثم فقد رأيت أن يكون بحثي لنيل درجة الدكتوراه الموسوم ب:" **تحديات العولمة وانعكاساتها على الخطاب العقدي الإسلامي.**

إشكالية الموضوع:

تمثل العولمة ظاهرة مركبة ومتعددة الأبعاد والغايات فهي تسعى لفرض قيم ومبادئ ونظم للمجتمعات وفق الرؤية التي تريدها العولمة لذا فإن تحديد إشكالية الموضوع من الأهمية بمكان فهي حجر الأساس في كل بحث علمي، وتحديدها بصورة علمية دقيقة كفيل بوضع البحث في إطاره المنهجي، وتتجسد المشكلة البحثية في أننا نعيش واقع تطرح فيه العولمة بكل أنماطها على المجتمعات العالمية عموما وبالأخص المجتمع الإسلامي مما يدفع إلى طرح الإشكالية الرئيسية التالية:**ماهي تحديات العولمة وكيف انعكست على الخطاب العقدي الإسلامي ؟**

وتندرج تحت هذه الاشكالية الرئيسيةعدة تساؤلات فرعية يمكن حصرها في التالي:

1. ما هي العولمة؟
2. ما هو مضمون الخطاب العقدي؟
3. ماهي انعكاسات العولمة على الخطاب العقدي الإسلامي؟
4. ماهي التحديات التي يواجهها الخطاب العقدي الإسلامي في ظل العولمة؟

5. ما هي الآليات الكفيلة بتحصين الأمة أمام مخاطر العولمة؟

اسباب اختيار الموضوع:

نظرا لأهمية الموضوع خاصة في الوقت الراهن كان لابد من دراسةالعولمة والخطاب العقدي الإسلامي لعدة اعتبارات وغايات وأسباب أهمها:

1.الاسباب الذاتية:

محاولة إقامة دراسة علمية حول موضوع العولمة والخطاب العقدي من أجل تحليل الخطاب العقدي الإسلامي وما تؤثره العولمة من تحديات وانعكاسات على هذا الأخير وإيجاد الآليات والحلول من أجل خطاب عقدي يواجه هذه التحديات، وتحديد الآليات الأنسب لبعث روح وتعاليم الإسلام السمحة لدى اتباعه و في نظر مخالفيه حتى تتبين حقيقة الروح الحضارية التي جاء بها الإسلام.

2. الاسباب الموضوعية:

الاطلاع على المستجدات الجديدة التي تواجهها الأمه الإسلامية واجب على الفرد المسلم لأداء رسالته الحضارية مع نفسه وفي أسرته وفي بيته التي يعيش فيها وفاء لواجب الأمانة للسعي لبناء مجتمع متدين متحضر يعي ماله وما عليه من أجل بناء رؤية حضارية إسلامية متكاملة في التعامل مع ظاهرة العولمة و مقاومة الغزو الفكري وتحصين الانسان المسلم ضد هذه التيارات الوافدة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تحديات العولمة وانعكاساتها على الخطاب العقدي الإسلامي من خلال مايلي:

1. التعرف على حقيقة العولمة من حيث المفهوم والمضمون و أطروحتها التي تسعى لتجسيدها.
2. تبيين حقيقة الخطاب العقدي من خلال المفهوم والمنطلق والخصائص و أهم موضوعاته .

3. ابراز انعكاسات العولمة على الخطاب في الجانب السياسي والتربوي والإعلامي والقيمي الأخلاقي وما مدى تأثر وتأثير الخطاب العقدي.
4. التطلع على التحديات الفكرية و الفلسفية والدينية المصاحبة للعولمة وانعكاسها على الخطاب العقدي.
5. تحديد الآليات الملائمة لحماية الخطاب العقدي وتفعيله أمام تحدي العولمة للنهوض الحضاري ومسايرة ومعايشة هذه التطورات.

فالأهداف السابقة كفيلة لتبرز أهمية هذه الدراسة والتي تعطي رؤية استشرافية لتجسيد المشروع الحضاري للأمة.

الدراسات السابقة:

تعتبر العولمة من أهم القضايا المستجدة على الساحة الفكرية المعاصرة، فشغلت كثيرا الباحثين وطلبة العلم، فظهرت دراسات وكتابات اهتمت بموضوع العولمة وتعددت مجالاتها وجوانبها كُلٌ يدرسها من جانب تخصصه فكانت الدراسات السياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية والاجتماعية والحضارية والتكنولوجية ومن بين الرسائل والأطروحات الجامعية ما يلي:

– عبد القادر تومي، الأسس الفلسفية للعولمة الاقتصادية، رسالة دكتوراه نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر سنة2005م.ففي هذه الدراسة تناول فيها الباحث العولمة من جانب اقتصادي والتأصيل الفلسفي.

– صورية فرج الله، الإصلاحات التربوية في الجزائر في ظل العولمة، ماجستير نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة محمد خيضر بسكرة، سنة 2006م. كان التركيز على الجانب التربوي الاصلاحي على مستوي المنظومة التربوية في الجزائر.

– حموم فريدة، الأمن الإنساني في ظل عولمة القيم، رسالة دكتوراه نوقشت بكلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، سنة 2010م.نهج الباحثة في هذه الأطروحة علي القيم والامن الانساني

– حمروني الكيسة، آثار العولمة على التربية، رسالة ماجستير نوقشت بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، سنة 2010م.كان التركيز على آثار العولمة على التربية عموما.

– وسيلة شريد،آثار العولمة على الهوية الثقافية لدول العالم الثالث، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الحقوق، جامعة يحي فارس المدية، سنة 2009م.ففي هذه الأطروحة انعكاس العولمة وآثارها على الهوية الثقافية لدول العالم الثالث.

– يسمينة حماش، إعلام العولمة وانعكاساته على الثقافة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير نوقشت بقسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، سنة 2007م. يعالج فيها الباحث العولمة من جانب إعلامي واعكاس ذلك على الثقافة الإسلامية.

– محمد جعرير، الخصوصية الثقافية والعولمة، رسالة ماجستير نوقشت بقسم الفلسفة، جامعة الجزائر (2)بوزريعة،سنة 2009م.

– بن يعقوب فازية، الخطاب الثقافي للعولمة وتأثيره على الثقافة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير نوقشت بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، سنة 2002م.تناولت خطاب العولمة وعلاقته بالثقافة العربية الإسلامية.

– نعيمة غالية، تداعيات منظومة القيم الغربية الاستشراقية على المنطقة العربية في ظل استراتيجيات العولمة الثقافية،رسالة دكتوراه نوقشت بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر،سنة 2007/2006م.تناولت المنظومة الفلسفية والفكرية الغربية على سياسات الدول العربية.

– هند مولاي، عولمة حقوق الإنسان، رسالة ماجستير نوقشت بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، سنة 2008م.

أما فيما يخص بعض المفكرين العرب و المسلمين:

1. مبارك بن نزال بن مبارك الصغيري العنزي، العولمة في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، سنة 2007م. أطروحة في نقد العولمة في ظل العقيدة الإسلامية

2. الرميح ماجد بن علي، العولمة دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الملك سعود، الرياض المملكة العربية السعودية، سنة 1422هـ.لم أطلع عليها.

3. زهير سعد عباس، ظاهرة العولمة وتأثيراتها في الثقافة العربية، رسالة ماجستير نوقشت بالأكاديمية العربية المفتوحة، كلية القانون والسياسة، الدنمارك، سنة 2008م.

وكتاب المفكر المهدي المنجرة عولمة العولمة من أجل التنوع الحضاري،والشيخ يوسف القرضاوي المسلمون والعولمة، وكتاب خطابنا الإسلامي في عصر العولمة،وعبد الوهاب المسيري في كتابه العلمانية والحداثة والعولمة.

فهذه الدراسات ودراسات أخرى تناولت العولمة كل من وجهته التخصصية : الفكرية والفلسفية والإعلامية والتربوية والأمنية والثقافية والحضاري وحاولت في هذه الدراسة أن نبين العولمة والخطاب العقدي الإسلامي ومدى خطورة العولمة على الخطاب العقدي الإسلامي فنحاول أن نبين هذا الجانب من وجهة نظر عقدية إسلامية لمواجهة تحديات العولمة وانعكاساتها على الخطاب العقدي.

المنهجية:

من أجل تحديد معالم الموضوع ووضعه في مساره الصحيح لابد من الاستعانة والاستفادة من مناهج العلوم الإنسانية وتوفير الطرق والمنهجية الكفيلة بتنظيمه وضبطه ضبطا منهجيا لذا كان حريٌّ بنا ما يلي:

1) المنهج:

اختيار منهج البحث يتحدد وفق الهدف من الموضوع، وكذلك وفق طبيعة مادته العلمية، ومن معالم المناهج المستخدمة:

- المنهج الاستقرائي في استقراء ظاهرة العولمة وما يتعلق بها من مفاهيم وكذلك استخدمت هذا المنهج عبر التطرق للخطاب العقدي.
- أما المنهج التاريخي فقد استخدم لتتبع جذور العولمة ومراحل تطورها.
- المنهج التحليلي النقدي: في تحليل تحديات العولمة وانعكاساتها على الخطاب العقدي.

وفي الأخير كانت مقترحات و حلول لحماية الفكر وتحصين الأمة وإعطاء رؤية حضارية أساسية لمواكبة هذه التطورات عبر التأثير والتأثر بماهو أحسن وأفضل وفق رؤية نهضوية لمقومات الأمة الحضارية لتستعيد مكانتها.

2) المنهجية:

1. تخريج الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية وتمييز الآيات القرآنيةبوضعها بين هلالين بهذا الشكل ﴿﴾ واعتمدت "رواية حفص عن عاصم" على النسخة الإلكترونية مصحف المدينة .
2. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة بعزرها إلى كتب الحديث، وتمييز الحديث النبوي الشريف بوضعه بين هلالين بهذا الشكل«».
3. ترجمة ما أمكن ترجمته من الأعلام المغمورين الذين لهم صلة بالبحث.
4. توثيق الكتاب بذكر المؤلف والكتاب والجزء والصفحة وباقي معلومات النشر أخرتها في الجزء المخصص لها في فهرس المصادر والمراجع.
5. الترجمة للفرق والجماعات الهامة الواردة في البحث.
6. الفهارس: تم وضع فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

وبعدها ملخص البحث بالعربية وآخر باللغة الإنجليزية.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث التي ستخدم غرض هذا البحث.

خطة الدراسة:

ولقد تم عرض مفردات هذه الدراسة وفق منهجية ورؤية واضحة وصورة شاملة لحيثيات هذه الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وهي كالأتي:

حيث تبدأ الدراسة في الفصل الأول بعرض مفهوم العولمة والأصول المعرفية فكان المبحث الأول يتناول تعريف العولمة في الجانب اللغوي وفي الفرع التالي المفهوم الاصطلاحي للعولمة وبعد ذلك العوامل المساعدة على تأسيس مضمون العولمة وفي المبحث الثاني: فهو يشمل مضمون العولمة من حيث الجذور والمصادر والوسائل.وختم الفصل بالأطروحات الفكرية والحضارية التي جاءت بها العولمة والمتمثلة في أطروحة صدام الحضارات ونهاية التاريخ والحوار بين الأديان.

أما الفصل الثاني كان بعنوان الخطاب العقدي،فالمبحث الأول تناول ماهية الخطاب العقدي من حيث تعريف كل من الخطاب والعقيدة واشتقاقات هذه الأخيرة من القرآن والسنة وختم المبحث بالمنطلقات وأسس الخطاب العقدي والمتمثلة في المنطلق النقلي والمنطلق العقلي.أما

المبحث الثاني فهو يتناول خصائص الخطاب العقدي وهي تشمل الربانية، الإنسانية، الشمول، الوسطية، الواقعية، والوضوح.والمبحث الثالث فهو يشتمل على موضوع الخطاب العقدي والذي يحوي على المحاور الكبرى للعقيدة وهي الإلهيات والنبوات والسمعيات.وأما المبحث الرابع فجاء يبين وظيفة الإنسان في هذه الحياة ويبين وظيفته الحضارية في إرساء والتأسيس للقيام بالخلافة المنوطة به ودوره في عالم الشهادة وتفاعله مع الكون والحياة وإحياء لعلاقته مع الله.

أما الفصل الثالث: فيظهر انعكاسات العولمة على الخطاب في مجالات السياسة والتربية والجانب الإعلامي وانعكاس العولمة على منظومة القيم في المجتمع.

وتناولت في الفصل الرابع: التحديات المصاحبة للعولمة التي تواجه الخطاب العقدي فكان المبحث الأول يتناول التحديات الفكرية والفلسفية والتي تشمل العلمانية والمادية والاستشراق والإلحاد.

وفي المبحث الثاني الامتداد اليهودي والمسيحي والمتمثل في التواجد اليهودي وتأثيره على العالم الإسلامي والعربي وتهويد الأقصى والتنصير وما يقوم به من إخراج وإبعاد الناس عن دينهم وكذلك التحالف بين الجانب اليهودي والبروتستانتي وهذه المؤامرة الكبرى ضد الإسلام والمسلمين ومحاولة إقصائه حضاريا. وفي المبحث الأخير من هذا الفصل نذكر تحد آخر له تأثير كبير على الخطاب العقدي والمتمثل في بعض الفرق المحسوب على الإسلام والتي هي في خدمة الامبريالية الاستعمارية والمتمثلة في القاديانية والبابية والبهائية حيث تسعى لخدمة وتطويع الدين لإرضاء هذه القوى الاستعمارية وما يتماشى وأطماعها في قهر وإذلال الأمم واستنزاف طاقاتها وكذلك فرقة عبدة الشيطان هذه الأخيرة والتي تعد امتداد للماسونية العالمية وانتشارها في أوساط الأمة وتأثير ذلك على البنية الفكرية.

وتناولت في الفصل الخامس الرؤية الاستشرافية التي يتجاوز فيها الخطاب الديني تحديات العولمة وانعكاساتها وآليات التفعيل والحماية أمام تأثيرات العولمة ليراجع منهجيته ويتحصن فكريا وحضاريا ويحدث نهضة حضارية ويستعيد مقوماته المسلوبة ويظهر ويثبت في الواجهة لذلك لابد من تفعيل أساسيات الأمن الفكري على كل المستويات وفي كل المؤسسات ليتحصن أحسن وأفضل ليثبت الهوية الحضارية للأمة ويستفيد من بعض إيجابيات العولمة ويتفادى أضرارها وسلبياتها، ولا يحدث هذا التحصين إلا بالاستثمار في الإنسان وهو ما تطرقنا له في المبحث الثاني بإعادة بناء الإنسان فكريا وحضاريا بالتمكين للروحانية ومراجعة لذات وإعادة بعث الوعي

الحقيقي وهذا لا يكون إلا وفق رؤية معرفية إسلامية في مصادرها المعرفية، وفي المنهجية السلمية بأسلمة المعارف لتحقيق الأهداف السامية وتحقيق النهوض المنشود وبذلك يتجدد الوعي وتتحدد الرؤيا وتتكامل المنظومة الحضارية للأمة للمرافعة السلمية والدفاع عن حياض الإسلام ولا يكون ذلك إلا بتجديد علم الكلام وتفعيله وفق المعطى الحاضر ليؤدي الخطاب العقدي وظيفته داخل مجتمع المسلمين وخارجه بالدعوة إلى الله.

وفي الأخير جاءت الخاتمة متضمنة لنتائج البحث التي توصلنا إليها من خلال الفصول الخمسة من الدراسة مع ذكر بعض التوصيات وأهم المقترحات.

الصعوبات:

واجهتني عدة صعوبات أثناء إنجاز هذا البحث ولعل أهمها:

1. كثرة المراجع وقلتها في آن واحد، فرغم كثرة المراجع التي تناولت هذا الموضوع إلا أنني وجدتني كأنني أمام مراجع قليلة جدا، فما يذكر في هذا المرجع يكرر في ذاك، لأن هذه المراجع تناولت المشكلة من نفس الزاوية فكأني أقرأ كتابا واحدا.
2. تشعب الموضوع وكثرة جزئياته التي لا تجتمع تحت وحدة موضوعية واحدة مما يقتضي التنقل بين موضوعات شتى، والاطلاع على خطة البحث يظهر ذلك.
3. التداخل بين أصناف المعرفة وبالتالي تتغير الأفكاروالمصطلحات بتغير العلوم والفنون.
4. عدم القدرة على الإلمام بالموضوع ومعالجة كل ما يتعلق به.

و لكني رغم هذه الصعوبات عملت جاهدا من أجل توجيه أفكاري وفق الخطة التي رسمتها، مع أن تشعب البحث أوسع في نطاق الخطة، وبفضل عون الله ثم توجيهات الأستاذ المشرف تمكنت من إنجاز هذا البحث المتواضع والذي أتمنى أن يكون جدير بالمناقشة.

الفصل الأول:العولمة البناء المفاهيمي والأصول المعرفية

- المبحث الأول:العولمة (المفهوم)
- المبحث الثاني: العولمة المضمون (الجذور،المصادر،الوسائل)
- المبحث الثالث: أطروحات العولمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: العولمة البناء المفاهيمي والأصول المعرفية.

يعد مصطلح العولمة من المصطلحات التي ظهرت في الأونة الاخيرةوكثر الحديث عنها على جميع المستويات،فقد أحدث هذا المصطلح حراكا كبيرا على جميع الاصعدة،ولعل مرد ذلك إلى أن مصطلح العولمة فرض نفسه حتى يحدث تغييرات نوعية وواسعة في كل مجالات الحياة،وهو مانحاول أن نبرزه في هذا الفصل من خلال البناء المفاهيمي والاصول المعرفية لمصطلح العولمةفي ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: العولمة (مفهوم و المضمون ...)

المطلب الأول: تعريف العولمة:

الفرع الأول: لغة:

اللغة العربية:

العولمة في اللغة العربية هي: مصدر مشتق من فعل عولم وهو فعل رباعي مجرد وليس لهذا الفعل المجرد الرباعي إلا وزن واحد، وهو فعلل مثل: بعثر، عربد، وسوس، وزلزل، غير أنّ هناك أوزانا للرباعي المجرد يقول علماء الصرف، أنها ملحقة بالوزن الأصلي فعلل، ومن أشهر الأوزان فوعل مثل: جورب، وفعول مثل: دهور، وفيعل مثل: بيطر وعليه يقول: إن المصدر عولمة هو اشتقاق صحيح من فعلً عولمٌ . والعولمة مصدرا جاءت توليد من كلمة عالم، ونفترض لها فعلا هو عولم، يعولم، عولمةَ. [1]

ويرى الدكتور إسماعيل صبري أن العولمة هي إحدى مشتقات الفعل علمٌ عالمٌ يعالمٌ عولمةٌ على وزن فوعلة ويقال فوعل الشيء، أي جعل له فاعلية وتأثيرا والعولمة لغة هي المصادر القياسية في اللغة العربية، وبالتالي

(1)فؤاد عبد الكريم،الأسرة والعولمة، مجلة البيان، العالم الإسلامي تحديات الواقع وإستراتيجية المستقبل ط1، 2006.ص 366،367.

مصطلح يسلم من النحت والتركيب، وهي هنا تنوب مناب الفعل فيكون معناها أداء الفعل الذي مادته الجذر اللغوي الذي هو العالم هنا وبذلك يكون معنى العولمة لغة جعل الشيء عالميا أو على مستوى العالم. (1)

وذهب المفكر أحمد صدقي الدجاني أنّ العولمة مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل واستخدام ، أي أن العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم.

وقد قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة إجازة استعمال العولمة، بمعنى جعل الشيء عالميا والعولمة ترجة لكلمة(mondilistion) الفرنسية، بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي.

وجاء في معجم العالم ويبستر(Webster) أنّ العولمة(Globolisation) هي حمل الشيء طابع العالمية وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميا(2).

فالعولمة من الناحية اللغوية تعني: الحمل أو الإجبار أو الإكراه على العالمية فهي على وزن الأسلمة، أي الحمل على الإسلام أو الكثلكة يعني حمل الناس على الكاثولوكة أو القولية، أي إجبار على التقولب جاهزة. (3)

وكلمة العولمة لها ماشابهها من زاوية الصيغة الصرفية في اللغة العربية يقول المحدثين قولية، حوسية، عورية، غورية. والعولمة لغويا هي تعميم الشيء إلى أبعد صد ممكن، وتطبيعه على أوسع نطاق، أو هي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله. (4)

ويرى عبد الصبور شاهين في كتابه نحن والعولمة : أنّ العولمة فعلا من (عولم، يعولم، عولمة) بطريقة التوليد القياسي ومصدرها الصناعي العولمة. (5)

(1)إسماعيل صبري عبد الله، الكوكبة، الرأسمالية في مرحلة ما بعد الامبريالية في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي، سلسلة كتب المستقبل العربي العدد: 16 مركز الدراسات الوحدة العربية ، ص44.

(2)صالح الرقيب، العولمة، الجامعة الإسلامية، ط1، 2003، ص ص 4 ،5.

(3)فؤاد البنا، العالم الإسلامي بين التخلف ورياح العولمة،ط1، 2006،دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ،مصر،ص 231، 237.

(4)محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات، رحلة المستقبل العربي، 22فيفري 1998،ص 16.

(5)عبد الصبور شاهين، نحن والعولمة ، من يزل الآخر، وزارة المعارف، الرياض ، ص37.

العولمة في اللغات الأجنبية:

أما الأصول اللغوية لمصطلح العولمة في اللغات الأجنبية فإنها في اللغة الفرنسية تعود إلى كلمة Mondialisationsالتي تعني العالمية والمصطلح في أصله اقتصادي الجوهر ولكنه فيما بعد تعدى إلى الأنماط الأخرى من أنشطة الحياة."[1]

وهذا ما نجده عند محمد عابد الجابري، فمصطلح العولمة هو ترجمة لكلمة Mondilisationsالتي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود والمراقب إلى اللامحدود والمقصود به العالم. [2]

أما أن العولمة مصطلح جديد يعني العالمية أي الكونية وهي مرادفة للكلمة الإنجليزية Global أوUniversal. هذا المصطلح ترجمة إسماعيل صبري عبد الله. [3]

أما موسوعة Worldenglishdictionary والتي يشرف عليها الدكتور أنسرخانوف فورد فيها مايلي: إنّ العولمة هي العملية التي يتخذ فيها الاقتصادبعدا عالميا." [4]

أما حسن حنفي، فيقول في مفهوم العولمة اللغوي قد تم نقل لفظ Globalisationsإلى الفرنسية Mondilisationولم يكن في ذلك أي قصور في اللغة الفرنسية بل أن لفظ العولمة اشتقاق من عالم الذي تقابلهWorld وليس الكوكب الذي يقابله glob، مما جعل البعض يفصل الكوكبية على العولمة ولفظ العالم لم يرد في القرآن في حين ورد لفظ الكوكب. [5]

---

(1)دانيال ريغ، سبيل معجم (فرنسي، عربي)، مكتبة لاروس، باريس، 1983،ص 471.

(2)محمد عابد الجابري،قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، جوان 1997، ص 136.

(3)إسماعيل صبري عبد الله، مرجع سابق، ص 44.

) 4(Anne Hsoukhanou «encarka-world englishdictionarg first edition stmartin's (Newyork) 1999

(5)حسن حنفي، صادق جلال العظم ، ما العولمة، دار الفكر المعاصر، ط 1، 1999،بيروت ،لبنان ، ص 21.

فمن الناحية اللغوية وجدنا أنّ الباحثين لم يتفقوا على تعريف محدد لظاهرة العولمة، فكلمة العولمة مستخدمة حديثا بالنسبة للغرب وأيضا لم ترد في معاجم العرب ولم يدخل بعد مصطلح العولمة في القواميس ولذلك تستمر إشكالية تحديد المفهوم، فالظاهرة لها وجوه متعددة تظهر في العديد من الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مستخدمة الكثير من المشروعات والنظريات والى غير ذلك من الشعارات لها هدف يكشف عنه تعريف العولمة الاصطلاحي.وعليه فانّ التعريف اللغوي لمصطلح العولمة هو عبارة عن مفهوم نسبي للوصول إلى مدلول المصطلح وتحديد معالمه ليكون بذلك قاعدة نحاول نبني عليها المفهوم الاصطلاحي لمصطلح العولمة ، فما هو المفهوم الاصطلاحي للعولمة ؟

الفرع الثاني: المفهوم الاصطلاحي للعولمة

إنّ مفهوم العولمة لا يزال يكتنفه الغموض، وما يجب أن نقوله قبيل ضبط المفهوم الاصطلاحي للعولمة، هو أنه من الصعوبة أن نقدم تعريفا دقيقا للكلمة بالنظر إلى التحولات الحاصلة في العالم من جوانب مختلفة مثل: الكوكبة، الكونية، العصرنة ... لذا فقد تطرق الكثير من المفكرين المعاصرين العرب منهم والغربيين لهذه المسألة، ولكل منهم وجهة نظر ودلالة اصطلاحية تختلف عن الآخر أو توافقه أحيانا وهذا بحسب الموقع والإيديولوجية التي تبناها كل مفكر.

1- المفهوم الاصطلاحي للعولمة عند بعض المفكرين العرب:

فعبد المنعم حنفي يبين صياغة تعريفية للعولمة بقوله: «وفي العولمة رسملة العالم، وتتم السيطرة عليه في ظل هيمنة دول المركز، وسيادة نظام العالم الواحد، وبذلك تهاوت الدول القومية وضعفت فكرة السيادة الوطنية، وسيطرة الثقافة العالمية. ويبدو نمط العولمة الأمريكية وهو جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله من الحيز المحدود إلى آفاق غير محدودة حيث يتم تعميم نمط من الأنماط الفكرية والسياسية والاقتصادية التي تختص بها جماعة معينة من العالم كله، ويعني ذلك ضرورة تجاوز الحدود القومية» [1].

(1) عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، ط 3، 2000 م، مكتبة مدبولي، القاهرة ،ص 269، 268.

ويرى صادق جلال العظم أنّ العولمة هي: "هي حقيقة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز بقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ"[2].

أما حسن حنفي فيعرف العولمة بأنها:«مفهوم ذاع في العقد الأخير للترويج لظاهرة اقتصاد السوق الحر، بعد انهيار النظام الاشتراكي في أوربا الشرقية والاتحاد السوفياتي في العالم ذي القطب الواحد، وقد توافق مفاهيم أخرى للغرض نفسه مثل نهاية التاريخ، وصراع الحضارات ...»[3]

ويؤكد حسن حنفي في نفس الكتاب تحليله العولمة إذ يقول:"ليست العولمة مسألة فقهية تختلف حولها الآراء، بل هي مسألة صراع ومقاومة دفاع عن الاستقلال ضد التبعية".[4]

ونجد تعريف محمد عابد الجابري الذي يرى أنّ العولمة نظام يقضي على الدولة والأمن والوطن، وبالتالي فإنّه يعمل على التفتيت والتشتيت وإيقاظ أطر الانتماء إلى القبيلة والطائفة والجهة والتعصب بعد أن يعرف إرادة الدولة وهوية الوطن"[1][2].

ويرى عبد العزيز بن عثمان التويجري العولمة:" ما هي إلا صيغة جديدة عن نظرية ملء الفراغ على المسرح الدولي منذ منتصف قرن تقريبا، ثم أعيد صياغتها بما يتلاءم ومقتضيات الوضع الدولي الجديد"[3].

ولبرهان غليون منظور آخر "العولمة تعني بالضرورة الأمركة إذا فهمنا من الأمركة أرجحية المساهمة الأمريكية في الإنتاج الثقافي أو المادي المعنوي الذي يملأ الفاء العالمي الجديد الذي أنشأته ثورة المعلومات لكن لا يعني إذا فهمنا في الأمركة تحويل ثقافات الشعوب والطبقات جميعا إلى ثقافة أمريكية أو تعميم القيم الأمريكية على جميع شعوب العالم"[1].

(2) حسن حنفي، صادق جلال العظم،ما العولمة،ص 125.

(3) نفس المرجع ، ص04.

(4)حسن حنفي، صادق جلال ،نفس المرجع السابق، ص 16.

[2] محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، ص 147، 148.

[3] عبد العزيز بن عثمان التويجري، العالم الإسلامي في عصر العولمة، ط1 ،2004 م، دار الشروق ، القاهرة ،ص 16.

(1) برهان غليون، سمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة ثقافة ط2، 2002، دار الفكر، دمشق سوريا ، ص46.

ويقول الدكتور عبد الإله بلقزيز: العولمة فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات، أنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح ... فيهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلعها العولمة[2].

أما السيد ياسين فيرى:«أنّ العولمة تصف وتعرف مجموعة من العمليات التي تغطي أغلب الكوكب (الأرض) أو تشع على مستوى العالم، ومن هنا فالعولمة لها بعد مكاني لأنّ السياسة، والأنشطة الاجتماعية والسياسية الأخرى أصبحت تبسط رواقها على كل أنحاء المعمورة،ولكي نقترب من التعريف الشامل للعولمة لابد أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها:

العملية الأولى: تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس.

العملية الثانية: تتعلق بتذويب الحدود بين الدول.

العملية الثالثة: وهي زيادة معدلات التشابه بين المجتمعات والمؤسسات».[3]

ويرى عبد الوهاب المسيري:«أنّ العولمة هي تصاعد عمليات الترشيد على مستوى العالم بحيث يصبح العالم كله مادة استعماليه، ويصبح كل البشر كائنات وظيفية أحادية البعد يمكن التنبؤ بسلوكها ومن خلال تصاعد معدلات التدويل يتحول الكون بأسره إلى شيء متجانس يتسم بالواحدية الدولية لا خصوصيات له ولا ثنائيات ولا تنوع، وتتصاعد معدلات الترشيد إلى أن تصل سائر المجتمعات البشرية إلى نقطة تلاقي عندها ويسود التجانس الكامل بينها»[4]

ويقصد عبد الوهاب المسيري بتعريفه هذا للعولمة وخاصة مصطلح الترشيد هو تحويل المجتمع لحالة المصنع وإدخاله القفص الحديدي وبحيث أن العالم سيحكمه إشعاع ثلاثي: المصنع، والسوق، وأماكن الترفيه (حيث يفرغ ما فيه من طاقة وتوترات وعقد وإيجار) فهو إيقاع يستوعب كل من الإنسان الاقتصادي والإنسان

(2) عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ في كتاب العرب والعولمة ، ص 318.

(3) السيد ياسين، (في مفهوم العولمة)، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ع: 288، 1998، ص6.

(4)عبد الوهاب المسيري،العلمانية والحداثة والعولمة، ط1، 2009 م، دار الفكر، دمشق ،ص 298.

الجسماني ويشبع رغباتهم البسيطة الطبيعية أحادية البعد التي لا علاقة لها بأي تركيبة إنسانية ومنها يسيطر هذا الإيقاع الثلاثي على العالم بأسره يظهر النظام العالمي الجديد وإيديولوجية نهاية التاريخ وما بعد الحداثة.[1]

2- المفهوم الاصطلاحي للعولمة عند بعض المفكرين الغربيين: نحاول أن نقدم بعض الآراء والأطروحات التي تبناها غير المفكرين العرب في تحديد مصطلح العولمة فيعتقد انياسيورامونيه guano ramonetرئيس تحرير لوموند ديبلوماتيك بقوله:«أنّ العولمة هي سيطرة الفكر الأحادي وهدم البناء الاجتماعي أو فساد المثال الديمقراطي أو تدمير الإبداع الثقافي من خلال وحدانية السوق ومحاولات تسليح الأفكار والعباد والأشياء».[2]

ويعرفها رونالد روبرسونRonald Robertsonقائلا: «العولمة هي اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش»[3]

ويعرفها الكاتب الفرنسي دولفوسdoulfos :«بأنها تبادل شامل وإجمالي بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها وهي كظاهرة لا تخرج عن دائرة التبادلات الاقتصادية داخل الأسواق العالمية»[4].

وقد في هذا الصدد – أنتوني حيدتز تعريفا للعولمة قال فيه بأنها: «مرحلة جديدة من مراحل وتطور الحداثة تتكاثف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي حيث يحدث تلاحم غير قابل للفصل بين الداخل والخارج يتم فيها ربط المحلي والعالمي بروابط اقتصادية وثقافية وسياسية وإنسانية»[5].

(1) عبد الوهاب المسيري،العلمانية والحداثة والعولمة ، مصدرسابق، ص 296.

(2) علي حرب، حديث النهايات:فتوحات العولمة ومأزق الهوية،ط1 ،المركز الثقافي العربي،بيروت،ص 48.

(3)Ronld Robertson; Globalisation Social heory and global culture, London Sage,1992, p ;08

(4)Jean-Pierre Warine, La mondialisation de la culture, Editions la découverte (Gosllectionepéres) Paris P ; 40-42.

(5)عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، عالم الفكر ع 22، 1999 ص 53.

أما هانس بيتر مارتن وهارلد شومان صاحبا كتاب (فخ العولمة) أنّ العولمة هي عملية الوصول بالبشرية إلى نمط وإصدار التغيير والأكل والملبس والعادات والتقاليد(6).

يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل: الاقتصاد، السياسة، الثقافة، الايدولوجيا، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج ....»(1).

أما الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي يقول عن العولمة:"أنها نظام يمكن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات الإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر وحرية السوق.

من خلال تعريف روجيه غارودي للعولمة فيرى فيها مجرد حرب مدمرة تسحق المستضعفين وتعيد تنظيم المجتمع بايديولوجيا موحدة تحددها السوق العالمية التي بدأت تتوسع وتهيمن على الدول الضعيفة وبالتالي تصبح هناك دول منتجة ودول مستهلكة ويختل التوازن العالمي وتتحكم الدول المنتجة في الدول الضعيفة الفقيرة.

ويرى فرانسيس فوكوياما: أن العولمة واعدة بالتحديث ويقدر كبير من الشفافية والانفتاح وتعليم أفضل وتقدم في الإدارة يجري تحت العالم بأسره ويضيف بأن العولمة لن تتراجع لأن الذي يدفعها هو تقدم التقنية المعلوماتية والذي لا يمكن مقاومته فالأسم التي ترفضها محكوم عليها أن تبقى متخلفة(2).

يقول فوكوياما:" إنّ الديمقراطية الليبرالية قد تشكل نقطة النهاية في التطور الإيديولوجي للإنسانية والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، وبالتالي فهي تمثل نهاية التاريخ".(3)

من خلال تعريف فوكوياما نجده يربط مابين العولمة كظاهرة اقتصادية لها خصوصياتها وأهدافها المرتبطة بأصحاب المصالح الرأسمالية ومابين التطور العلمي الحاصل في العالم وهي المعلوماتية لإعطائها الشرعية الحتمية والتطور المتواصل، وأن النظام الرأسمالي هو الطريق الوحيد نحو التقدم.

(6) هانس بيتر مارتن وهار الرشومان، فخ العولمة ص (55، 98).

(1) جيمس روزناو،ديناميكية العولمة،نحو صياغة علمية،قراءات إستراتيجية،القاهرة، ص35.

(2) باتر حمد علي وردم، العالم ليس للبيع، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط8، 2003، ص 28، 29.

(3) فرنسيس فوكوياما،نهاية التاريخ وخاتم البشر،ترجمة حسين أحمد أمين، ط3، 1993،مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر،ص9.

3- المفهوم الاصطلاحي للعولمة عند بعض الهيئات الدولية: من بين الأطروحات التي طرحتها بعض الهيئات نذكر:التعريف الذي قدمته اللجنة الأوربية للعولمة بأنها "العملية التي عن طريقها تصبح الأسواق والإنتاج في الدول المختلفة تعتمد كل منها على الأخرى بشكل متزايد بسبب ديناميكيات التجارة في السلع والخدمات وتدفق رأس المال والتكنولوجيا وهي ليست ظاهرة جديدة ولكنها استمرارية للتطورات لفترة طويلة من الزمن"[1]

والعولمة حسب تعريف صندوق النقد الدولي في تقريره هي: التوافق الاقتصادي المتنامي لمجموع بلدان العالم مدفوعا بازدياد حجم أو تنوع المبادلات العابرة للحدود والخدمات والسلع كما التدفق العالمي لرؤوس الأموال في آن مع الانتشار المتسارع الشامل للتكنولوجيا.[2]

(1) براهام طومسون: مقدمة تحديد موقع العولمة، المحلية الدولية للعلوم الاجتماعية كمصدر عن اليونسكو ع 160، جوان 1990 ص 16.

(2) مجلة علوم وتكنولوجيا، ع 49، ديسمبر 1997، ص19.

المطلب الثاني: قراءة تحليلية نقدية في التعاريف السابقة.

إن المفاهيم المتعددة المطروحة للعولمة وإن اشتركت بعض معانيها إلا أنّ الناظر إليها يرى أنها تنطلق من خلفيات ثقافية، واتجاهات سياسية، وانحياز اديولوجي لأصحابها، فهي مفاهيم ورأي تعبر عن أراء أصحابها وفق الخلفية الفكرية المسبقة لذا لم ترقى إلى تعاريف ويمكن تسجيل النقاط النقدية والتقييمية الآتية:

1- يرى بعض الباحثين أنّ مصطلح العولمة مازال يكتنفه الغموض في ذهن بعض، بينما ينظر آخرون إليه على أنّه واجهة للهيمنة، فالعولمة هي أكثر من مجرد علاقات بين دول وأخريات، وهي ليست حالة ثابتة تختص بتنافس الدول الكبرى، وثانية تختص بالإبداع والانتشار التقني وثالثة تختص بالإنتاج، فهي رؤية عامة تدخل في نطاقها جميع المتغيرات السياسية والثقافية والاقتصادية التي يعيشها العالم منذ مطلع التسعينات، فالوعي بطبيعة المرحلة التاريخية التي تبلورت فيها فكرة العولمة أو نظام العولمة يفتح أمامنا السبيل إلى تحديد المعالم الرئيسية لما يمكن أن نسميه هوية العولمة[3].

2-إن كثيرا من الباحثين يرون أن ما يسمى بالعولمة ينبغي أن يسمى (أمركة) حيث أن الذي يسيطر على قرارات المنظمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الدولية هو الولايات المتحدة الأمريكية، هي الأقوى والأسرع انتشارا في العالم وهذا كله يعطي المسوغ لهذا الرأي. لكن الموضوع يحتاج إلى نظرة أكثر عمقا وأكثر اتزانا، فنحن نعتقد أن العولمة ظاهرة مستقلة لها آلياتها الخاصة، وانحطاط أمريكا واليابان، أو تقلص نفوذها لن يلغي العولمة، وإنما قد يعبر في بعض ملامحها.[4]

3-نظرت كثير من التعريفات للعولمة أنها يقدر ما هي مظهرا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا، فهي كلك تمثل هيمنة ثقافية وفكرية لنموذج مدني تحاول أن تفرزه الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، كما يرى السيد ولدياه : أن مفهوم العولمة الذي يتكاثر الحديث حوله مليا في المرحلة الحالية ننظر إليه في دائرتنا العربية الإسلامية على استفراد القوى الغربية والولايات المتحدة على الخصوص بمقدرات ومصالح

(3) رحيمة الطيب عيساني، العولمة الإعلامية، ط1 ، 2010 م ، دارالفكر الحديث ،الأردن ،ص28.

(4) عبد الكريم بكار، العولمة (طبيعتها، وسائلها تحدياتها التعامل معها)، ص 21.

المعمورة من أجل تكريس نموذجي أحادي مهما نتجت عنه هواجس الخطر على الذات الحضارية والهوية الثقافية المغايرة، في وقت تبدو فيه انتكاسة المشروع النهضوي للأمة أمرا جليا.[1]

4-تظهر الآراء متضاربة حول مفهوم العولمة، ويتخوف الباحثون حتى في الآفاق المستقبلية للظاهرة، وهو الأمر الذي زرع الريبة والخوف من مآل الظاهرة ونتائجها على البلدان المتطورة، والمجتمعات النامية معا، ذلك أن ملامح المستقبل غير جلية كما يؤكد ذلك ألكسندر كينغ (أحد مؤسسي نادب روما) قائلا: أننا وسط مخاطي طويل وشاق وسيؤدي بشكل أو بآخر إلى ميلاد مجتمع معولم لا تستطيع أن تتكهن الآن بهيكلته المحتملة.[2]

ولذلك يرى بعض الباحثين لكي نقترب من صياغة تعريف شامل للعولمة فلا بد أن نضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها:

الأولى: تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح متاحة لجميع الناس.

الثانية: وتتعلق بتذويب وإزالة الحدود بين الدول.

الثالثة: زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات.[3]

(1) السيد ولد أباه، العولمة والاقتصاد في النظرية الاختزالية للإسلام، جريدة الاتحاد 1997/05/17م ص22.

(2) الحبيب الجنحاني، ظاهرة العولمة، الواقع والآفاق، مجلة علم الفكر، م28، ع2، 1998، ص11.

(3) رحيمة الطيب عيساني: العولمة الإعلامية، مرجع سابق، ص32.

المطلب الثالث: العوامل المساعدة على تأسيس مضمون مصطلح العولمة:

هناك سبعة عوامل رئيسية تفاعلت لتأسيس مضمون مصطلح العولمة، هي:

أ- الغزو والاجتياح العسكري من أجل استلاب الآخرين.

ب- التجارة والتبادل القائم بين الأفراد والشعوب والدول بعضهم بعضاً؛ بحيث ينتقل من خلالها فائض السلع، وينتقل معها وبها الفكر.

ج- الحوار والفكر وما يتيحه من وسائل للإقناع، من وسائل تدمير أي مقاومة لعملية العولمة

د- الرؤية والتصور المشترك للغد الذي تسعى العولمة لتحقيقه، القائم على تغيير طبائع البشر وتحريرهم، وتذويب الهوية القومية تدريجياً للانخراط في تيار العولمة.

هـ- الإعلام الذي استطاع معايشة الحدث حال وقوعه فعلياً ولحظياً، وأن يؤثر فينا، ويسلب حريتنا في التفكير المنظم.

و- السيطرة الحضارية بقيمها ومثلها ومبادئها التي تفرض على الآخر السلبية والانبهار، وتسلب إرادته الذاتية، وتحوله إلى متلقٍ يستجيب لما يملى عليه، الأمر الذي يؤدي إلى عدم وضوح مصطلح العولمة.

ز- إملاء إرادة الإخضاع بدون توقف، وجعل الآخرين يستسلمون بإرادتهم، ويدمنون الخضوع بشكل دائم ومستمر، وملاحقة دول المركز، ونسيان ذاته. [1]

ويمكن القول إنّ صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة، نظراً إلى تعدد تعريفاتها، والتي تتأثر بانحياز الباحثين في مفهومها إلى مرجعياتهم الأيديولوجية، واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضاً أو قبولاً.

(1) فؤاد بن عبد الكريم، قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ص 99، 100.

المبحث الثاني: العولمة المضمون (الجذور، المصادر، الوسائل)

إذا كانت هناك أراء كثيرة في تحديد ماهية العولمة ولكل وجهة نظره في تحديد مفهومها، هذا الاختلاف كذلك يظهر أيضا بين الباحثين في التأريخ لنشأة العولمة وتحديد مصادرها.

المطلب الأول:جذور العولمة ونشأتها

إذا كان مصطلح العولمة حديث من حيث الاستعمال والتداول فهذا لا يعني أن العولمة ظهرت من العدم أو بدون إرهاصات أو سوابق، فظاهرة بمثل هذا الوزن والأهمية لا يمكن أن تختزل نشأتها في فترة وجيزة، بل الواقع أن لها أصولا وامتدادات تاريخية.[1]

لا يتردد الدكتور حسن حنفي مثلا في اعتبارها (قديمة قدم التاريخ لأن كل حضارة من الحضارات كانت تسعى إلى أن تتصدر عصرها لتقود العالم، وهذا ما قامت به حضارات آسيا الأولى في الصين والهند وفارس ومابين النهرين وكنعان ومصر القديمة وكذلك فعلت الحضارة العربية الإسلامية، عندما كانت مركز العالم ومصدر العلم فيه وقام بذلك مجموع الغرب مرة أخرى على يد اليونان والرومان ثم الغرب الحديث في إطار ما سمي بالاكتشافات الجغرافية بعد فشل الحروب الصليبية).[2]

فالعولمة بهذا المعنى طبعة جديدة تلي المحاولات التاريخية القديمة في السيطرة والتوسع، فالحضارات والمدنيات القديمة تعمل على بسط نفوذها بمجرد الشعور بقوتها وعظمتها وهذه هي عادة الإمبراطوريات القديمة (والعولمة ليست ظاهرة اقتصادية أو سياسية أو تقنية أو معلوماتية فحسب بل هي أساسا ظاهرة مستمرة تعبر عن رغبة الشمال في السيطرة على الجنوب ....).[3]

غير أنّ المحاولات الأولى لبسط النفوذ والسيطرة وخاصة تلك التي كانت من قارة آسيا أوربا القديمة مسرحها لم تتحقق امتداد كبيرا من حيث الزمان والمكان، أما الفتوحات الإسلامية مثلا يمكن اعتبارها مثالا

(1)عبد الرحمان بن شريط ، الدولة الوطنية بين متطلبات السيادة وتحديات العولمة،2011م،دار كنوز الحكمة ، الجزائر، ص92.
(2)حسن حنفي، صادق جلال العظم، ما العولمة، مرجع سابق، ص17
(3) نفس المرجع ،ص19.

مناسبا في سياق الحديث عن العولمة، لأنها لم تنطلق في أهداف مادية اقتصادية أو توسعية أو استيطانية، بل كانت محملة بقيم دينية وإنسانية تتناقض مع معاني السيطرة والاستغلال.(1)

فمسار العولمة كما هو واضح قد ضرب جذوره في أعماق التاريخ باعتباره تطورا طبيعيا للحضارة وهذا ما يؤكده الأستاذ برهان غليون أن تاريخ العولمة قد بدأ قبل ثلاثة قرون وذلك من خلال الاتصالات بين العرب والإمبراطورية الشرقية ولم يتحقق هذا المسار إلا بإنشاء الأمم المتحدة التي أعلنت عن إرادة العمل بإقامة نظام عالمي من خلال توحيد القواعد والممارسات وتقنين وتنظيم كل حلقات التبادل الإنساني والثقافي والاقتصادي التي ينبغي تطويرها.(2)

بينما يرى المفكر رونالدروبرتسونَ بأنّ بدايات العولمة تعود إلى القرن الخامس عشر عندما تطورت في نفس الوقت المفاهيم المتعلقة بالأمة والمواطن والإنسانية، فمسار العولمة بالنسبة له أخذ شكله بالموازاة مع ازدهار الدولة، لأنّ هذه الدول تعتبر أحد المظاهر الأساسية للعولمة نظرا لكونها تحقق تجانس العالم على الأقل على المستور الإقليمي.(3)

ومما زاد في تسريع ظهور العولمة التغييرات الهائلة التي عرفها العالم في مجال تكنولوجيا الاتصال وذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى نهاية القرن العشرين، فتبلورت فكرة الكونية التي أصبحت تنظر إلى العالم بكل ترابط.

فالعولمة لا تعد نتاج لحظة تاريخية بعينها بل ثمة من جهة تطور تاريخي طويل، بالإضافة إلى ما حدث من جهة أخرى أثناء القرن السابق من أحداث زادت في تكثيف النزعة الكونية التي جسدتها العولمة فيما بعد، ويمكن في هذا الصدد بين نوعين من التحولات:

1/النوع الأول:هي المتغيرات طويلة المدى de longue durée ويقصد بها تلك المتغيرات التي تشكلت بصورة تراكمية على امتداد مراحل زمنية طويلة، فالعالم شهد تزايدا تدريجيا في كثافة التفاعلات

(1) بن شريط عبد الرحمان، الدولة الوطنية بين متطلبات السيادة وتحديات العولمة، مرجع سابق،ص93.

(2) عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها فروعها وكيفية التعامل معها، ص53.

(3)نفس المرجع ،ص55.

الدولية نظرا لتزايد الاعتماد المتبادل بين الدول وتطور وسائل المواصلات وتكنولوجيا الاتصالات بشكل تدريجي واكبه انفتاح مطرد للثقافات على بعضها البعض مما شجع على إيجاد قواسم ثقافية مشتركة بين مختلف الشعوب تنحو نحو العالمية، فهو تغير إنساني طبيعي تراكمي ومرحلي، أي أنه تعبير عن قواعد وحتميات سوسيولوجية طبيعية وخالدة تعبر عن رغبة إدارة الأقوى في السيطرة وفرض رغبته في توجيه دفة الأمور على المستوى العالمي والنزعة العالمية تندرج ضمن هذه التغيرات.

2/النوع الثاني:هي المتغيرات الطارئة أي تلك التي تربط بوقوع حدث معين يكون في نشأته أن يرتب أثار جوهرية سريعة ومفاجئة من خلال فترة زمنية قصيرة، وهي غالبا تتعلق بالتحولات التاريخية الكبرى كانتهاء الحرب الباردة وانهيار القطب السوفياتي[1].

ومن حيث تحديد اللحظة الزمنية لبروزها ومن حيث ظهور المفهوم واستعماله في الدراسات والأدبيات هناك رأين حول ظهورها.

أولا: الرأي القائل بقدم العولمة: فبالإضافة إلى رأي حسن حنفي يرى بعض رجال القانون ومنه (فيليب غوميت) أن مسار العولمة قد ضرب جذوره في أعماق التاريخ باعتباره تطورا طبيعيا للحضارة وهذا ما يؤكده الأستاذ (برهان غليون) بأن تاريخ العولمة قد بدأ قبل ثلاثة قرون وذلك من خلال توحيد القواعد والممارسات وتقنين وتنظيم كل حلقات التبادل الإنساني والثقافي والاقتصادي التي ينبغي تطويرها[2].

ثانيا: الرأي القابل بحداثة العولمة: وهو يمثل غالبية المفكرين حيث أن هذا المصطلح لم يظهر في قاموس أكسفورد للمصطلحات الإنجليزية إلا في عام (1991م) فهو في المصطلحات الجديدة التي برزت من خلال التسعينات ويرجع البعض أصل مصطلح العولمة إلى بداية الثمانيات مع استعماله في المدارس الأمريكية لإدارة الأعمال والتسويق مقترنا بالعولمة المالية[3].

(1) ممدوح محمود منصور، العولمة دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد، 2007م ،الكتاب الجامعي الحديث،ص 26.
(2) عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها فروعها وكيفية التعامل معها، ص 53.
(3) سيار الجمل، العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط، ص 42.

ولكن مهما تباينت الآراء حول جذور العولمة، فإن الذي يشكل إجماع المهتمين هو كون الظاهرة المتميزة، لا تزال في طور التشكل وان ملامحها لم تكتمل بعد.

إن الحديث عن ظاهرة العولمة من الزاوية التاريخية يجعلنا نؤكد بأنها ليست وليدة الساعة ولا حتى نتيجة من نتائج انهيار القطب الاشتراكي بل هي نتاج لتراكمي لأحداث كبرى في التاريخ ولمجموعة من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المصاحبة لتطور المجتمع البشري ويذهب سمير أمين متحدثا عن هذا التطور قائلا : إن الحالة الجديدة هي بداية مرحلة تاريخية انطلقت خلال الأعوام 1979 – 1991 من خلال الإخفاق التام المزدوج لطموحات أنظمة الشرق وبلدانه المسماة بالاشتراكية، وأنظمة الجنوب وبلدانه المسماة بالاستقلالية الوطنية، مختتمة عهد الحساد الايجابي الذي عاش ثلاثين عاما أي جيلا كاملا للفترة 1955 – 1985 م ويتوالد اليوم عهد جديد هو عهد السوق الذي سيغدو محاولة جديدة لتوحيد العالم[1].

وقد ذكر الأستاذ حمد القفاصي في كتابه (دور الدولة والمؤسسات في ظل العولمة) الذي ألفه رفقة فتحي أبو الفضل وعز الدين حسنين أربع مراحل مرت بها العولمة في تطور وهي كالآتي:

1–المرحلة الأولى: بدأت منذ بداية الحرب الباردة بين الكتلة الشرقية التي تمثل الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفياتي والكتلة الغربية والتي تمثل الرأسمالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وفيها احتدم الصراع بين الكتلتين، هذا الصراع كان في الأساس صراعا إيديولوجيا وأخذت كل منهما في نشر وتعميق مفاهيم النظام الذي تؤمن به ومحاولة كسب تأييد المجتمع الدولي بإظهار عيوب الآخر، وفي هذه المرحلة كان هناك توازن في القوى السياسية العالمية.

2–المرحلة الثانية: بدأت منذ بداية التسعينات في القرن العشرين وفيها انهارت واحدة من أكبر قوتين كانتا تحكمان العالم وهي الاتحاد السوفياتي معقل الاشتراكية، كما بدأ مصطلح العولمة في الظهور لأول مرة عندما ذكره الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب في خطاب له عام 1992 م، وبدأت العولمة تنمو وتزداد وضوحا، وعكف المفكرون بجميع أنحاء العالم على محاولة تعريفها وتحديد مظاهرها وآثارها، والقوى الفاعلة

(1) عبد القادر تومي، الفكر العالمي والفكر العولمي،2012م ، كنوز الحكمة ، الجزائر،ص 78 .

فيها واستمرت القوى الغربية وخصوصا الولايات المتحدة الأمريكية في التنظير لها والإعداد للهيمنة على مقدرات الدول باستخدام كافة الطرق على جميع المستويات سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

3-المرحلة الثالثة: وبدأت منذ عام 1999 م بفشل المؤتمر الوزاري الثالث لمنظمة التجارة العالمية في مدينة سياتل الأمريكية، وقيام مظاهرات ضد العولمة في معظم بقاع الأرض والتي عبرت عن رد فعل شعوب العالم تجاه العولمة الشرسة التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية.

4-المرحلة الرابعة: وبدأت منذ2001/09/11 عندما تم توجيه سلسلة ضربات مدمرة لمركز التجارة العالمية في نيويورك، ومبنى البنتاغون في واشنطن، حيث تعتبر هذه الهجمات أول ضربة عنيفة تتعرض لها الولايات المتحدة الأمريكية طوال تاريخها[1].

المطلب الثاني: مصادرها

1- **النفعية البرغماتية**[2] : من الأفكار الأساسية في الفلسفة الذرائعية أن العقل نمط معين في السلوك يغير ويعالج بواسطة الإنسان أوضاعه في بيئته على منوال يعينه على الحياة والعلامة التي تدل على وجود العقل في أي حادثة سلوكية هي أنها تتضمن استهدافا لغايات مستقبلية واختيار للأدوات والوسائل التي تؤدي إلى بلوغ تلك الغايات. إن المنفعة والقيمة والنجاح هي المعيار الوحيد والكافي للحقيقة والصدق واليقين، وهي أيضا بصفة عامة جوهر الحقيقة وكنهها.والحقيقة لا تعرف الثبات، بل هي تنتج باستمرار وتخلق ألوانا شتى في الخلق والسلوك الحر يعجز العقل عن إدراك هذه الحقيقة وتقوك كل معرفة على أساس التجربة.

(1) عبد القادر تومي، الفكر العالمي والفكر العولمي ص 82 نقلا عن محمد القفاص وآخرون، دور الدولة والمؤسسات في ظل العولمة، ص26، 27.

(2)**النفعية البرغماتية**: عرفها المعجم الفلسفي بأنها: مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار، إنما هو في قيمة عواقبها عملا، وأنّ المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق القضية ماهو كونها مفيدة، والبرجماتي بوجه عام وصف لكل من يهدف إلى النجاح، أو إلى منفعة خاصةوالمنفعية مذهبأخلاقي اجتماعي لا ديني، يجعل من نفع الفرد والمجتمع مقياساً للسلوك، وأن الخير الأسمى هو تحقيق أكبر سعادة لأكبر عدد من الناس. المعجم الفسفي، مجمع اللغة العربية، ص(32).

تقود الفلسفة الذرائعية على فكرة الآداتية، التي تجعل في العقل والتجربة وسائل الوسائل الفكرية والمادية، والمنطقية والمنهجية، العلمية والتكنولوجية والفلسفية وغيرها أدوات وجسور لبلوغ غايات ومصالح ومنافع معينة، وأي عمل أو فكر لا يجلب منفعة لا قيمة له ولا يمثل الحقيقة وهو ضرب من العبث والعبثية المذمومة، والطبع الذرائعي البرغماتي النفعي الآداتي هو الذي طبع التوجه الفكري والفلسفي والاجتماعي والثقافي في العصر الحاضر، التوجه الذي سبب أوضاعا متأزمة فكريا أخلاقيا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا [1].

فالتوجه الذرائعي للعصر الحاضر و في منطلق الفكر الفلسفي الذرائعي أقصى كل ما هو مقدس وعمل على إبعاد دور الأديان والأخلاق والعادات والتقاليد والقيم وسائر المبادئ التي تتسم بالقداسة والإطلاق عن التحكم في حياة الفرد والمجتمع والدولة، والحرص على الاهتمام بالمصالح الغالبة لدى الأفراد والهيئات والجماعات، من منطلق حفظ المصلحة وتحقيق المنفعة، ومن مبدأ إقصاء كل ما يؤدي إلى العبث والعبثية المذمومة، الأمر الذي أدى إلى فقدان التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي، الجانب النظري والجانب العملي في حياة الإنسان على المستوى الفردي والاجتماعي والإنساني عامة لكون التوجه العام يقوم على الذرائعية ذات التصور البرغماتي النفعي الأحادي للحياة الذي أحدث مشاكل خطيرة وعديدة في مجتمعنا المعاصر بصفة عامة، وفي المجتمعات التراثية التاريخية ومنها المجتمع العربي والإسلامي.[2]

فالتوجه الذرائعي في العصر الراهن وبسبب التوجه العولمي العالمي التقني الذي جعل الكرة الأرضية مجرد قرية الغلبة والسلطة والنفوذ فيها للأقوياء يحفظون مصالحهم على حساب الضعفاء، وفي ضوء التزاحم والتنافس على المنافع منصبا فقط على السعي الحثيث لنيل الخطوة والمكاسب والمناصب والبحث على القوت وجمع المال بكل الأساليب والطرق المسموح بها قانونيا وغير المسموح به، المشروعة أخلاقيا وغير المشروعة هذه الوضعية أدت إلى طغيان وسيطرة منتهجي النهج الذرائعي وفلسفته اقتناعا أو ذريعة وتبريرا لوضع ما تميز في

(1) جيلالي بوبكر، العولمة العقيدة وفلسفة النهايات، 2010 م ،كنوز الحكمة ، الجزائر،ص 26.

(2) عبد الوهاب المسيري، العولمة والحداثة والعلمانية،مصدر سابق، ص 261.

غالبيته بانتشار الفساد والرذيلة وكل أنواع الظلم والاستبداد والحيف الاجتماعي في حياة الفرد والفئة والدولة والإنسانية جمعاء.[1]

2- **الأمركة**: الأمركة هي صبغ مجتمع أو فرد بالصبغة الأمريكية، وإشاعة نمط الحياة الأمريكية.فالولايات المتحدة الأمريكية تمثل الدولة الأكثر نفوذاً في النظام العالمي الراهن من النواحي السياسية والاقتصادية، وهي أقوى دولة في العالم عسكرياً واقتصادياً وتسيطر على مجلس الأمن والمؤسسات الدولية ذات التأثير الكبير في العالم ويلعب الدولار الأمريكي أهم دور في الاحتياطات النقدية الدولية وتعد أمريكا أكبر مقر للشركات الدولية وتملك وسائل الاتصال والإعلام الأوسع انتشاراً في العالم، وبضائعها اخترقت العديد من الأسواق العالمية، وأصبحت تقسم العالم إلى ديمقراطية وغير ديمقراطية.وتحرم من السلام دول وتمده دولا أخرى بما يحقق مصالحها، ويعزز سيطرتها على نظام الرقابة في مجالات التسلح ،وما الهيمنة على العرب ورفع شعارها المزيف المضلل بمحاربة الإرهاب الهادف إلى تقويض إرادة الاستقلال والتحرر لدى الشعوب إلا دليلاً على نزعتها الشريرة وحتى تأمن بقاءها في الصدارة رأت أن أفضل طريق لذلك هو ركوب موجة العولمة وتوجيهها لصالح الاقتصاد الأمريكي من خلال استخدامها رأس المال الأمريكي،والمؤسسات الدولية والأمم المتحدة التي تسيطر عليها ،وقوتها الهائلة وسيطرتها على صندوق النقد الدولي الذي يدعو البنوك الوطنية العاجزة إلى إشهار إفلاسها ،ويدعو إلى إنقاذ البنوك العالمية الأمريكية والأوروبية ،وبهذا تنتقل العولمة إلى نظم انتقائية وهيمنة أمريكية وحيدة ومن خلال التسلط السياسي والعسكري القائم على المرجعية للحلف الأطلسي وليس للأمم المتحدة والحرب المفتوحة وليس السلام أو الاستقرار،وبهذا الصدد يقول رئيسها بوش الابن«إن أمريكا لن تفعل إلا ما يحقق مصالحها هي ،ووفقا لرؤيتها هي ».[2]

فالشعارات التي تنادي بها الولايات المتحدة الأمريكية يمكن حصرها بما يأتي:

- الديمقراطية وهي في حقيقتها حكم الشعب للشعب.

(1) جيلالي بوبكر، العولمة العقيدة وفلسفة النهايات، مصدر سابق، ص 26.

(2) جيلالي بوبكر،نفس المصدر ، ص 28.

- حقوق الإنسان والتي تلقى رواجا بين سكان العالم.
- التعددية السياسية وتعدد الأحزاب. [1].

فالعولمة هي تعميم النمط الأمريكي ليشمل العالم كله، وهذه الأنماط هي أنماط اقتصادية واجتماعية وثقافية في إطار تدويل النظام الرأسمالي وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والواقع أنّ العولمة هي الوجه التطبيقي للعالمية الإنسانية التي دعا إليها اليهود من أجل السيطرة على العالم والعالمية الإنسانية هي الوجه النظري للأفكار والمعتقدات والأطروحات التي يقدمها اليهود للعالم من أجل السيطرة على أفكارهم وحياتهم وصرفهم عن دينهم ومعتقداتهم [2].

وتداولت الأوساط الفكرية العديد من النقاشات حول الأمركة وآلياتها التي تستهدف فرض النموذج الثقافي الأمريكي كنمط معيشي صالح لجميع البشر رغم تباينهم وتنتهج في سبيل تحقيق ذلك الوسائل السلمية بالتركيز على الجانب الفكري والوسائل القمعية حتى وإن استدعى الأمر توظيف القوة العسكرية ،فسياستها في هذا الجانب اتجاه العالم الإسلامي ارتكزت من خلال العمل على علمنة الإسلام وهي وسيلة جد خطيرة لتشويه الإسلام وإفراغه من محتواه الأصيل من خلال الممارسة، أما الوسيلة العسكرية التي اتبعتها في ذلك هي عولمة الإرهاب وتصنيفها لبعض الدول الإسلامية على أنها دول مارقة،حتى السيطرة عليها.[3]

تنفرد الولايات المتحدة لزعامة العالم كأحادية قطبية منذ زوال الاتحاد السوفياتي وتتمثل الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في فرض القيم الأمريكية على العالم بحيث تصبح القيم والقوانين وأنماط الحياة الأمريكية «الأمركة» أسلوباً للعالم كله ونظراً لأن أمريكا تواجه أحياناً رفض الآخرين لقيمها فقد حاولت أن تصنع زعامتها في الخارج وشرعيتها في الداخل عبر وسائل نفسية ذات طابع اصطناعي عن طريق تسويق

(1)مبارك بن نزال بن مبارك الصغيري العنزي، العولمة في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، سنة 2007م ، ص 32.

(2) نفس المصدر.ص 16.

(3) دليلة بن كوسة، المشروع الحضاري الإسلامي بين العالمية والعولمة، رسالة ماجستير نوقشت بكلية علوم الإعلام والإتصال ،جامعة الجزائر، 2010 م ،ص 208.

الصورة،كما تدعوا إلى فرض القيم الأمريكية الحقيقية وليس الشعبية بمعنى الدخول في صراع القيم مع الحضارات الأخرى خاصة ما يتعلق بالمعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية ورغم انتشار الثقافة الأمريكية إلا أنها تبقي على اجتثاث القيم الأصيلة للمجتمعات الإسلامية ،مما يقود أمريكا إلى المنازلة الثقافية التي تدعوا إلى الاختراق الثقافي الخشن في منطقة الثبات والقوة في الحضارة الإسلامية ،وهي جوهر الحرب التي تقودها أمريكا ضد العالم الإسلامي معتمدة في ذلك على الحداثة الغربية التي تستعملها كبضاعة تفرضها على العالم الإسلامي متمثلة أساسا في الديمقراطية السياسية والليبرالية الاقتصادية والتسامح الفكري وفق المفهوم الأمريكي.[1]

المطلب الثالث: وسائل العولمة.

العولمة تتبنى الوسائل المريبة الزاحفة لتمزيق الأمة الإسلامية، والطغيان على قيمها السامية بالعمل على شيوع القيم المتدنية التي تصاحب بالغزو الفكري والاستهلاكي.مثل: طغيان الاستهلاك والنهم المادي، وشيوع العنف والجنس، والمادية، والفردية، والافتتان بالثروة والسعي إليها بأي سبيل والتخلي عن القيم.

لقد لجأت القوى الرأسمالية الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إلى الوسائل التالية من أجل تحقيق الأهداف المنشودة ومنها:

1- تسخير القوى العلمانية الداخلية من الكتاب ورجال الإعلام، ورجال التربية لصالح العولمة، فتجنيد هؤلاءالمفكرين و الكتاب الذين يروجون للأفكار العولمة،ويؤكدون أن الشعور بالولاء لأمة أو وطن قد أصبح من مخلفات الماضي التي يحسن إهمالها ونسيانها.. ويؤيدون التدخل الأجنبي في التفكير وطرائق الحياة على شعوب العالم، والتدخل في المناهج التعليمية في الدول المتخلفة، لتغيير عقول الناشئة، وتذويب هويتهم الثقافية والإعتقادية، ومن ثم تهيئتهم لتقبل ما تبث وسائل الإعلام الأمريكية من قيم مادية هابطة.[2]

(1)دليلة بن كوسة، المشروع الحضاري الإسلامي بين العالمية والعولمة،مصدر سابق ، ص 209.

(2) العلي أحمد عبد الله، العولمة والتربية، دار الكتاب الحديث، الكويت، 2002، ص 21.

2- إحلال الثقافة الغربية من خلال اللغة: إذ اللغة أداة مهمة اعتمدتها قوى العولمة في بسط هيمنتها الثقافية، ففي هذا الجانب يشير الكاتب صامويل هانتيجتون إلى أن العالم يتوجه نحو حرب حضارية تكون فيهاالقيم اللغوية والرمزية هي الحدود القتالية، ويذهب السياسي الفرنسي بينو في نفس الإتجاه عندما يقول لقد خسرت فرنسا امبراطورية استعمارية، وعليها أن تعوض بامبراطورية ثقافية

3- استخدام شبكات الإتصال الحديثة: كالأقمار الصناعية، والقنوات الفضائية، وشاشات الحاسوب، لإحداث التغيرات المطلوبة لعولمة العالم ثقافيا.(1)

4- السيطرة والتحكم بجميع وسائل تجهيزات المعلومات والحاسوب، وغزو الفضاء، يقول رئيس وزراء ماليزيا مهاتير محمد:" إنكم ستتفاجئون عندما تعرفون أن 50 بالمئة من التعاملات المالية عبر الانترنت في مجال المنتجات الإباحية ... وتتهدد أخلاقنا وأخلاق أطفالنا والأجيال القادمة ...ولا نعلم عن التقنيات أو الأساليب التي نواجه بها ذلك".(2)

5- الشركات متعددة الجنسيات التي تقوم بإحداث هذه التغييرات والتعديلات، مع الاستعانة بجهود هيئات ومؤسسات أخرى، منها المؤسسات المالية الدولية، كصندوق النقد والبنك الدولي، ومنها وكالات الأمم المتحدة المختلفة العاملة في ميادين التنمية والثقافة.

6- امتلاك الشركات الضخمة التي تنتج الثقافات الشعبية كالسينما والموسيقى، وعبر الزيادة الضخمة في الإعلان، فقدرات الشركات الإعلامية الضخمة تتجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات، لقد أصبح معلوما التفوق الأمريكي في صناعة الأفلام والموسيقى، وتمتعها بسوق خارجية ضخمة في ظل انتشار التلفزيون، والأقمار الصناعية، وقنوات الفضاء التي أدخلت البث التليفزيوني إلى كل بيت في العالم.تشير إحصاءات منظمة اليونيسكو عن الوطن العربي إلى أن شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث كما في سوريا ونصف هذا الإجمالي كما في تونس والجزائر، أما في لبنان فإن

(1) عبد الله موسى، رؤيتنا الثقافية وتحديات العولمة، مجلة النبأ، عدد 59، 2001/1422 م، ص 31.

(2) محمد مهاتير، الإسلام والعولمة، ترجمة صهيب جاسم كوالالامبور، موقع الإسلام على الطريق، شبكة المعلومات الدولية www.islamonline.net/Arabi

البرامج الأجنبية تزيد على نصف إجمالي المواد المبثوثة إذ تبلغ 58،5% وتبلغ البرامج الأجنبية في لبنان 69%من مجموع البرامج الثقافية، ولا تكتفي بذلك، بل وغالب هذه البرامج يبث من غير ترجمة، وثلثا برامج الأطفال تبث بلغة أجنبية من غير ترجمة في معظمها[1].

7- استخدام وسائل الدعاية والإعلام: إن الشركات الإعلامية المتعددة الجنسيات تمتلك إمكانيات ضخمة لاختراق الحدود القومية والثقافية، وحرصت هذه الشركات الإعلامية على العمل عبر وكلاء محليين، وتتخذ هذه العمليات أنماطا وصيغا مختلفة، فمثلا توجد اتفاقيات لإعادة البث وشراء البرامج، أو الإنتاج المشترك للمواد والمضامين الإعلامية، علاوة على توجيه استثمارات مباشرة[2].

إنّ طغيان الإعلام والثقافة الأمريكي في القنوات الفضائية دفع وزير العدل الفرنسي جاك كوبون أن يقول:" إن شبكة المعلومات الدولية بالوضع الحالي شكل جديد من أشكال الاستعمار، وإذا لم نتحرك فأسلوب حياتنا في خطر، وهناك إجماع فرنسي على اتخاذ كل الإجراءات الكفيلة لحماية اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية من التأثير الأمريكي"[3].

يقول العالم الأمريكي المعروف ناعوم تشومسكي:" إن العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الإعلام، تعزز سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف، أي على العالم كله."ولقد هاجم وزير الثقافة الفرنسي هجوما قويا أمريكا في اجتماع اليونسكو بالمكسيك وقال:" إني أستغرب أن تكون الدول التي علمت الشعوب قدرا كبيرا من الحرية ودعت إلى الثورة على الطغيان هي التي تحاول أن تفرض ثقافة شمولية وحيدة على العالم أجمع، إن هذا شكل من أشكال الإمبريالية المالية والفكرية، لا يحتل الأراضي، ولكن تصادر الضمائر، ومناهج التفكير واختلاف أنماط العيش"، وتبعا لهذه السياسة قررت فرنسا أن تكون نسبة الأفلام المعروضة في التلفزيون الفرنسي 60%.

(1) تركي الحمد،الثقافة العربية في عصر العولمة،2011 م ،دارالساقي ،بيروت ،ص 74.

(2) رحيمة الطيب عيساني، العولمة الإعلامية، مرجع سابق،ص 33.

(3) أمخور، العولمة بين منظورين،مرجع سابق، ص 33.

وفي المقاطعات الكندية بلغت الهيمنة الأمريكية في مجال تدفق البرامجالإعلامية والتلفاز إلى حد دعا مجموعة من الخبراء إلى التنبيه إلى أن الأطفال الكنديين، أصبحوا لا يدركون أنهم كنديون لكثرة ما يشاهدون من برامج أمريكية[1] .

8- استخدام المعونات والمنح والقروض الأمريكية،وربطها بتنمية الاتجاهات الثقافية الموالية للسياسة الأمريكية، ومسايرة الوجه الثقافي والتربوي للعولمة.

9- التوسع في قبول الطلاب الأجانب في الجامعات والمعاهد الغربية، ففي أمريكا وحدها أكثر من عشرين ألف جامعة ومعهد، مهمتها القيام بالبرامج الثقافية التي ترسخ لديهم الثقافة الغربية، وتستخدمهم وسائل إضافية للعولمة، لقد نجحت أمريكا في تطوير صناعة ثقافية موجهة لشريحة الشباب داخل وخارج أمريكا، وهم الشريحة الأوسع على مستوى العالم، وهم رجال المستقبل الذين سيشغلون في مجتمعاتهم مواقع التأثير والنفوذ، ولقد فتحت أمريكا معاهدها وجامعاتها أمام الطلبة من أنحاء العالم، وهؤلاء يشكلون النخب في بلدانهم بعد عودتهم إليها، بما يحملون من الأنماط الثقافية وطرق التفكير المقتبسة من أمريكا"[2].

يذكر أحد الغربيين أسلوب صناعة الفكر الغربي لدى الطلبة الشرقيين فيقول:"كنا نحضر أولاد الأشراف والأثرياء والسادة منإفريقيا وآسيا، ونطوف بهم لبضعة أيام في أمستردام ولندن، فتتغير مناهجهم، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية، فيتعلمون لغتنا، وأسلوب رقصنا وركوب عرباتنا، ثم نعلمهم أسلوب الحياة الغربية، ثم نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا، ثم نرسلهم إلى بلادهم.

10- استغلال و استخدام ما يسمى بالديمقراطية وحقوق الإنسان، واعتبارات الحياة المعاصرة، ومواثيق الأمم المتحدة في محاربة منظومة القيم الثقافية ومجموعة التشريعات والأنظمة السائدة في المجتمعات.

11- استغلال المؤتمرات الاقتصادية، ومؤتمرات التنمية والسكان، التي تعقد في كافة دول العالم، واستخدامها[3].

(1)أمخور، العولمة بين منظورين، نفس المرجع السابق، ص 41.

(2) خليل عماد الدين، تحديات النظام العالمي الجديد، موقع الإسلام على الطريق، شبكة المعلومات الدولية www.islamonline.net/Arabi

(3) ناصر بن سليمان، آثار أخرى للعولمة الثقافية، موقع www.almoslim.netعلى شبكة المعلومات الدولية.

المبحث الثالث: أطروحات العولمة

كرست العولمة عدة أطروحات وهي أهم مظاهر التمركز الغربي والهيمنة على سائر الحضارات، فلا تاريخ إلا تاريخ الغرب، في ظل ردود الأفعال والمواقف المنددة خطورة هذه الأطروحات، تغيرت المسميات دون أن تتغير استراتيجيات الغرب، فأصبح الترويج لهذهالأطروحات كبديل أفضل وهي كالأتي:

المطلب الأول:أطروحة صدام الحضارات

أصبحت الشعوب والجماعات تواجه أزمة هوية كرد فعل للعولمة الثقافية، إذ يعتقد البعض أن الدعوة إلى الانتماء الإثني أو اللغوي، تتبع في حقيقتها من مجرد احتجاج على الوضع القائم، وبدقة أكثر على الآخرين الذين يهدّدون المجموعة المحددة اثينا؛ فإحدى مفارقات التقارب المؤسساتي بعد الحرب الباردة وما ارتبط به من زيادة الاتصال الإنساني هو أن شعوب العالم قد أصبحت أكثر وعيا ومعرفة بالفروقات الثقافية التي تباعد فيما بينها، إذ أن الميول الانشطارية القومية والاثنية أضحت تخترق الدول المتعددة القوميات كنوع من ردة الفعل الطبيعي على العولمة، وهذا ما يفسر جانبا من التعثر الذي أصاب الوحدة الأوروبية فوق القومية، إلى جانب الحديث المتواصل عن احتمالات تمزق الولايات المتحدة الأمريكية.[1]

إنّ الصراعات الكبرى في التاريخ البشري غالبا ما كان يغلفها البعد الثقافي والحضاري، فأساس نظرية " التحدي والاستجابة " للمؤرخ " أرنولد توينبي" في بروز الحضارات وأفولها تنطلق في بعض جوانبها أن الصراعات محورها التناقضات بين الحضارات، فالحروب الصليبية محورها الصدام الحضاري بين الحضارة الكاثوليكية والحضارة العربية الإسلامية، كما أن الاستعمار الأوروبي في آسيا وإفريقيا بالرغم من أبعاده

(1) Le Monde " Civilisations en guerre" Ignacio Ramonet diplomatique, N495 Juin 1995, P8.

الاقتصادية والسياسية التي غلفته أيضا منطلقات حضارية؛ فقد انحصرت وظيفة الرجل الأبيض أساسا في نشر القيم وهي الشعار الذي كان يقف وراء المواجهة الاستعمارية.[1]

شكل العامل الثقافي عنصرا محددا في النظرة للآخر وتحديد الصلة به؛ فقد عالج الفكر الاستشراقي الذي تناول المجتمع والثقافة الإسلاميين بنظرة من المركزية العرقية الاستعلائية، وإذا كانت النماذج النظرية والتحليلية التي ميزت الفكر السياسي والاستراتيجي خلال الثمانينيات من القرن العشرين قد ارتكزت على العوامل الاقتصادية والايدولوجية، فإن نهاية الحرب الباردة قد بلورت نظريات جديدة لاستيعاب متغيرات الدولية المستجدة؛ وفي هذا السياق ظهرت أطروحة "صدام الحضارات" لصاحبها "صاموئيل هنتنغتون" الصادرة في صيف 1993 في مجلة " ForeignAffairs " وطورها في كتاب نشره بعنوان " صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي".ينطلق "هنتنغتون " من فرضية رئيسية مفادها أن المصدر الأساسي للنزاعات في العالم لم يعد يتحدد بالعوامل الاقتصادية أو الأيدولوجية، وإنما بالعوامل الثقافية على اعتبار أن " الانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا، وستظل الدول والأمم هي أقوى الاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسات العامية ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة، وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية ذلك أن الخطوط الفاسلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل.[2]

يعود تأكيده على أن الصدام الحضاري الأساسي في العالم سيكون بين الإسلام والغرب إلى استناده لرصيد وتراث الفكر الاستشراقي، فقد كانت فقد كانت أطروحته تصريحا جليا لما أضمرته الدراسات الاستشراقية وما كشفته من مواقف استعلائية وعدائية اتجاه الاسلام، ويعتمد "هنتنغتون" أساسا في تناوله لأطروحته للصراع بين الإسلام والغرب على مقالة للمؤرخ المستشرق "برنارد لويس"، المعروف بعدائه للعرب والمسلمين ودعم

(1) عصام العامري ،الثقافة والديمقراطية في مواجهة العولمة،ص210، 211.

(2) – صاموئيل هنتنغتون،صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي، ت: حسي أحمد أمين،ط1 ،1993،مركز الأهرام للترجمة والنشر،القاهرة ص12.

إسرائيل، الصادرة عام 1990 بعنوان: "جذور الغضب الإسلامي"[1]،ورغم إقراره بتداخلها وإمتزاجها، إلا أنه يخلص إلى تأكيد أنها خطوط فصل جذرية بين الهويات المتمايزة.

ويجمل "هنتنغتون" أهم أسباب صدام الحضارات في:

1- طبيعة الفروق الجوهرية بين الحضارات من حيث التاريخ واللغة والدين بشكل خاص، وهي اختلافات لها جذورها التاريخية البعيدة.

2- تزايد التفاعلات بين الشعوب المختلفة في عالم يزداد تقاربا الأمر الذي من شأنه أن يزيد وعي الحضارات بتميزها وتفردها.

3- انعكاسات مسار التحديث الاقتصادي والاجتماعي على الهويات المحلية مما يولد هاجس تخصين الهوية الثقافية ضد الاختراق الأجنبي.

4- الطابع المزدوج للغرب الذي يمثل نموذجا للاحتذاء وخصما يتوجب الانكفاء عن قيمه ومساراته الاجتماعية والثقافية.

5- استحالة القضاء على الفوارق الثقافية وتقديم التسويات المعهودة في المجالات الاقتصادية والسياسية.

6- تزايد النزعة الإقليمية والاقتصادية وتحويلها إلى نمط تكتل ثقافي.

ويركز "هنتنغتون" على احتمالات الصدام بين الإسلام والغرب من خلال تركيزه على الخلفية العميقة للصراع بدءا بسقوط الإمبراطورية الرومانية على يد العرب المسلمين، وقيام الحروب الصليبية وسيطرة الأتراك على القسطنطينية، وانتهاء بالاستعمار، وهذا التفاعل العسكري الذي يمتد عمره قرونا بين الغرب والإسلام ليس من المرجح أن ينحسر، بل قد أصبح أكثر خطرا.كما يرجع دواعي ومسببات هذه المواجهة الحتمية بين الحضارتين الإسلامية والغربية إلى:

- الزيادة الديمغرافية الهائلة لنسبة المسلمين في العالم.
- الصحوة الإسلامية ومظاهر رفض الثقافة الغربية.

(1) ريتا عوض،صورة العرب والاسلام في الغرب، كيف يعاد تشكيلها، شؤون عربية،العدد109،ربيع 2002، ص20.

- زيادة النفوذ العسكري والثقافي الغربي في العالم الإسلامي.
- نهاية الشيوعية و انتفاء الخطر السوفييتي السابق.

يرى "هنتنغتون" أن الأقطار الإسلامية في مجملها، قد صارت أكثر قربا بعقيدتها الدينية وشرائعها من ذي قبل، ويتعلق الأمر بظاهرة متنامية تدعمها زيادة ديمغرافية مذهلة، ذلك أن " العودة للدين" ترمز لدى الأوساط الشعبية الواسعة إلى الحاجة لتأكيد الذات وتحصين الهوية، في مقابل أوضاع اقتصادية مزرية، وتعويضا عن نضوب الثقافة الريفية المندثرة بتأثير حركة الانتقال المتسارع إلى المدن؛ وبالمقابل فإن هذه الظاهرة تولد في الغرب رد فعل نقيض لدى النخب الفكرية والسياسية التي كانت تدافع عن الاتجاه العلماني لكنها وجدت نفسها بحاجة إلى استعادة أصولها المسيحية، لمواجهة التحدي الإسلامي الذي ظهر... لتحدي المصالح والقيم والقوة الغربية، ويهدد مصالح وأمن الغرب[1].

المطلب الثاني: نهاية التاريخ

أدي انهيارالاتحاد السوفييتي الي ميلاد نظام جديدبقيادة الولايات الأمريكية، وهذا ماشار اليه فرنسيس فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ مؤكدا انتهاء الصراع بين الايديولوجيات السياسية بانتصار الديمقرطية الليبرالية الغربية انتصارا حاسما، والسيطرة تكون بيد دولة واحدة متمثلة في أمريكا، وهي بذلك تقضي على كل مايربط الانسان بالعقيدة والارض والتاريخ وتضيف اليها قيما جديدة بديلة، فالتاريخ مكان الصراع توقف باندثار الشيوعية وانطلاق بديل ايديولوجي جديد، هو البديل الليبرالي الشامل.[2]

ولقد وضح عبد الوهاي المسيري أطروحة نهاية التاريخ بأنّ التاريخ بكل مايحتويه من تركيب، وبساطة، وصيرورة، وثبات وشوق وإحباط، ونيل وحساسة يصل إلى نهائية في لحظة ما، فيصبح سكونيا تاما، خاليا من التدافع والصراعات والثنائيات، والخصوصيات، إذ أنّ كل شيء يرد إلى مبدأ عام واحد يفسر كل شيء

(1) صاموئيل هنتنغتون،صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي،ص 36.

(2) فرنسيس فوكوياما، مصدر سابق،ص 128

(لافرق في هذا بين الطبيعي والإنساني)، ويسيطر الإنسان سيطرة كاملة على بيئته، وعلى نفسه، ويجد حلولا نهائية حاسمة لكل مشاكله وآلامه.[1]

فجذور نهاية التاريخ إشكالية كامنة في الفكر الفلسفي الغربي، ولكنها تحولت إلى موضوع أساسي في الحضارة الغربية منذ عصر النهضة، واتضحت مع شكل متبلور مع فكرة اليوتوبيا التقنية التكنوقراطية (أو المدنية الفاضلة التقنية التكنوقراطية)، التي تحاول تحقيق الإنضباط الشامل في المجتمع السكاني عن طريق التحكم الكامل، في الإنسان طريقه عمله، إنهائه اليومي، حياته الخاصة، ومن ثم السيطرة عليه وتوظيفه على أكمل وجه، وفي مضمار هذه المدينة يكون هو خاضعا لنموذج هندسي صارم، ويحكم هذه المدينة مجموعة من العلماء، والحكام الذين يحددون احتياجات الإنسان، وهم الذين يديرون هذه المدنية....ويمكنهم الحفاظ على دوراتها الآلية الدقيقة...وهذه اليوتوبيا الثقافية تدار وفق العقل الذي يدرك القانون، أو العلم الطبيعي الذي لا علاقة له بالقوانين الاجتماعية، والتصريحية والإنسانية (لأنّ قوانين العقل تماثل قوانين الطبيعة)، فاليوتوبيا تعبير عن رغبة حقيقية وهادفة في وضع الحلول النهائية لكل المشاكل، وتأسيس الفردوس الأرض وإنهاء التاريخ، فنهاية التاريخ هنا، تعني نهاية التاريخ الإنساني بكل مافيها من مأساة وملهاة وانتصار وإخفاق.[2]

بل إنّ نهاية التاريخ أصبحت لأول مرة في تاريخ البشرية إشكالية قائمة بالمعنى الحرفي، فالتلوث الكوني يزداد إلى درجة تهدد الحياة على وجه الأرض، وقد تراكم لدى البشر كم من الأسلحة يكفي لتدمير العالم أكثر من عشرين مرة، وهذه آلية تقنية رائعة لإنهاء كل من التاريخ والجغرافيا بطريقة رشيدة بسيطة حديثة، لاتسبب ألما كبيرا، ولا تستغرق سوى لحظات، ومن ثم تحقق حلم الإنسان العلماني الشامل بالتأله الكامل والتحكم الشامل في كل شيء بما في ذلك يوم القيامة. ويرى عبد الوهاب المسيري أنّ الإسلام تحاشى فكرة نهاية التاريخ عن طريق فكرة خاتم المرسلين، أنّه من الآن فصاعدا لن يتدخل في التاريخ، لأنه عزوجل قد أرسل لنا كتابا من خلال رسول، رسولا ليس تجسيدا إلا لكلمته، وإنّما هو حامل للكلمة وحسب، وهذه

(1) عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة،مصدر سابق ، ص 171.

(2)عبد الوهاب المسيري ،نفس المصدر ، ص 172.

المسألة أساسية في الفكر الإسلامي السني بالذات، ومن ثمة فنهاية التاريخ عند عبد الوهاب المسيري ليست مسألة إيجابية على الإطلاق، لأنّ نهاية التاريخ تعني التاريخ الإنساني، وبداية التاريخ الطبيعي، أي أننا عدنا مرة أخرى لاستيعاب الإنسان في عالم الطبيعة (المادة)،وإنكار ثنائية الروح والجسد ومقدار الإنسان على التجاوز، ومن ثم يحدث هذا التجسيد الهيجلي في التاريخ الذي يلغي التاريخ تماما من قبل الحضارة والإنسانية.[1]

المطلب الثالث: أطروحة الحوار بين الأديان.

تعود فكرة الحوار بين الأديان إلى القرن التاسع عشر، ففي عام 1893 عقد أول مؤتمر للأديان بمدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، شارك فيه ممثلون لكافة الأديان عدا اليهود الأمريكيين والسيخ والبوذيين، ولم يمثل الإسلام غير الأمريكي حديث العهد بالإسلام، وقد تناول المؤتمرون قضايا العدالة والمساواة؛ وقد توالت بعد ذلك مؤتمرات وندوات عديدة في دول العالم، فبعد قرن من انعقاد أول مؤتمر للحوار بين الأديان وبتاريخ 28 أوت 1993 عقد مؤتمر ديانات العالم بمدينة شيكاغو وضم ما يقارب 6000 مشارك يمثلون مختلف الديانات بم يساوي 125 عقيدة دينية مختلفة، وانكب المؤتمرون على البحث في سبل إنهاء الحروب وفك النزاعات التي تنشب باسم الدين، والمطالبة بنزع التسلح سعيا للتعايش السلمي بين الشعوب، واحترام جميع العقائد الدينية؛ وقد هيمن على هذا المؤتمر النفوذ اليهودي في جدول الأعمال والإدارة، خدمة لأهدافهم السياسية مما دفع العديد من رجال الدين إلى الاستنكار والتنديد، كما رفضوا التوقيع على التوصيات والقرارات النهائية للمؤتمر لاحتوائها على فقرات عديدة من التوراة.[2]

فالحوار الديني لا يهدف إلى إقناع الطرف الآخر بصحة دين ما وثبوتيته، أو تخطئة دين آخر، فالهدف من الحوار الديني يتمثل في العمل المشترك لخلق أرضية مشتركة تصلح للجلوس عليها من أجل تفاهم عالمي بين أتباع مختلف الأديان من خلال الإعتراف بها أو لا ، واحترام ما تحويه من مبادئ وقيم ومفاهيم ،

(1)عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة،مصدر سابق،ص 180.

(2) محمد إسماعيل مصطفى، "حوار الأديان هدف نبيل أو فخ للمسلمين؟"، مجلة عقيدتي، ع 13، ديسمبر1994، ص 5.

والابتعاد عن فكرة انتصار الدين الواحد على جميع الأمم ، وأن كل دين هو الدين الصحيح في نظر أتباعه ودين غير صحيح في نظر الآخرين، وإيمان أتباع كل ملة بأنهم وحدهم على حق بصحة معتقدهم، وهذا ما لا يمكن مناقشته أو دحضه أو إلغاؤه، لكن كل هذا يختلف تماما عن أهمية احترام كل طرف للآخر، وأن يؤمن كل طرف بأهمية التفاهم المشترك من أجل السلام العام، هذا هو الهدف الأساسي من الحوار الديني.[1]

ومن الضروري في الحوار بين الأديان أن يتجه المتحاورون إلى البحث عن القواسم المشتركة بين الأديان التي يجري الحوار بشأنها، والبعد عن المسائل الشائكة في قضايا العقيدة، لأن الحوار حولها في المراحل الأولى للحوار غير مجد على الإطلاق، ومن أجل ذلك ينبغي أن يركز الحوار على الأمور المشتركة وهي كثيرة، فالديانات السماوية – على سبيل المثال – تؤمن بوجود إله خالق لهذا الكون، وتؤمن بحياة أخرى بعد هذه الحياة تتحقق فيها موازين العدل بين الناس، ويجازى فيها كل على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، كما تؤمن هذه الأديان بمنظومة القيم الأخلاقية، والإيمان بذلك كله يتضمن سلوكا مستقيما ودعوة إلى المحبة والسلام بين الناس، وهذا يعني أن الحوار حول ما يجمع أصحاب الأديان من أجل خير الإنسان وتقدمه، واستقرار الأمن والسلام في العالم، وعلى هذا النحو يمكن القضاء على كثير من أشكال الصراعات الدينية في العالم، وتحقيق السلام بين الأديان الذي يعد شرطا لا غنى عنه لتحقيق السلام بين البشر.[2]

لذا يقوم حوار الأديان على الإيمان بوحدة الأصل البشري، وعلى مبدأ التعارف والتسامح الثقافي في مواجهة النظرة الاستعلائية ونفي الآخر، وإنكار نزاعات التفوق والسيطرة، والسعي إلى حماية كرامة الإنسان باعتبارها أسمى القيم الحضارية، فالحوار الذي يدعو إليه مروجوه هو حوار يحول دون استمرار نظرة كل طرف للآخر من خلال "مرآة معكوسة.[3]

(1)أحمد بغدادي ، تجديد الفكر الديني، دعوة لاستخدام العقل،ط1 ،1999م، دار المدى للثقافة والنشر،ص 15.

(2)محمد حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة، ط2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ،ص 70.

(3) يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي الفرص والتحديات، 1997، المجمع الثقافي، أبوظبي، ص ص 15،19

وينادى دعاة "الحوار بين الأديان" بضرورة طبع القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، وكذا الدمج في بناء مسجد وكنيسة ومعبد في الجامعات والمطارات والساحات العامة، فقد تبنت الماسونية[1]، وهي منظمة يهودية هدفها السيطرة على العالم ونشر الإلحاد والإباحية أطروحة "حوار الأديان" تحت غطاء وحدة الأديان ونبذ التعصب عبر النداء للتوحيد بين الموسوية والعيسوية والمحمدية، لعل انساب الديانات السماوية الثلاثة إلى أسماء الأنبياء معناه تأكيد القناعة الخاطئة، التي ترى كل الكتب السماوية ليست منزلة من الله، وهذا ما يقتضي ضمنيا الإقرار بأنها محرفة، هذا إلى جانب " الدعوة إلى التقريب بين الأديان" و" الإخاء الديني" التي أقامت لها مركزا بالقاهرة، إل جانب تأسيس" مجمع الأديان" باسم الصداقة الإسلامية المسيحية، تحت شعار" الملة الإبراهيمية"، و" المؤمنون متحدون" و "الديانة العالمية"[2]

ولهذا قال الله بشأنهم:﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]

فالدين ليس محلاً للحوار أصلاً، فإذا أُريد بالحوار خضوع الناس جميعا لنمط من أنماط الحياة البشرية، وتحويل الأساليب المتباينة إلى منظومة واحدة من الأساليب المقبولة في حضارة بعينها والقضاء على ما سواها، وهو مفهوم العولمة التي تهدف إلى الهيمنة على الجميع بعدم احترامها للخصوصية الثقافية عبر تغيير التشريعات وأنماط السلوك والعلاقات لتتحول الثقافات كلها إلى نماذج تابعة لحضارة واحدة مسيطرة، هي الثقافة المركزية

(1) الماسونية:معناها البناء، ومعناها حر، فتكون: أي البناؤون الأحرار اصطلاحا: وعرفها بعضهم بأنها: أخطر تنظيم سري إرهابي يهودي متطرف؛ من أجل السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية في كل أنحاء المعمورة. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، نشر عالم الكتب، (1429هـ-2008م)، ص(45).

(2) بكر بن عبد الله بن بوزيد، الإبطال لنظرية الخلط بين الدين الإسلامي وغيره من الأديان، 1996م، دار العاصمة للنشر والتوزيع ،الرياض، ص ص 12 ،16.

(3) سورة البقرة، الآية 109.

الغربية، فغن هذا كله لا يقبل ولا يعقل ولا يكتب له أن يستمر، ذلك أن" نواميس الكون الربانية لا تأذن لأمثالهم بالتفرد بحكم الدنيا والاستقلال بإدارتها.[1]

خلاصة واستنتاج:

ما يطلق عليه عولمة ما هو في الحقيقة إلا أمركة بفلسفة نفعية براغماتية من أجل استنزاف خيرات الشعوب والقضاء على هويتها المحلية وإحلال محلها الثقافة الامريكية في كل مناحي الحياة.

فالعولمة الأمريكية تحمل في طياتها نظرة عدائية اقصائية للحضارات الأخرى وخاصة الحضارة الإسلامية وخير دليل على ذلك الأطروحات الكبرى التي صاحبتها من نهاية التاريخ وصراع الحضارات وحوار الحضارات.إن خطورة العولمة لا تكمن في قوتها وقدرتها على الاختراق الحضاري بقدر ما تكمن في ضعف الآخر وعدم استعداده لمواجهة هذا الاختراق.ضعف ارتباط وتمسك واعتزاز المسلمين بدينهم وهويتهم الحضارية هو سبب الاختراق الحضاري.

(1) محمد سليم العوا، حوار الحضارات، ص 205.

الفصل الثاني:الخطاب العقدي

المبحث الأول: ماهية الخطاب العقدي

المبحث الثاني: خصائص الخطاب العقدي

المبحث الثالث: موضوع الخطاب العقدي

المبحث الرابع:الوظيفة الحضارية للإنسان في الحياة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: الخطاب العقدي.

الخطاب الديني باعتباره خطاب شامل لميادين الحياة، له دور كبير في وضع البذور الأساسية لبناء الحضارة، وراء كل حضارة عظيمة، خطابعظيم، فخطاب الرسولالتربوي للناس هو الذي صنع الرجال الذين وضعوا بذور الحضارة الإسلامية وكان له دور حيوي وفعال للغاية، ذلك بما احتواه الخطاب من قيم عالية، يجمع بين متطلبات الروح والجسد معا، وهذا لا يتحقق في عصرنا إلا إذا كان التوظيف التربوي للخطاب الديني ناجحا مستوفيا مفاهيمه وخصائصه ومنطلقاته وموضوعه ووظيفة الإنسان الحضارية.

المبحث الأول: ماهية الخطاب العقدي

المطلب الأول: تعريف الخطاب

الفرع الأول:الخطاب لغة:

جاء في لسان العرب: الخَطْب الشَّأْنُ أَو الأَمر، صغر أَو عظُم؛ وقيل: هو سبب الأَمر. يقال: ما خطْبك؟

أَي ما أَمرك؟ وهو الأمر الذي تَقَع فيه المخاطَبة، وفي التنزيل العزيز: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[1]،أي ما شأنكم الخطابُ والمخاطَبة: مراجعة الكَلام، والخُطْبَة اسمٌ للكلام الذي يتَكَلَّم به الخَطيب.قال الجوهري: خَطَبْتُ على المِنْبَر خطْبَةً، بالضم، رجل خَطيبٌ: حسن الخُطْبَة، وجَمْع الخَطيب خُطَباءُ قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[2]أي البيانَ الشافي في كل قصد، وهو أَن يَحْكُم بالبَيِّنة أَو اليمين، وقيل: معناه أَن يَفْصِل بين الحَقِّ والباطِل، ويُمَيِّز بين الحُكْم وضدّه[3].

(1) سورة الذاريات، الآية 31.

(2) سورة ص، الآية 20.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مج: 1 دار صادر، بيروت، ص 360.

وفي المصباح المنير: خطب، خاطبه مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسامع ومنه اشتقاق الخَطبة بضم الخاء وكسرها باختلاف معنيين فيقال في الموعظة خطب القوم، والجمع الخَطباء وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم[4].

الفرع الثاني: الخطاب اصطلاحا: قال الجرجاني في التعريفات: الخَطابَة، الغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعاظ [5].

ويعرف علماء الأصول الحكم الشرعي بأنه: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع.

و المراد بخطاب الله تعالى هو كلامه النفسي، المدلول عليه بالكلام اللفظي، وهو متناول للقرآن الكريم وغيره من سائر الأدلة الشرعية فهي خطابات الله تعالى بواسطة السنة أو الإجماع أو القياس أو غيرها من الأدلة الشرعية، فكل هذه الأدلة تعتبر معرفة لخطاب الله تعالى كاشفة عن أحكامه. [1]

المطلب الثاني: تعريف العقيدة:

الفرع الأول لغة: الحل[2]، وعقد الحبل البيع والعهد يعقده: شده[3]، وعقد البناء بالجص يعقده عقداً: ألصق بعض حجارته ببعض بما يمسكها فأحكم إلصاقها[4]، والعقد العهد، والجمع عقود وهي أوثق العهود، وتعاقد القوم تعاهدوا[5].

(4) أحمد الفيومي ، المصباح المنير، ط 1،1996 م المكتبة العصرية،بيروت،ص 92.
(5) الشريف الجرجاني ، التعريفات ،ط1، دار الفكر ، 2005 ، بيروت ،ص 72.
(1) محمد بن شاكر الشريف ، تجديد الخطاب الديني ، ط 1،2004، الرياض، ص 28.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ج 9ص309.
(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 300.
(4) ابن منظور، لسان العرب، الجزء 9، ص309 ، 310 ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 614/2.
(5) ابن منظور، لسان العرب، ج 9 ،ص309-310، ومجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 614/2.

ومن جماع المعنى اللغوي قول «ابن فارس»: «وعقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه(لزمه)، واعتقد الشيء: صلب، واعتقدالإخاء: ثبت».[1]

الفرع الثاني: اشتقاقات كلمة العقيدة في استخدام القرآن والسنة

هناك عدد من الآيات القرآنية تضمنت لفظ (عقد) وبعض مشتقاته، دون لفظ العقيدة وفيما يأتي عرض لها بهدف الوقوف على معانيها في السياق القرآني، وهي:

قوله تعالى:﴿ٱضطظعجعمغجﱠ[2] أي والذين تحالفتم بالأيمان المؤكدة أنتم وهم، فآتوهم نصيبهم .... كما وعدتموهم في الأيمان المغلظة [3].قوله تعالى:﴿ٱنزنمننىنيىيريزيمينيىيﱠ[4] (بِمَاعَقَّدتُّم الأَيْمَانَ) أي بتعقيدكم الأيمان، وهو توثيقها بالقصد والنية [5].

ومما قاله ابن عاشور في سياق تعليقه على القراءات الواردة في كلمة (عقدتم): إن مادة العقد كافية في إفادة التثبيت، وإن التعبير عن «التوثق بثلاثة أفعال في كلام العرب: عقد المخفف، وعقد المشدد وعاقد[6]».

-قوله تعالى: ﴿ٱثىثيفىفيقىقيﱠ[7]، (أَوْفُواْ بِالْعُقُود) قال: الطبري يعني: أوفوا بالعهود التي عاهدتم بها ربكم، والعقود التي عاقدتموها إياه، وأوجبتمَ بها على أنفسكم حقوقا، وألزمتم أنفسكم بها الله فروضاً.

-قوله تعالى﴿ٱئرئزئمئنئىﱠ[1]

(6) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 4ص86.

(7) سورة النساء، الآية 33.

(8) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1 ،141هـ ، 1990م، دار الخير، بيروت، ج1ص534.

(1) سورة المائدة، الآية 89.

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 658.

(6)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ،ط1 ،2000م ،مؤسسة التاريخ العربي ،لبنان ،ص ، ص 19.

(7) سورة المائدة، الآية 1.

المراد بها (النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) النساء الساحرات والعقد جمع عقدة وهي ربط في خيط [2].

وكما يلحظ فإن معاني مادة (عقد) واضحة في دلالاتها على: التوثيق والتثبيت والتأكيد. وأما ورود كلمة عقد في السنة، فلم يثبت ورود كلمة العقيدة بهذه الصيغة، وما ورد في الكتب التسعة هو أحد الألفاظ الأربعة الأتية:

عقَد (بفتح القاف)، وعقْد (بتسكين القاف)، وعِقْد (بكسر العين وتسكين القاف)، والعُقَد (بضم العين وفتح القاف).

وجميعها تقدم ورودها وهي متفقة المعنى مع ما سبق بيانه في الاستخدام القرآني واللغوي (الربط والشد). إلا كلمة عقْد أو العِقْد (بكسر العين وتسكين القاف)، فقد وردت في سياق حادثة الإفك وضياع عِقْد عائشة رضي الله عنها وقال ابن حجر في معناه: عقد بكسر العين: قلادة تعلق في العنق للتزين بها.

الفرع الثالث: العقيدة في الاصطلاح العام:

تعرف العقيدة بالاصطلاح العام بأنها: كل تصور ذهني انطوت عليه نفس الإنسان، واطمأن إليه قلبه، واستقينها صاحبها على نحو لا يمازجه ريب ولا شك.[3]

وهذا المفهوم للعقيدة، مفهوم عام يصدق على أي معتقد سواء أكان سماوياً أو أرضياً، وسواء أكان حقاً أم باطلاً.فالشيوعية لدى معتنقيها عقيدة، والديمقراطية لدى متبنيها عقيدة، والعلمانية لدى دعاتها عقيدة، والتثليث لدى النصارى عقيدة.

تعريف العقيدة الإسلامية:حيث وردت لها تعاريف عدة في مؤلفات العقيدة، منبينها:

(1) سورة الفلق، الآية 3.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص630.

(3)سمارة إحسان عبد المنعم، مفاهيم أساسية في العقيدة الإسلامية،ط 2 ،1426 هـ ،2005 م، دار الكتاب الثقافي، أربد،، ص16.

- يعرف «عمرالأشقر» العقيدة الإسلامية بأنها: «أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقدها في قلبه لأن الله تعالى أخبر بها بطريق كتابه أو بطريق وحيه إلى الرسول»[1].
- ويعرفها «مصطفى الخن» بأنها: «العلم الذي يبحث فيما يجب على الانسان أن يعتقده ويؤمن به ويقيم عليه البرهان الصحيح الذي يفيد اليقين» وهيكذلك: «المبادئ الدينية نفسها التي تثبت بالبرهان القاطع»[2].
- ويعرفها «محمد ملكاوي»: «بأنها مجموعة الأمور الدينية التي يجب على المسلم أن يصدق بها قلبه وتطمئن إليها نفسه وتكون يقيناً عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب»[3].
- ويعرفها «إحسان سمارة» بأنها: الفكرة الكلية عن الكون والانسان والحياة، وعما قبل الحياة الدنيا، وعما بعدها، وعن علاقتها جميعا بما قبل الحياة وما بعدها»[4].
- ويعرفها «عبد الرحمن الزنيدي» بأنها: المباحث المتعلقة بالله من حيث وجوده وربوبيته وإلهيته وأسماؤه وصفاته والأنبياء ورسالاتهم والكتب المنزلة والسمعيات كالملائكة والقدر والحياة البرزخية والأخروية وأمثالها»[5]

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرف الخطاب بأنه إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم،واللغة في ذلك هي أداة الخطاب يعني وعاء الأفكار.

وعليه فالخطاب الإسلامي هو الرسالة التي نزلت من فوق سبع سماوات عن طريق الوحي، لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم وأنفسهم وغيرهم، وهذا الخطاب هو الذي يحدد المصلحة من

(1) عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله،ط5 ،1414 هـ ، 1984 م ،مكتبة الفلاح ،الكويت ،ص 9.
(2) مصطفى الخن،العقيدة الإسلامية، ط 1423،4هـ ، 200 م ،دار ابن كثير ،دمشق ،ص 18.
(3) ملكاوي، محمد أحمد،عقيدة التوحيد في القرآن الكريم،ط 1412هـ ، 1992 م، دار ابن تيمية، الرياض،،ص20.
(4)إحسان عبد المنعم سمارة، مفاهيم أساسية في العقيدة الإسلامية، ص16.
(5)عبد الرحمان بن زيد الزنيدي، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر،ط1 ،1418هـ، 1998 ،دار اشبيلية ،الرياض ،ص16.

المفسدة،والصالح من الطالح، والمستقيم من المعوج، والمؤمن من الكافر، والصواب من الخطأ، ويقرر السلم من الحرب، وهو الميزان الذي يفصل في ميزان الخلق إلى الجنة أو النار، هذا هو الخطاب.

المطلب الثالث: منطلقات الخطاب العقدي.

يقوم خطاب الإسلام على أساسين بينهما ارتباط وثيق وامتزاج وتلازم إلى حد عدم الانفصال، وهما مجتمعان يشكلان الخطاب الإسلامي

1. المنطلق النقلي:

الخطاب الديني هو الذي ينطلق في الأساس من النصوص النقلية من القرآن والسنة ، محققا جملة من الأهداف تصب في مقاصد الشريعة الإسلامية وأبعادها، حيث يتعلم المسلم أن القرآن والسنة مصدران أساسيان للخطاب الديني بما احتواه من إعجاز لغوي وبلاغي وتشريعي، لا يمكن أن يضاهيهما أي خطاب آخر، وبهذا الخطاب القرآني النبوي تتحقق أهداف وخصائص الخطاب الديني.

2. المنطلق العقلي:

العقل هو وسيلة لفهم أبعاد ومقاصد الخطاب الديني، بحيث يبقي على ما هو ثابت غير قابل للتغيير والتطوير كتعاليم الإسلام ومبادئ العقيدة وأركان الدين، ويجتهد فيما لا نص فيه، فيبدع العقل في ترقية الخطاب الديني الذي يواكب العصر وينهض بالفكر الإسلاميويشجع على الإبداع، وينفر من الجمود والانغلاق، ويؤكد على القيم والمفاهيم الإنسانية مثل الإخاء والإيثار والتعاون والعدل والمساواة، ويبرز إنجازات الحضارة الإسلامية، ويستلهم منها الدروس والعبر للتشجيع على التقدم العلمي والتكنولوجي والحضاري.([1])

(1)أحمد الحصري ،نظرية الحكم ومصادر التشريع ،ط 1، 1986، دار الكتاب العربي ، ص 31

المبحث الثاني: خصائص الخطاب العقدي.

لا شك أن خصائص الخطاب العقدي الإسلامي هي خصائص الإسلام نفسها بشكلها الإجمالي ذلك لأن الخطاب -كما مر سابقاً في مفهومه-ليس هدفا بحد ذاته بل هو الطريق للهدف وهو العقيدة الإسلامية، ومع ذلك سأوضح الجانب العقدي خصوصا من تلك الخصائص. ولقد أشار غير واحد من علماء ومفكري الإسلام إلى هذه الخصائص مثل سيد قطب في كتابه (خصائص التصور الإسلامي) الذي ركز على الجانب الفكري والعقدي ([1]) بينما الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (الخصائص العامة للإسلام) كان أشمل في طرحه بحيث شمل الجانب العقدي والتشريعي وغيرها من الجوانب الحياتية، وهذه الخصائص هي[(2)]:

المطلب الأول: الربانية.

الربانية: مصدر صناعي منسوب إلى الرب زيدت فيه الألف والنون . على غير قياس .

ومعناه الانتساب إلى الرب أي الله . سبحانه وتعالى . ويطلق على الإنسان أنه رباني إذا كان وثيق الصلة بالله، عالماً بدينه وكتابه معلما له، قال تعالى: ﴿ **ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم** بن بى بي تر **تز تم** تن تى تي **ثر ثز ثم ثن ثى ثي**﴾[(3)]

والمراد من الربانية هنا أمران:

أولا: ربانية الغاية والوجهة:

(1)سيد قطب،خصائص التصور الإسلامي ومقوماته،ط12، 1992 م ،دار الشروق ، القاهرة .

(2) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ط3، ،1986 م 1406 هـ،مكتبة وهبة،ص 34.

(3)سورة آل عمران، الآية: 79.

نعني بذلك أن الخطاب العقدي يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد هو حسن الصلةبالله تبارك وتعالى والحصول على مرضاته، فهذه هي غاية الإسلام لأن المؤمن يعلم حاله سيؤول الى خالقه وقد نسمي هذا الأمر بالإخلاص، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (1).

وهذا لا يمنع وجود غايات أخرى نبيلة ولكنها كلها تهدف إلى الهدف الأكبر وهو رضى الله سبحانه وتعالى، فالتشريعات مقصودها تنظيم الحياة والجهاد وقتال الأعداء مقصوده ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾(2).

وكل ما في الإسلام من تشريع وتوجيه وارشاد إنما يقصد الى إعداد الانسان ليكون المبدأ خالصا لله لا لأحد سواه، ولهذا كان روح الإسلام وجوهره هو التوحيد.

وغاية خلق الجن والانس عبادة الله قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾(3).

بل إن غاية خلق العالم كله علويه وسفليه، سماواته، وأرضه هي معرفة قدرة الله تعالى،قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾(4) .

فالخطاب الإسلامي العقدي لايغازل رأياً ولا يرائي أحداً، لأنه ليس مقصوده ذلك الشيء بل مقصوده رب الأشياء مما يعطي الخطاب أصالة وصدقاً وهذا من أسرار التأثر بالخطاب الإسلامي في كل وقت وفي كل حين.

ثانياً: ربانية المصدر والمنهج:

(1) سورة النجم، الآية :42.

(2) سورة الانفال، الآية : 39.

(3)سورة الذاريات، الآية 56.

(4)سورة الطلاق، الآية 12.

ومعناه أنّ المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى أهدافه وغاياته منهج رباني خالص، لأنّ مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾[1]وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2]،وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3]،وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[4] ،وقال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[5] .

وبهذه الآيات السابقة تتضح الربانية في مصدرها ومنهجها، فهي من الله تحمل البرهانوالدليل وهي واضحة تماما كالنور المبين، كما فيها خلاص ونجاة، لأنها موعظة وهي تجيب عن كل شيء فتشفى الصدور، لذلك هي هداية ورحمة ذلكم هو المنهج الربانيوتلك خواصه ومميزاته وهي تنعكس بالضرورة على خطابه سيما الإعتقادي منه.

ثمرات الربانية:

أ- معرفة غاية الوجود الإنساني:

وهو أنْ يعرف الانسان لوجوده غاية، ويعرف لمسيرته وجهة، ويعرف لحياته رسالة، وبهذا يحس أن لحياته قيمة ومعنى،وأنه ليس ذرة تافهة تائهة في الفضاء كالذين جحدوا الله تعالى أو شكوا فيه فلم يعرفوا: لماذا وجدوا؟ ولماذا يعيشون؟ ولماذا يموتون؟أما المؤمن، فحاله حال سيدنا إبراهيم الخليل

(1)سورة النساء، الآية 174.

(2)سورة يونس، الآية 57.

(3)سورة الأنبياء، الآية 107.

(4)سورة النحل، الآية 89

(5)سورة إبراهيم، الآية 1.

عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[1] .

هذا هو حال من سار على منهج الله الرباني فهو سعيد لأنه يعرف لماذا وجد وهو سعيد لأنه يعرف لماذا يعيش وهو سعيد لأنه بعرف مصيره فهو وجد للعبادة وهو يعبد الله لذلك، وسوف تكون النهاية جزاءه من جنس عمله فالطريق واضح ومنير بخلاف الاخرين.

وذلك كله يكون للخطاب مقصوده الأصيل قد تحقق لا لذاته فحسب وإنما لنبعه وأساسه ولتتحقق ثمراته وخصائصه سيما ربانيته.

ب- الاهتداء الى الفطرة:

إنّ من ثمرات الربانية أن يهتدي الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها، والتي تطلب منه الايمان بالله تعالى ولا يعوضها شيء غيره بقوله تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[2].

وإذا اهتدى الانسان إلى فطرته فإنه يعيش في سلام ووئام مع نفسه ومع فطرة الوجود الكبير من حوله، فالكون كله رباني الوجهة، يسبح بحمد الله قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [3]

(1)سورة الشعراء، الآيات: 77، 82.

(2) سورة الروم، الآية: 30.

(3)سورة الإسراء، الآية 44.

فالفطرة بذاتها غير مستقرة كالأرض العطشى التي لا يصلحها إلا الماء وكذا الإيمان للفطرة. قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] .

وسرعان ما تتذكر هذه الفطرة خالقها وإن حاول إخفائها المخلوق قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[2].

إذا تبين ذلك جلياً علم أن الفطرة من أهم ثمرات الربانية، فبالتالي هي ركيزة أساسية في الخطاب العقدي يعتمد عليها للتدليل عليها ذاتها من الناحية النظرية وليعلم الانسان أنها جزئ منه من الناحية العملية وبالتالي الوصول إلى غاية الخطاب المنشودة.

ج- سلامة النفس من التمزق والصراع:

لقد اختصر الإسلام غايات الإنسان في غاية واحدة هي إرضاء الله تعالى وهذه هي غاية التوحيد التي فيها سعادة الإنسان، فلا يعبد إلا الله ولايخاف إلا الله .... الخ.

قال تعالى ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]، إن الله تعالى ضرب لنا مثلاً عقلياً يوضح سعادة الموحد ويوضح فيها أيضاً شقاء المشرك قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].فمن يقول إنهما مستويان فأيهما السعيد وأيهما الشقي؟ وقال تعالى على لسان

(1)سورة لقمان، الآية 25.

(2) سورة الاسراء، الآية 67.

(3)سورة آل عمران، الآية 101.

(4)سورة الزمر، الآية 29.

يوسف عليه السلام ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾(1).

إن الخطاب الإسلامي واحد في غايته و واحد في مصدره، ودعوته واحدة رمزها التوحيد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾(2).

إذا فالنهاية السعادة للمخاطبين والوضوح في رسالاته شأنه شأن ربانيته كما أن الخطاب العقدي خال من التمزق والصراع بسبب ربانيته، ولذا لن يؤدي إلى التناقض والتطرف وهي الثمرة التالية.

د- العصمة من التناقض والتطرف:

إن البشر بطبيعتهم يتناقضون ويختلفون من عصر إلى عصر بل في العصر الواحد من زمن إلى آخر، ومن قطر إلى قطر بل في القطر الواحد من إقليم إلى آخر .... الخ.

بل إن الفرد نفسه يختلف تفكيره باختلاف زمانه ومكانه، فحالشبابه ليس كحال شيخوخته في تفكيره وحبه وبغضه.... الخ.

وهذه هي طبيعة النفس البشرية فلا بد من التناقض والاختلاف في مناهج التصور والاعتقاد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ (3).

إذن فالخطاب الإسلامي وإن كان للبشر دور في صياغته وترتيبه إلا أنه إذا كان متصلاً اتصالاً وثيقاً بالربانية والخصائص الأخرى فإنه سيكون معصوما من التناقض والتطرف.

(1)سورة يوسف، الآية 39.
(2)سورة الأنبياء، الآية 25.
(3)سورة النساء، الآية 82.

وما نراه في عالمنا من تطرف وتناقضات سببه إما غياب الخطاب الإسلامي بالكلية أو غياب الخطاب الإسلامي الأصيل في منهجه وربانيته.

هـ-العدل وعدم التحيز واتباع الهوى:

إن من ثمرات الربانية العدل وعدم التحيز واتباع الهوى، لأن الله تعالى مالك كل شيء، ولأنه غني عن كلشيء، ولأن الله أمر بالعدل ويحب القسط، كما نهى عن الظلم واتباع الهوى، قال تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (1).

فالخطاب الإسلامي قائم على العدل وعدم التحيز وعدم اتباع الهوى فيطرحه وأسلوبه وهو غير معني بجهة دون جهة أو أناس دون غيرهم أو جنس دون جنس أو طبقة دون طبقة .... الخ.

و-الاحترام والسهولة في الانقياد:

كما أن الإسلام رباني، فكذا الخطاب فللخطاب مكانته واحترامه، لأنه يدعو إلى رب الأرباب وخالق كل شيء وإذا كانت هذه القدسية للخطاب فلأنه كذلك وبالتالي سيكون الطوع كل الطوع للمنهج الرباني الذي غايته إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

ز-التحرر من عبودية الإنسان للإنسان:

إن العبودية أنواع وألوان ومن أشدها خطراً وأبعدها أثراً خضوع الانسان لإنسان مثله، لأن فيه إعطاء حق الخالق للمخلوق وأي مخلوق الذي سخر الله له الكون بأكمله ليعبده وحده لا شريك له، وهو بإدراكه وبفطرته يعلم أنه لا يستحق العبادة ثم هو يتأله على الله...الخ.

قال تعالى:﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (2)

(1)سورة النحل: الآية 90.

(2) سورة التوبة، الآية31.

فدعوة الإسلام دعوة تحريره من عبودية المخلوق إلى عبودية الخالق، وكذا الخطاب للإسلام فهو يحمل في طياته التحرر من كل شيء إلا الله فليس لأحد عليه سلطان إلا الله فهو عن تحررية عن الأصنام البشرية وغير البشرية لينعم الانسان بخيري الدنيا والآخر

المطلب الثاني: الإنسانية

إن الإنسانية تتجلى في الخطاب العقدي كونها مقصودة الخطاب وأحد أطرافه المهمة سيما وأن الخطاب قائم بالأصل لأجل هذا الإنسان وسعادته والخروج به من تيه وظلمات الخطابات الأخرى إلى نور الخطاب الإسلامي قال تعالى:ﱡالٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﱠ[1]إن القرآن الكريم الذي هو أحد مصادر الخطاب الإسلامي الأصيلة يهدي إلى الخطاب الإسلامي الذي هو صراط الله العزيز الحميد.

ومن الأدلة والبراهين على أن الخطاب الإسلامي إنساني بطبعه وأسلوبه وهدفه ما يلي:

أ- أنه جعل الانسان خليفة الله في أرضه، قال تعالى لملائكته: ﱡ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﱠ [2].

وقال تعالى: ﱡوَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﱠ [3].

ب- أنّه كلّف الانسان بحمل هذه الرسالة العظيمة:

(1)سورة إبراهيم، الآية 1.

(2)سورة البقرة، الآية 30.

(1) سورة هود، الآية61.

التي لم يستطع السماوات والأرض والجبال أن يحملنها قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [1] وإنّ من يحمل الرسالة سينقلها بالطبع حتى لا يكون مثله كمثل الحمار يحمل أسفاراً وإلا لم يكن هناك معنى للحمل، وهذا ما أعابه الله على أمثال هؤلاء من بني إسرائيل﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] .

ج- أنّه ترك للعقل -في مجال العقيدة-أن يهتدي إلى أعظم حقيقتين في هذا الوجود:

الحقيقة الأولى:وجود الله ووحدانيته فوجود الله كما تهدي إليه الفطرة السليمة يقتضيه كذلك النظر الصحيح، والعقل الصريح، ولا غرو إذ أقام القرآن الأدلة من الكون ومن النفس على وجود الله سبحانه وتعالى:﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[3]، ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[4] .

ويتبع ذلك الأدلة العقلية التي ذكرها القرآن على وحدانية الله بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[5]

في موضع آخر يقول: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[6].

(1)سورة الأحزاب، الآية 72.

(2)سورة الجمعة، الآية 5.

(3)سورة فصلت، الآية 53.

(4)سورة الطور، الآية 35، 36.

(5)سورة الأنبياء، الآية 22.

(6) سورة المؤمنون، الآية 91.

الحقيقة الثانية:«ثبوت الوحي والنبوة والرسالة فالعقل هو الذي يثبت امكان ذلك ووقوعه بالفعل وأن هذا الشخص المعين رسول من عند الله»[1] .

إذا كان هذا في مجال الاعتقاد والحقائق العظيمة فكيف بغيرها من المجالات الكونية والاجتماعية والبشرية وغيرها، فإنها سبيل لحصر الأمثلة على ذلك.

ثمرات الإنسانية:

أولا: الأخوةونعنى به أخوة بني الإنسان ذلك لأنّ أباهم واحد وأمهم واحدة وهما آدم وحواء ولقد كان القرآن الكريم وهو رمز الخطاب الإسلامي-كما أوضحنا سابقاً -يوحد البشرية في كثير من نداءاته كقوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2] فالأخوة الإنسانية تساعد في استقبال الخطاب الإسلامي وسرعة تلقيه بحيث يشعر المخاطَب بوحدة حال مع المخاطب وأنه يسعى لمصلحته لا إلى هلاكه، والأثار والأدلة من السنة كثيرة على هذا المعنى من سيرته العطرة التي كانت ترجمة للقرآن الكريم.

إن من أهم ركائز الإيمان بعد الدخول في الإسلام أن يكون المؤمنون أخوة قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3]ولذا آخى النبيين المهاجرين والأنصار في المدينة.

ثانياً: العدل والمساواة:

(1)يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام،مصدر سابق، ص56.

(2)سورة النساء، الآية 1.

(3)سورة الحجرات، الآية 10.

(5)سورة الحجرات، الآية 13.

إن الخطاب الإسلامي ينظر إلى الإنسان من حيث هو انسان فحسب، فلا يميز باللون ولا بالعرق؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾(5)

فلا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى لأنهم في نظر الإسلام كلهم عبيد الله

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾(1) .

«أما الحضارة الغربية فقد أعلنت المساواة مبدءاًوفكرة، ولكنها عجزت عن تحقيقها في مجتمعاتها، ولا زالت مشكلة ـ التمييز العنصري ـ حية قائمة»(2) .

(1)سورة المائدة، الآية 8.

(2)يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص 94.

المطلب الثالث: الشمول.

إن الشمول الذي نعنيه هو كل تتضمنه كلمة الشمول من معان وأبعاد، فهوشمول يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة كلها، بل يستوعب كيان الإنسان كله.

ولقد استحقت -العقيدة الإسلامية- هذا الشمول من خالقها ذلكم لأن الله أراد أن يكون الإسلام آخر الرسائل منه وأن يكون نبيه محمدآخر الأنبياء والمرسلين على الإطلاق فكان من حكمته جل شأنهوتعالت أسماؤه أن يجعل الدين شاملاً وأن يجعل العقيدة شاملة قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[1].

فالعقيدة الإسلامية توصف بالشمول من أي جانب نظرت إليها:

أ- «فهي توصف بالشمول: باعتبار أنّها تفسر كل القضايا الكبرى في هذا الوجود، القضايا التي شغلت الفكر الإنساني، ولا تزال تشغله وتلح عليه بالسؤال».[2]

ويقول ابن القيم الجوزي: «فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص: عموم بالنسبة إلى المرسل إليهم، وعموم بالنسبة إلى ما يحتاج إليه من بعث إليه في أصول الدين وفروعه، فرسالته كافية، شافية عامة، لا تحتاج إلى سواها ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا، فلا يخرج أحدٌ من المكلفين عن رسالته ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة في علومها وأعمالها عما جاء به وقد توفي رسول الله وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علماً، وعلمهم كل شيء، حتى آداب التخلي وآداب الجماع والنوم والقعود والقيام

ثم عدد أمثلة كثيرة في مجال العقيدة والشريعة ثم قال: «وبالجملة فقد جاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ولم يحوجهم إلى أحد سواه»[1].

(1)سورة الأحزاب، الآية 40.

(2)يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص 102.

إن شمول الشريعة وإحاطتها يؤكد على الحاجة الماسة إلى المجددين الذين يدلون على الصراط المستقيم في كافة شؤون الحياة وذلك بالنظر لطبيعة تركيب الأمة الإسلامية ودخول الأجناس باستمرار في الإسلام، يلزم معه التجديد المستمر وهو أحد أسرار ديمومتها وبقائها وصلاحها إلى يوم الدين.

ب- وتوصف بالشمول لأنّها لا تجزئ الإنسان إلى إلهيناثنين كالمجوسية إله الخير وإله النور.

ج- وتوصف بالشمول لأنّها لا تعتمد في ثبوتها على الوجدان وحده، كما هو شأن الفلسفاتالإشراقية، وكما هو شأن المسيحية التي ترفض تدخل العقل في العقيدة رفضاًباتاً، وهي كذلك لا تعتمد على العقل وحده كما هو شأن جل الفلسفات البشرية التيتتخذ العقل وسيلتها الفذة في معرفة الله وحل ألغاز الوجود.

وإنما تعتمد على الفكر والشعور معاً أو العقل والقلب جميعاً باعتبارهما أداتين متكاملتين من أدوات المعرفة الإنسانية.

د- وهي عقيدة لا تقبل التجزئة فيجب الإيمان بها كلها، ومن كفر بشيء منها فلا يعدُّ مؤمناًقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾(2).

هـ- أنّها شاملة في ربوبيتها، وألوهيتها وأسماء الله وصفاته.

و- أنّها شاملة في إيمانها بالله وملائكته وكتبه ورسله والقضاء والقدر خيره وشره واليوم الآخر.

(1)ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين،ج4، دار الجيل بيروت، ص ص375، 376.

(2)سورة النساء، الآيات (150 ، 151).

ولاريب أن الله خلق كل شيء وكان في تمام الاتزان والتقدير قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾[1].ومن ذلك:

أ- الكون وما فيه قال تعالى ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾[2] ، إن الناظر لهذا الكون من أصغر شيء فيه وهي الذرة، إلى أكبر شيء وهما الشمس والقمر ليلحظ التوازن التام فالشحنات منها السالب والموجب حتى تستقر الذرة ولو اختل أي شيء في الكون لانقلب رأسا على عقب: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴾ [3] ،وقال تعالى﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[4].

ب- أما الإنسان فذلك المخلوق العجيب لا يصلح حاله إلا بالتوازن في حال ارتفاع نبضه وانخفاضه وفي عمل أجهزة جسمه الدقيق، بل حتى في تنفسه .... الخ.

قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[5]وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[6].

(1)سورة القمر، الآية49.
(2)سورة الرحمن، الآية 5.
(3)سورة الرحمن، الآية 37.
(4)سورة يس، الآية 40.
(5)سورة الذاريات، الآية 21.
(6)سورة البقرة، الآية143.

وتفسير الوسط في الآية بالعدل رواه غير واحد عن النبي صلي الله عليه وسلم [1] قال الطبري :«وأنا أرى الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين مثل (وسَّط الدار)محرك الوسط مثقله ،غير جائز في سينه التخفيف .وأنا أرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلو بالترهيب وقولهم في عيسى ما قالوا فيه ،ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلو اكتاب الله وقتلوا أنبيائهم وكذبوا على ربهم وكفروا به ،ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها »[2].

ولا شك أن الخطاب الإسلامي وسط في اعتقاده؛ ومن ذلك:

أ- فهو وسط بين الخرافيين الذين يصدقون بدون برهان ودليل وبين الماديين الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوس دون الالتفات إلى الفطرة والعقل وما يدلان على غير المحسوس من غيب وغيره.

ب- ووسط بين الملحدين الذين ينكرون الله رغم عقولهم الدالة على عظمة الخالق كافرين بما أيقنت به نفوسهم ([3])قال تعالى: ۞ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ[4].

ج- و وسط بين من جعل الإنسان إلهاً، وبين من جعل الإنسان مجبوراً غير مختار راداً بتلك الوسطية على الجبرية[5]وعلى القدرية[1] في نفس الوقت.

(1) ابن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، ج2،ط 1،1421 هـ، 2001 م، دار الفكر ،بيروت ص 746.

(2)ابن جرير الطبري، نفس المصدر، ج2، ص 745،746.

(3)سيد قطب،خصائص التصور الإسلامي ومقوماته،ص ص114، 115.

(4)سورة النمل، الآية: 14.

(5)الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الله تعالى.فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعلأصلا.والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا.فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرما في الفعل وسمي كسبا فليس بجبري، الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق محمد سيدكيلاني، ج1ص85.

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴾[2].

د- و وسط بين من قدسوا الأنبياء حتى أوصلوهم إلى مرتبة الألوهية وبين من اتهمهم بالكذب والزنا والقمار وكافة الخسائس التي لا تليق بآحاد الناس فضلا عن أخيارهم من الأنبياء والرسل، كما ذكر ابن جرير انفا عن النصارى واليهود.

هـ- و وسط بين من لا يعتد إلا بالعقل دون الوحي ومن لا يقيم للعقل مكانه ودوره.

إن كل ما سبق ينعكس بصورة مباشرة على طبيعة الخطاب الإسلامي مما يجعله مميزا دون غيره من الخطابات آخذا بعين الاعتبار اجتماعها كلها ليكون لها الكمال ككمال صاحب الخطاب وهو رب الأرباب سبحانه وتعالى

المطلب الخامس: الواقعية.

يقصد بالواقعية: «مراعاة واقع الكون من حيثهو حقيقة واقعة ووجود مشاهد ولكنه يدل على حقيقة أكبر منه ووجود أسبق وأبقى من وجوده، هو وجوب الواجد لذاته وهو وجود الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا»[3] لقد راعى الخطاب العقدي الإسلامي حقيقة الإنسان من حيث إنه مادة وروح ونظر بعين الاعتبار إلى طابع الكون وهو بذلك لم يخل عن المثالية المنشودة لأن المثالية أمر فطري في الإنسان فالإنسان يبحث عن الرقي والمثل الأعلى دائماً وهي واقعية مثالية أو

(1)يسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا وقالوا : لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازا من وصمة اللقب إذ كان الذم به متفقا عليه لقول النبيعليه الصلاة والسلام: القدريةمجوسهذهالأمة.وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ الضد على الضد وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «القدرية خصماء الله في القدر» الشهرستاني. ج1ص45،43.

(1)سورة الرعد، الآية 11.

(2) يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام،مصدر سابق، ص142.

مثالية واقعية، فقد سلمت من إفراط غلاة المثاليين ومن تفريط الواقعيين من البشر»[1] قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

واقعية العقيدة الإسلامية:

«جاء الإسلام بعقيدة واقعية، لأنها تصف حقائق قائمة في الوجود لا أوهام متخيلة في العقول حقائق يقبلها العقل، وتستريح إليها النفس وتستجيب لها الفطرة السليمة[3].

ومن مظاهر واقعيتها:

أ-أنها تدعو إلى الإيمان بإله واحد تدل عليه آياته الكونية ذو أسماء وصفات تقبل بها الفطرةالسليمة والعقول الصحيحة قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4].

ب-أنها تدعو إلى الإيمان بالأنبياء والمرسلين وأن خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم وأنه من البشر يوحى إليه كما أوحي إلى النبيين من قبله وأنه ليس بدعاً من الرسل وأنه جاء برسالة إخوته السابقين وأنه جاء رحمةللعالمين.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [5]

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[6].

(3) المصدر نفسه، ص 143.

(4)سورة الملك، الآية 14.

(5) يوسف القرضاوي ، نفس المصدر السابق، ص146.

(1)سورة آل عمران، الآية 190.

(5)سورة الكهف، الآية110.

(6)سورة النساء، الآية163.

وقال تعالى:﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1] ،وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

ج- تدعو إلى الإيمان بحياة أخرى بعد هذه الحياة سرمدية أبدية.

قال تعالى:﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[3].فمن الواقع أن تكون حياة غير هذه الحياة يكون فيها الجزاء لعمل الانسان سواء خيراً أو شراً.

د- الإيمان بالجزاء الإلهي العادل.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[4].

وقال تعالى:﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[5].

(1)سورة الأحقاف، الآية 9.

(2)سورة الأنبياء، الآية 107.

(3)سورة العنكبوت، الآية 64.

(4)سورة الجاثية، الآية 21.

(5)سورة الزلزلة، الآيات: 7-8.

المبحث الثالث: موضوع الخطاب العقدي

وتتجلى موضوعات الخطاب العقدي فيما يلي:

المطلب الأول: الألوهية

فغير خاف على من عنده أدنى إلمام بعلم العقيدة ما لتوحيد الألوهية من الأهمية؛ فهو توحيد العبادة، والعبادةُ هي الغاية المرضية والمحبوبة لله عز وجل وهي الغاية العظمى والمقصود الأسمى؛ فلأجلها خلقت الجنة والنار، وقام سوق الجهاد بين المؤمنين والكفار، ولأجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، ثم إن توحيد الألوهية دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، ومن اقتفى أثرهم من العلماء، والدعاة والمصلحين.

قضية الألوهية من أخطر وأكبر قضايا العصر الحالى لما نمر به من تعدد العداء للاسلام من ملحدين وصليبيين وتنصيريين وشيوعيين المهم أن الكل يحارب الإسلام تقرق شملهم وعلى الاسلام اجتمعوا تحت راية واحده أبيدوا الإسلام دمروا أهله ولكن يأبى الله الا ان يتم نوره نبراسا مضيئا للعالمين لا تنطفئ انواره ولا تنهزم براهينه له فى كل ساعة آيه وفى كل حركة وسكون دليل على أنه الواحد الأحد الواجد الماجد تعالى قدره وتعاظمت قدرته.وقضية الألوهية هى الإثبات النقلي والعقلى على وجود الله سبحانه،ومنهج القرآن الكريم في عرض قضية الألوهية كالتالي:

إهتم القرآن الكريم اهتماما كبيرا بعرض قضية الألوهية، لأنها أساس الدين كله، فالالتزام بأحكام الدين ناشئ عن الإيمان بوجود الله ووحدانيته وصفاته، وقد قام القرآن الكريم بعرض هذه القضية على أسس منها:

أ-**مخاطبة العقل**: وجه القرآن الكريم أنظار الناس إلى النظام المحكم الدقيق الذي ينظم الكون كله بسمائة وارضه وما فيها من مخلووقات ودعاهم إلى التفكير فيها للاستدلال بذلك على وجود الخالق وقدرته فمن غير المعقول أن يوجد هذا الكون بلا موجد، ولا بد أن يكون وراء هذا

الابداع والاحكام والاتقان إله[1] خبير حكيم في خلقه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[2]

ب- **مخاطبة العاطفة**: خاطب القرآن عاطفة الناس ولم يكتف بمخاطبه عقولهم ذلك ليرتبط المسلم بربه ارتباطا قويا يقوم على العواطف الآتية:

- ✓ الحب: فالقرآن وجه الناس إلى حب الله تعالى لما يتصف به من صفات الكمال والجلال والجمال وماسيبغه عليهم من نعم ظاهرة وباطنة،قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[3] فالحب يبعث على طاعة المحبوب والتقرب منه.
- ✓ الرجاء: فالمغفرة والرحمة من صفات الله تعالى التي بينها القرآن فالله سبحانه سقبل توبة عباده ويحبهم ويرضى عنهم وهذا الامر يدفع إلى التوبة والاجتهاد في العبادة وعدم اليأس من رحمة الله , قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4].
- ✓ الخوف: بين القرآن أن الله سبحانه قوي جبار شديد العقاب وذكر القرآن من مشاهد يوم القيامة ما يملا النفوس خشية ورهبه قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[5].

(1)سفر بن عبد الرحمن الحوالي،توحيد الألوهية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشتكة الإسلامية،رقم الدرس 106ص Net .www .htt // islameb20 .

(2)سورة الغاشية، الآية17: 20.

(3)سورة النحل، الآية23.

(4)سورة الزمر، الاية53.

(5)سورة الزمر، الآية16.

ج-**التأكيد على صفات الكمال لله وحده:**أكد القرآن على صفات الكمال التي يتصف بها الله سبحانه كالرحمة , والعلم , والحكمة , والقدرة كما أكد على أن الله منزه عن كل عيب ونقص فهو سبحانه لا يعجزه شيء , ولا يغيب عن علمه شيء , ولا تأخذه سنه ولا نوم , وهو منزه عن مشابهة مخلوقاته قال تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[1]ولذلك يعجز العقل عن تصور ذات الله سبحانه لأنه لا شبيه شيئا من المحسوسات التي يعافها الناس ، وقد قال العلماء : كل ما خطر ببالك فالله سبحانه خلاف ذلك ومن خلال ما تقدم يتضح أن التصور الاسلامي عن الله يتميز عن التصورات الاخرى التي تتنافى مع كمال الله سبحانه،ومن هذه التصورات:

- تصورات بعض الفلاسفة التي ترى أن الخلق صدر عن الله تعالى من غير إرادة منه ولا علم.
- تصورات تنسب إلى الله تعالى النقائص والعيوب كالجهل والندم والبكاء والعجز وتجعل منه الاها لقوم دون غيرهم.
- العقائد التي تبالغ في تعظيم بعض الأنبياء أو الصالحين حتى تصل بهم إلى مرتبة التقديس وتجعل منهم آلهةأو أبناء آلهة.

فعقيدة التوحيد التي تعبر عنها كلمة التوحيد (لا اله الا الله) تضمنت نفي الألوهية عن كل شيء سوى الله، ومن مستلزمات ذلك:

- أن يتحرر المؤمن من كل عبودية لغير الله تعالى.

(1) سورة الشورى، الآية11.

- أن يخلص المؤمن نيته وعمله لله سبحانه ويجعل من التوجه إلى الله تعالى والالتزام بأوامره أساسا لحياته، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]

- أن تجعل الأمة من شريعة الله سبحانه أساسا لحياتها فتحكمها في كل مجالات حياتها ولا تقبل شريعة[2] سواها قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3]

المطلب الثاني: النبوات

الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده، وأرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وعلاقته بهم في المعاملة قائمة على الكرم الإلهي، والعفو والمغفرة، وإنارة سبل الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، ولا يأخذ الله تعالى عبده بالشدة إلا ليربيه نتيجة انحرافه فينأى عن الضلال ويستقيم مع ربه، أو ليجازيه بعدله على تمرده وظلمه وعصيانه بعد أن أمهله فلم يزدجر، ووعظه فلم يتذكر، ودعاه فلم يلب النداء، هذه هي أصول المعاملة بين الله وبين عباده، ولا يمكن معرفة الخط الإلهي الحكيم وإدراك التشريع الرباني الكامل، والشعور بما بين العبد وربه من علاقة طيبة رحيمة جميلة إلا إذا نزل بذلك من عند الله كتاب فيه ما يريد الله أن يقوله لعباده، وما يأمرهم به وما ينهاهم عنه، ويرشدهم إليه لتتحقق مصالحهم في دنياهم، وليجازيهم بما رتبه على أوامره ونواهيه من جزاء، وفيه بيان أنواع العلاقات بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والأشياء. وفيه بيان بعض ما في الكون من مخلوقات لها صلة بالإنسان مع أنه لا يراها وعليه أن يتخذ منها مواقف معينة كالملائكة والجن والشياطين وغيرهم، وفيه بيان مصير الإنسان وجزائه، في اليوم الآخر بالجنة أو النار، وفيه غير ذلك مما لا

(1)سورة الأنعام، الآية162.

(2) سفر بن عبد الرحمن الحوالي،توحيد الألوهية، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشتكة الإسلامية،رقم الدرس 106ص Net.www .htt // islameb20

(3)سورة النساء، الآية 65.

يمكنه الوصول إليه عن طريق آخر غير طريق الوحي الإلهي المنزل على نبي أو رسول اختاره الله سبحانه واصطفاه ليتلقى عن الله وحيه ويبلغه إلى الناس ويسير فيهم على هدى هذا الوحي منفذاله ومطبقا بدقة لكل ما فيه من تشريعات وأخلاق وآداب، فالكلام على النبوات يشمل: الكلام على النبي والرسول الذي اختاره الله لوحيه ورسالته وأيده بمعجزته، والكتاب الذي أنزل عليه، وكيفية التلقي عن الله تعالى وعن ملك وحيه(1).

وعن طريق النبوات المتعاقبة على مدار مساحة واسعة من التاريخ، تم توصيل الخطاب الإلهي إلى الإنسان لكي يقوده إلى الصراط، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾(2)، وكانت حلقته الأخيرة على يد الرسول المعلم "صلى الله عليه وسلم"، واكتمال القرآن الذي تنزل عليه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(3)، وتوصيل القول لا يقتصر على الخطاب الإلهي، إن هذا الخطاب هو عمل تأسيسي لابد أن يقوم عليه البناء بجهد المنتمين إليه، من أجل إيصاله إلى كل بقاع الأرض، وإلاّ فهو التقصير الذي سيحاسب عليه كل من تهاون في شأنه، وبذل أقصى ما في وسعه لمدّه إلى سمع العالم كله، وعقله وقلبه ووجدانه، إن القرآن الكريم يقولها بصراحة: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾(4)، ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(5)؛

(1)حسن محمد أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، ص(113/1).

(2)سورة القصص، الآية 51.

(3)سورة المائدة، الآية3.

(4)سورة القصص، الآية59.

(5)سورة الإسراء، الآية15.

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[1].وبالإحالة إلى الآية الأولى يتبين أن توصيل الخطاب الإلهي في كل بلد أو قطر يتمركز عند أم القرى، أي عند عاصمة ذلك البلد أو القطر، أو عند مدينته المركزية، وتبقى مسألة إيصاله إلى الأطراف من مهمة المنتمين إلى الدين، إنه يتولى المركز ويترك مسؤولية الانتشار على الأتباع، ولما كان الدين الإسلامي هو خاتمة الأديان، والأمة التي انتمت إليه هي الأمة المسؤولة عن مصائر الموقف الديني في العالم؛ بسبب كونها الأمة الوسط الشاهدة على البشرية في مسيرها ومصيرها؛ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[2] فلنا أن نتصور كم أن الحجة قائمة علينا جميعاً لتغطية جغرافية العالم بمطالب الخطاب؟وتزداد هذه الحجة إلزاماً في العصر الحديث، عصر العولمة الذي جعل العالم كلّه في التحامه وتقاربه أشبه بناد أو قرية واحدة، وعصر المعلومات والإعلامية وأجهزتهما التقنية المدهشة (الكمبيوتر والإنترنت والهاتف النقال والفيسبوك والفضائيات.. إلخ)، ذلك أنها وضعت بين أيدينا إمكانات توصيل الخطاب إلى ملايين الناس عبر دقائق ولحظات، فإن لم نحسن توظيفها خسرنا الدنيا والآخرة.

وإنها لمسؤولية كبيرة، وتحدّ خطير، ولابّد من أجل الاستجابة له من بذل جهود هائلة على مستوى الأفراد، والمؤسسات، والحكومات، والدول، جهود تعتمد ميزانيات ضخمة، وتخطيطاً محكماً، وخططاً خمسية وعشرية لتغطية الأزمان القادمة بما يحقق المطلوب الغالي العزيز، والمطلوب هو مواصلة إيصال الخطاب إلى سمع العالم كلّه من أقصاه إلى أقصاه، ليس بلغتنا العربية وحدها

(1)سورة فاطر، الآية24.

(2)سورة البقرة، الآية143.

وإنما بلغات الدنيا كلّها، اللغات الأم واللغات الفرعية على السواء.ثمة خطوط أخرى للتوصيل يحدثنا عنها كتاب الله، حيث لم يترك – وحاشاه – أي فرصة للقول: إن هناك جماعات وشعوباً لم يصلها الخطاب، فكيف ستحاسب يوم القيامة؟ وكيف تتلقى العذاب وهي لم تعرف شيئاً عن طبيعة الخطاب الديني ابتداء؟ويجيء جواب القرآن:" وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ "[1]إذن فإن شهادة الإيمان بالله الواحد مركوزة في جبلة الإنسان حتى لو لم يصله الخطاب الديني، وعليه في حالة غيابها في طبقة بعيدة في نفسه أن ينقّب عنها، ويكشف عن حقيقتها ويحفزها على العمل، فهي كفيلة لأن تقوده إلى شهادة «لا إله إلا الله»، وتجعله يجتاز الحساب العسير بسلام.فجهد التوصيل لا يتحقق بالعمل من طرف واحد وإنما من طرفيه؛ المرسل والمتلقي، وعلى الأخير أن يبذل أقصى ما في وسعه من جهد، من أجل الوصول إلى الحق، لكي ينقذ نفسه.. هذه واحدة، وهي مسألة ذات بعد داخلي،أما الأخرى فذات بعد خارجي، تلك المنظومة المدهشة من الآيات القرآنية التي تتحدث عن إبداعية الله سبحانه وتعالى في الخلق على مستوى الكون والطبيعة والعالم والإنسان، والتي جاءت الكشوف العلمية الحديثة لكي تؤكد مصداقيتها.. وتلك الدعوة القرآنية المؤكدة إلى «النظر» في خلق السماوات والأرض والإنسان للتوصل يقيناً إلى الإيمان بالله الواحد القدير على هذا الإبداع المتوازن المنضبط الذي لا يسمح للصدفة مطلقاً وبأي نسبة، بأن تمارس دورها فيه.فعلى الإنسان والجماعات والشعوب، حتى تلك التي لم يصلها الخطاب الديني، أن تبذل جهدها في إعمال عقلها في معجزة الخلق لكي ما تلبث أن تنتهي، ليس فقط إلى الإيمان بالخالق جل وعلا، وإنما بتوحيده المطلق، وهذا ما نجد نموذجاً له في كتاب «الله يتجلى في عصر العلم» الذي يتحدث عن بضع وثلاثين عالماً في مختلف العلوم الصرفة أولئك الذين قادهم المختبر إلى الإيمان بالله الواحد سبحانه وتعالى،الطرق إلى الله

(1)سورة الأعراف، الآية172.

سبحانه وتعالى كثيرة، ويبقى على الإنسان أن يسعى للوصول، وهو يتعامل مع الخطاب الديني حيناً، ومع فطرته النقية حيناً آخر، ومع الكون والعالم والحياة حيناً ثالثاً، ويقيناً فإنه سيصل.([1])

المطلب الثالث: السمعيات

هذا هو القسم الثالث من أقسام علم التوحيد الثلاثة: الإلهيات –النبوات السمعيات وتسمى الغيبيات أيضاً: وسميت مباحثه بالسمعيات، لأنه لا طريق لمعرفتها إلا الكتاب والسنة: والأصل في وصولها إلينا السماع فقط أو مع القراءة. فلا دخل للعقل في الوصول إلى ما يذكر في هذا القسم ويجب الإيمان به كالملائكة والجن والأرواح واليوم الآخر والجنة والنار إلا بالفهم عن الكتاب والسنة الصحيحة. أما تسميتها بالغيبيات فلأنها أمور غائبة عنا ولا أثر لها في حياتنا يدلنا عليها دلالة قطعية. ونحن فيما سبق اقتنعنا وآمنا بوجود الله تعالى بأدلة قطعية يقينية. وآمنا بوجود صفات الله تعالى بأدلة قطعية يقينية. وآمنا برسل الله تعالى وصفاتهم بأدلة قطعية يقينية. وآمنا بكتب الله تعالى التي أنزلها على رسله بأدلة قطعية يقينية. نحن ملزمون نتيجة هذا الإيمان بالله وصفاته ورسله وكتبه أن نؤمن بما جاء في الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسولنا من أجلنا، وأن نعمل بما جاء فيه، وهذا الكتاب نصوصه كلها (حروفه وكلماته وآياته وسوره) وردت إلينا بدليل قطعي، والذي ينكر شيئاً مما ورد عن الله بدليل قطعي يكفر بسبب هذا الإنكار. وأما معاني كتاب الله تعالى فمنها ما هو قطعي لم يختلف فيه العلماء بل أجمعوا كلهم عليه، وهذا إنكاره كفر أيضاً، مثل قوله تعالى: **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**[(2)]،ومنها ما هو ظني لم يتفق عليه العلماء، بل اختلفوا فيه فلك أن تأخذ برأي

([1])عما الدين خليل،الخطاب الأدنى والمسؤولية الكبيرة ، مجلة المجتمع،8يونيو 2015م ،ص10.

(1)سورة الإخلاص، الآية1.

منهم ما دام هذا الرأي متفقاً مع اللغة ومع الأصول والموازين الإسلامية.وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾[1]

كما يجب الإيمان بأننا مكلفون بالأخذ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبية لقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2]، وهنا يقال: إن ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث: إن كان متواتراً مقطوعاً به فإن الإيمان به واجب، ويقال في نصه ومعناه ما قيل في القرآن. وإذا لم يكن الحديث متواتراً فإن إنكاره ليس كفراً، وإنما هو فسق إذا كان الحديث مجمعاً على صحته: والعمل بهذه الأحاديث واجب، وعليها بني أكثر الأحكام الفقهية، غير أن هذه الأحكام المأخوذة من الأحاديث منها الواجب ومنها السنة، ومنها الحرام، ومنها المكروه، ومنها المباح، وكذلك الأحكام المأخوذة من القرآن أو منهما معاً. وبناء على هذا نستطيع أن نفهم، لماذا قلنا: إن العقائد الإسلامية مصدرها الأدلة القطعية "العقل، الكتاب، السنة المتواترة". فإنه صار واضحاً أن العقائد يترتب عليها الإيمان أو الكفر، وهما أخطر وصفين يوصف الإنسان بهما، ويترتب عليهما مصيره، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، ونستطيع أن ندرك الآن أن السمعيات التي سنذكرها فيما يأتي، ويجب الإيمان بها ثابتة بأدلة قطعية من كتاب الله تعالى، ولا يوجد دليل عقلي يمنع من وقوعها، بل هي داخلة في الأمور الجائزة عقلاً، لأنها أثر لقدرة الله تعالى وإرادته وعلم[3].

(2)سورة البقرة، الآية228.

(2)سورة الحشر، الآية7.

(3) حسن محمد أيوب، السمعيات: معناها- مصدرها،ط 5، بيروت، لبنان ، ص(180/1).

إنّ الخطاب الدعوي المعاصر بالصبغة العامة لخطاب القرآن والسنة، يتسم بوضوح الدلالة، والإقناع وقوة الحجة، وكفاية التبليغ بشمول الخطاب وعمومه. ومن أهم معالم هذا الخطاب: العالمية، والإنسانية، والمصداقية، والوسطية، والتوازن. ومن أهم منطلقاته: مسؤولية البلاغ، والإحسان والرحمة والإشفاق على الناس، والغيرة على حرمات الله. ومن أهم الغايات: تعبيد الخلق للخالق، وتحقيق سيادة الشريعة، وفي سبيل تحقيق ذلك – وكذلك لتحقيق قدر كبير من الوحدة الفكرية والفهم الكلي للإسلام –، لا بد من تنشيط جملة من العلوم المهمة بشكل مؤسسي واسع التأثير، على رأسها: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، والدراسة الموضوعية للسنة النبوية، ودراسات للسيرة النبوية تربط بينها وبين تاريخ التشريع وتاريخ النزول، وإحياء الفقه المقاصدي، وبعث الدراسات المقاصدية الكلية للشريعة، واستخراج النظريات العامة والنظم الكبرى في الشريعة الإسلامية، وجمع القواعد الكلية والضوابط العامة لأبواب الفقه الإسلامي، إضافة إلى الاجتهاد في بلورة الجمل الثابتة وتمييزها عن موارد الاجتهاد، مع إذاعة فقه الاختلاف وآدابه، إلى غير ذلك من العلوم التي تسهم في رسم الصورة العامة للخطاب الإسلامي كله، هذه الأسس (التنظيم الشرعي للخطاب الدعوي – إحياء فقه الأولويات وتربية العاملين للإسلام عليه – الاسترشاد بطريقة القرآن الكريم وبخطابه – صبغ الخطاب الدعوي المعاصر بالصبغة العامة لخطاب القرآن والسنة...) وغيرها مما قد تجود به قرائح المهتمين بهذا الشأن ؛ يجب علينا أن نسعى جاهدين إلى تفعيلها، مع الاهتمام الشديد بالإخلاص؛ لأن الله تعالى لا يبارك في عمل مهما بلغ تمامه إلا بالإخلاص، والاهتمام بالتربية الجادة على التضحية وعلى بيع النفس لله.[1]

(1)مجلة البيان، العدد 314، شوال (1434هـ) – أغسطس، سبتمبر (2013م).

المبحث الرابع: الوظيفة الحضارية للإنسان في الحياة

المطلب الأول: الإنسان والحياة

إن الحياة الدنيا مهما طالت بالنسبة إلى الفرد، فهي موقوتة، وينتظر كل مخلوق أجله، وإذا حلَّ الأجل فلا يستطيع المرء أن يفلت منه، ولا أن يتقدم ساعة ولا يستأخر؛ قال الله سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[1] فعلاقة الإنسان بالكون والحياة ، ليس تصورا سلبيا يعيش في عالم الضمير قانعا بوجوده هناك في صورة مثالية نظرية، أو تصوفية روحانية، إنما هو تصميم لواقع مطلوب إنشاءه وفق هذا التصميم، وطالما هذا الواقع لم يوجد فلا قيمة لذلك التصميم في ذاته، إلا باعتباره حافزا لا يهدأ لتحقيق ذاته.هذا ما يثيره التصور الإسلامي في شعور المسلم ..ومن ثم يجد دائما هاتفا ملحا في أعماقه، يهيب به إلى تحقيق هذا التصور في دنيا الواقع، ويؤرقه، حتى يهب للعمل، ويفرغ طاقته الإيمانية كلها في هذا العمل الإيجابي البناء، وفي إنشاء واقع تتمثل فيه هذه العقيدة في حياة الناس.

وحيثما ذكر الإيمان في القرآن الكريم ذكر المؤمنون، ذكر العمل، الذي هو الترجمة الواقعية للإيمان، فليس الامر مجرد مشاعر، إنما هو مشاعر تفرغ في حركة، لإنشاء واقع وفق التصميم الإسلامي للحياة[2].

والآيات في هذا المقام كثيرة ... من بينها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾[3]﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾[4]﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾[1].بل إن

(1)سورة آل عمران، الآية 185.

(2) السيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، مصدر سابق ،ص157.

(3) سورة الكهف: الآية 107.

(4) سورة لقمان، الآية 8.

الحياة كلّها على ظهر الأرض موقوتة، ستنتهي عندما تقوم القيامة وتأتي الساعة، وقد قصَّ علينا كتاب الله أحداثَها، وكيف تكون معالم الأرض والكون في هاتيك الأيام العصيبة، إننا لم نُخلَق عبثًا، ولم توجد هذه الدنيا مصادفةً؛ وإنما كان ذلك لحكمة سامية وغاية رفيعة، عرفها المسلم فاطمأنَّ وسعد، وجهلها الكافر فعاش في قلَق وشقاء،ومهمة المسلم في هذه الحياة الدنيا أن يعبدَ الله لا يُشرِكُ به شيئًا، وأن يستقيم في حياته على أمر الله ودينه؛و لتوثيق صلة الإنسان بربه وتأكيد عبوديته له، ولتفعيل البعد الروحي في شخصية الإنسان وإثرائه، شرع الإسلام العبادات؛ من صلاة وصيام وحج وعمرة وغيرها من الشعائر، وفي ذات الوقت، وجهت تعاليم الإسلام إلى الاهتمام بخدمة الإنسان ونفعه؛ من إطعام الجائعين، وكفالة الأيتام، عون الفقراء ومساعدة الضعفاء، يعلق الكاتب على ذلك بالقول: "حين نقرأ النّصوص الدّينية نجد اهتماما متوازيا بالجانبين معا؛ بل نجد إشارات في الكثير من النّصوص إلى أنّ البرامج العبادية؛ كالصلاة والصيام وأمثالها، تستبطن وتستهدف تنمية دوافع الخير تجاه النّاس في نفس الإنسان، كما أن القرآن الكريم يجعل الحدّ الفاصل بين التدين الصادق والتدين الزائف، هو مدى اهتمام الإنسان بمساعدة النّاس الضعفاء، كاليتامى والمساكين، ويعدّ أداء عبادة الصلاة دون عون الأيتام والفقراء تدينا كاذبا ورياء مفضوحا، يقول تعالى:" فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ"[2]

إذن لا بدّ من الاهتمام بالإنسان، وليس فقط أداء العبادات دون مبالاة بالآخر، كمأنّ إقبال النّاس في مجتمعاتنا على بناء المساجد، لا يوزايه إقبال على بناء الجامعات والمكتبات، ومواظبة البعض على تكرير الحجوالعمرة لا يزاحمه توجه لكفالة الأيتام ومساعدة المعاقين، وحرص البعض

(1)سورة العصر.الاية 3.

(2)سورة الماعون، الآية1: 7.

على السعي إلى صلاة الجماعة لا يمثاله حرص على السعي إلى الاهتمام بالشّأن العام، وبالمقارنة بالغرب؛ نجد الاهتمام بمثل هذه الأمور من الأولويات.

كما أنّ المكتبة الإسلامية تمتلئ بالبحوث العقدية والفقهية العبادية؛ كأحكام الصلاة والصيام والحج، الّتي تستغرق مجلّدات كثيرة، وتتفرع مسائلها إلى مختلف الصور والاحتمالات، حتى الخيالية منها، لكن قضايا حقوق الإنسان، لم يتبلور لها عنوان جامع في الفقه، ولا تطرح إلّا بشكل عابر ضمن أبواب فقهية مختلفة،الحل – إذن – هو تطوير الخطاب إنسانيًّا، وعليه فإنّ تطوير الخطاب الدّيني إنسانيًّا ليس مطلبا كماليًّا، وليس قضية هامشية؛ بل هو ضرورة ملحة تقع في الصميم من قضايا الأمة واحتاجاتها؛ بل هو السبيل إلى تحقيق مهام أساسية تأخرت الأمة كثيرا عن إنجازهاوتحقيقها، ومن أبرزها:

أولًا: إنجاز تقدّم على مستوى التّنمية الإنسانية في مجتمعاتنا؛ حيث يعيش الإنسان واقعا متخلّفًا يفتقد فيه مقومات بناء الحياة الفاضلة، والتّمتع بحقوقه الإنسانية.

ثانيا: الإسهام في خدمة القضايا الإنسانية على الصعيد العالمي، لتكون الأمة بمستوى ما تتبناه من قيم الإسلام ومفاهيمه وشعاراته الرسالية العظيمة.[1]

المطلب الثاني:الوظيفة الحضارية.

لعل من البديهي القول أن الوظيفة الحضارية للهوية هي وظيفة التوحيد المعنوي والروحي والعقلي؛ ودورنا هو العمل على تقوية وتنمية هذه الوظيفة الحضارية، حتى تتحول هذه الثروة إلى قدرات فعلية ومؤسسية في سبيل التطوير والتقدم..،لهذا فإن علاقتنا مع الهوية، علاقة إضافة، ومصدر من مصادر الفعل الحضاري في الأمة، وعلى ضوء هذا تتجه علاقتنا بمفردات وعناصر الهوية، إلى توفير الشروط المطلوبة لصناعة التفاعل الخلاّق بين إنسان هذا العصر، وتلك القيم والمبادئ التي تفاعل معها في يوم من الأيام نفر من الناس، فتحولوا بفضلها من حفاة، عراة، إلى

(1)حسن الصقار، الخطاب الإسلامي،ط 1 ،2005، لمركز الثقافي العربي ،ص62.

أسياد العالم.. ومن مجتمع جاهلي تسوده شريعة الغاب، إلى مجتمع يسوده الحب والتعاون، وتكتنفه طموحات نبيلة تسع العالم كله.. فالهوية ليست واقعاً مجتمعياً ناجزاً، وإنما هي قيم الأمة الجوهرية التي يتجدد فهمها بفعل الإنسان ومستوى ادراكه، وقدرته على تحدي مشكلات عصره..،لهذا كله فإن الفكر الإسلامي المعاصر، بحاجة إلى أن يشخص داء الأمة تشخيصاً دقيقاً، ويوفر متطلبات رؤيته الدقيقة، ويجدد من منظومة أفكاره، ويبرز المضامين الحضارية والإنسانية للفكر الإسلامي، ويؤصل لقيم الحرية والتعددية والإبداع وتداول السلطة بشكل سلمي، وحقوق الإنسان وحرية الفك ر والتعبير والتنظيم، حتى يتسنى له كواقع مجتمعي، الانخراط الجاد في تشكيل العالم وصياغة مساره الحضاري، باتجاه أكثر حرية وعدلاً وتسامحاً. (1)

فالقيم الصحيحة من شأنها إحداث حالة حضارية وعمرانية في الكون، ولا يمكن أن نسمي التطور المادي المعاصر حضارة، وإنما هو نوع من المدنية التي تمثل طورا من أطوار الحضارة، وليس الحضارة بشكلها الكامل، إذ الغالب في الحضارة أن تكون قيمية أو مبدئية، أما المدنية فتكون في الغالب مادية نفعية ، لكن عندما تقوم حضارة عمادها القيم فلا شك أننا سنكون في واقع جديد يتعارف فيه البشر، ويتعاونون بدلا من التناحر الذي يذهب بكل منجز بشري مفيد، وإن كنا نجزم أنّ القيم وحدها ليست قاطعة للصراعات والتدافعات، التدافع قانون كوني، لكن القيم تخفف هذه الصراعات، وتكون وسيلة للعودة إلى الرشد، وتنشئ حالة من التفاهم ولو نسبيا.(2)

خلاصة و استنتاج:

للخطاب العقدي سمات ومنطلقات وخصائص لأن يكون خطاب عالمي يستوعب كل الذين ينضوون تحت لواءه، بدون أن يؤثر ذلك على الخصوصيات والثقافات والهويات الخاصة.

(1)محمد محفوظ، اللقاء على أمل، مجلة النبأ، العدد 11، جمادى الثانية (1422هـ) ، إيلول (2001م).

(2)أحمد محمد زايد، مقال بعنوان بنية الخطاب الإسلامي – دراسة في المضمون والوظيفة، دار النشر جامعة قطر ،كلية الشريعة ،السنة 1438هـ،2016م ،ص320.

فموضوع الخطاب العقدي يحتل الصدارة في سلم المواضيع التي لها بالغ الأثر في أمور ديننا ودنيانا لتحقيق الاستخلاف المنشود.و وظيفة الإنسان الحضارية في تحديد وضبط علاقاته بخالقه وتوحيده حقيقة لتضبط بعد ذلك علاقاته بالمخلوقين والكون من حوله وهذا لا يكون إلا بالتدين الصحيح المعتدل البعيد عن الجمود والتطرف.

الخطاب العقدي ينطلق من الوحي كمصدر أول دون إغفال للعقل لأنه به ترتب الأولويات وينبع صوت الحكمة ويتم الوصل بين العقيدة والشريعة وفقه الحياة ويحدث التكامل المنشود لتحقيق النهوض الحضاري.فالمنطلقات السلمية للخطاب العقدي، والابتعاد عن الأسلوب العاطفي في خطابنا وفكرنا، فإنه يقدم الإسلام كحل لما تعانيه الحضارة العالمية المعاصرة من مشاكل وأزمات، فالخطاب السائد لابد أن يكون الإسلام كبديل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: انعكاسات العولمة على الخطاب العقدي.

المبحث الأول: الانعكاسات في المجال السياسي

المبحث الثاني:انعكاسات العولمة في مجال التربية والثقافة

المبحث الثالث: انعكاسات العولمة في المجال الإعلامي

المبحث الرابع:انعكاسات العولمة على القيم والمجتمع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: انعكاسات العولمة على الخطاب العقدي الإسلامي.

للعولمة انعكاسات عديدة في شتى مناحي الحياة،ومن هذه الانعكاسات والتي كان لها تأثير على الخطاب العقدي مانبينها فيمايلي:

المبحث الأول: الانعكاسات في المجال السياسي.

المطلب الأول: الأحادية القطبية وبروز النظام العالمي الجديد.

ونعني بالأحادية القطبية هي تلك الوضعية التاريخية التي وجدت فيها أمريكا نفسها بدون أي منازع أو ند يستطيع منافستها في قيادة العالم ،فمنذ نهاية الحرب الباردة، أصبحت هذه الدولة المنقوصة في أي امتداد تاريخي في وضعية من القوة لم يسبق لها مثيل، فهي تشتمل على كل أدواتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية والعلمية... بما أهلها إلى سرعة التحول في مرحلة الثنائية إلى الأحادية القطبية، فالسقوط المفاجئ للشيوعية[1]أحدث إرباكا حتى لدى السياسيين الأمريكيين أنفسهم وجعلهم أمام مسؤولية قيادة العالم وتحقيق توازن جديد على أنقاض التوازن القديم[2].

هذه الأحادية القطبية تعمل لصالح تدعيم العولمة من خلال سعي أمريكا نحو نشر منظومة جديدة كاملة متجانسة من الرموز و القيم والمعتقدات قوامها القيم الليبرالية[3]والديمقراطية التي

(1) الشيوعية: هي نظام يقوم على إلغاء الملكية الفردية، وعلى حق الناس في الاشتراك في المال والنساء، فالناس في الشيوعية شركاء في المال والنساء وسائر الثروات والمكتسبات محمد بن إبراهيم الحمد، الشيوعية، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى(1423هـ-2002م)، ص(10

(2) عبد الرحمن بن شريط، الدولة الوطنية بين متطلبات السيادة وتحديات العولمة، ص 102.

(3) الليبرالية:مذهب يقوم على احترام حرية الفرد واستقلاله ومنحه اكبر قدر ممكن من الضمانات ضد التعسفالمعجم الفلسفي ،مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، دار الوثائق (1983)ص(4).

تنادي بالحرية والقيم الإنسانية والتي هزمت الشيوعية وعليه فإن من واجب أمريكا تبليغا للإنسانية كافة[1].

فالأحادية القطبية ليست إلا نتيجة حتمية بعد غياب المنافس الوحيد الذي يتمتع بالندية والقوة وهو الاتحاد السوفياتي.

فبروز نظام عالمي جديد:يعود مصطلح النظام الدولي الجديد في بداياته إلى الثالث والعشرين من أوت 1990 م وبعد ثلاثة أسابيع من اجتياح العراق للكويت،حيث استخدم برنت سكاو كروفت، مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس جورج هبريت، مصطلح النظام الدولي الجديد للمرة الأولى حيث خاطب الصحفيين قائلا:"إننا نؤمن بأننا سنقيم أركان النظام الدولي الجديد على أنقاض العداء الأمريكي-السوفيتي الذي كان قائما"، اما رئيسه بوش الأول، فقد خاطب الكونجرس الأمريكي بعد ذلك بعدة أسابيع بتاريخ 1990/09/11 قائلا: "لقد ابتدأت شراكة جديدة بين الدول...إن الأزمة القائمة في الخليج الفارسي، على خطورتها ودمويتها، تمنحنا فرصة نادرة... في خضم هذه الأوقات العصيبة... قد يولد نظام عالمي جديد" وهو تعبير كان ينبئ في التحولات العالمية الحاصلة آنذاك ويعبر عن سياسة دولية جديدة وفق المتغيرات الجديدة التي تشهدها الساحة الدولية.[2] فالعولمة لم تكن إلا مشروعا سياسيا واعيا للدور الاقتصادي في التأثير على إعادة الهيكلة وإزالة القيود الجمركية، وتحرير صرف العملات الوطنية، وإقامة المناطق التجارية الجمركية وسيولة حركة رأس المال، وفي معاقبة المجتمعات المناوئة بالحرمان... وكذلك بث المفاهيم الغربية ونشرها، شل الديمقراطية، والتعددية السياسية، وانتشار المنظمات غير الحكومية، قيام الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة بحماية حقوق الإنسان... فلم تعد الدولة في عصر العولمة هي الفاعل الوحيد على المسرح السياسي العالمي، ولكن توجد إلى جانبها هيئات متعددة الجنسيات،

(1) فوكاياما، نهاية التاريخ، مصدر سابق، ص 22.

(2)دليلة بن كوسة، المشروع الحضاري الإسلامي، مصدر سابق، ص 187.

ومنظمات عالمية، وجماعات دولية فاعلة في تقليص السيادة الفعلية للدولة وتقييد حريتها في التصرف.[1]

المطلب الثاني: حال النظام السياسي العربي و الإسلامي:

تمتاز الدول العربية والإسلامية أنها دول بنيت على أنقاض الاستعمار فمعظمها قام عشية استقلالها السياسي عن المستعمر الأوروبي،وأهم ما تمتاز به هذه الأنظمة هي تفعيل وتنميط الاستبداد السياسي كنموذج طبيعي للدولة،سواء كانت ملكية أو جمهورية،فنظام الحكم واحد في أساليبه الاستبدادية، وهو ما تتصف به جل الدول، و قد تختلف الحدة من دولة إلى أخرى غير أنها تبقي عموما أنظمة مستبدة،فالنظام الملكي لا يمثل سوى إرادة الملك والأسرة الملكية، والنظام الجمهوري كذلك لا يمثل سوى إرادة النخبة الحاكمة والأسر التي تنتمي إليها، رغم ما تعرفه بعضها في فتح المجال السياسي بارتفاع عدد الأحزاب السياسية، والادعاء بتفعيل دور المجتمع المدني، إلا أنها تبقى محظ ادعاءات شكلية،فالتفاوت يبدو داخل هذه الأنظمة...فالسلطة الحاكمة تسعى إلى انتهاج جميع الأساليب المؤدية إلى الاستبداد نظام استقرارها ولإطالة أمد حكمها حتى ولو كان ذلك عبر إجراء إصلاحات سياسية، التي تعد برامج غربية تملى من أمريكا تملا مصالحها لمراعاة مصالحها الإستراتيجية، وحفاظا على الكيان الصهيوني في المنطقة ، فبرامج إصلاح الدولة وما تحتويه من إجراءات وسياسات ومخططات تكريس الديمقراطية في الدول العربية والإسلامية تأتي في ظل انتهاج الديمقراطية الوقائية التي تقي وتضمن استمرارية السلطه الحاكمه من جهة، وتحمي المصالح الغربية من جهة أخرى ضمن تحالف استراتيجي ليس للشعوب فيه لا ناقة ولا جمل[2].

فأنظمة الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي هي التي تهيئ الفراغ لامتداد العولمة، وتصنع القابلية والهشاشة لاختراق الأمة ... وتشكل الجسر الذي يمر عبره الآخر ويحقق أهدافه فالاستبداد

(1)نايف علي عبيد، العولمة مشاهد وتساؤلات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، 2001،ص19،23.

(2)دليلة بن كوسة، مصدر سابق،ص187.

السياسي يصيب الأمة بالوهن الحضاري...لذلك قد يكون من التأهيل والتحضير لاحتياج الآخر، ومن لوازم استقدامه قتل روح المبادرة والصمود في الأمة، وإعدام روح الإبداع والبحث والنمو في الأمة، وتحاصر حرية الاختيار،و إلا فما معنى هذا النبوغ الذي نلحظه لأبناء الأمة عندما يهاجرون من بلادهم ويغادرون مناخ الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي،فينمو كسبهم العلمي والخلقي والديني ويعتلون المنابر العلمية المؤثرة، ويتفوقون على أقرانهم[1].

المطلب الثالث: واقع الخطاب العقدي في ظل الوضع السياسي الراهن.

فبعدما كانت الأمة العربية والإسلامية تعتمد بشكل تام على مقوم العقيدة في صياغة ملامح وجودها واستمراريتها تجسيدا للآية الكريمة : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[2]أدى تراجع هذا المقوم إلى حدوث تمزق عميق فقدت فيه أسباب وحدتها... فأصبحت الحاجة الملحة أمام تراجع هذا المقوم تتمثل في البحث عن مرتكزات جديدة فرضتها الظروف المستجدة،فبرز المفهوم القومي باعتباره بديلا مناسبا قدمته النخب المسيطرة على أنه الحل الأمثل[3].وأصبح استخدام الخطاب الديني من طرف هذه الأنظمة المستبدة فاتخذوا وسيلة لاستحمار الناس، أفراد وجماعات ويقصد بمصطلح الاستحمار تزيد في ذهن الإنسان، ونباهته وشعوره، وتغيير مسيرته عن النباهة الإنسانية والنباهة الاجتماعية، ومن ثم يسخر الدين الناس كالحمير، فيسلب من الفرد مسؤولياته تجاه مجتمعه[4].

وفكرة الصراع بين هذه الأنظمة والشعوب، تتمحور حول قضية العقيدة ومحاولة إقصائها، وفصلها عن الحياة، لأنها هي القوة الدافعة للنمو والنهوض وسبيل لإحياء واسترداد الفاعلية، وهي القوة المانعة من السقوط والذوبان في (الآخر) وخاصة العقيدة الإسلامية لأنها تشكل رؤية شاملة

(1)عمر عبيد حسنة، قوة الثقافة .. لا ثقافة القوة، ط1، 2004م ، المكتب الاسلامي،بيروت، ص 27.

(2)سورة المومنون، الآية52.

(3)عبد الرحمن بن شريط، الدولة الوطنية من متطلبات السيادة وتحديات العولمة، ص 36.

(4)على شريعتي النباهة والاستحمار، ط1، 1984 ،دار الكلمة، للنشر ،بيروت ،ص 55،56.

للكون والإنسان والحياة، ذلك لأن الالتزام بالقيم الإسلامية الحقة، يحقق التحصين الكامل ويحول دون الاختراق، لذلك فإن المعارك المختلفة الألوان والأشكال، والأسلحة إنما تدور رحاها في معظم المواقع حول العقيدة[1].

لذا تكون الفكر السياسي العربي في سياق صدمة تاريخية كبرى هزت ثوابت الوعي العربي ويقينياته،وفرضت عليه انفتاحا اضطراريا على منظومات الغالب،واستيعابا لكثير من معطياتها،وتوطينا له في النسيج الفكري العربي الإسلامي،وإذا كان سهلا على الفكر الإصلاحي العربي أن يحول هذه الصدمة إلى موقف إنتاج إيجابي على الفكر الحديث، فإن ذلك لم يكن ممكنا مع التيار الإسلامي الذي لم يقرأ في ذلك سوى اعترافا بالهزيمة الحضارية أمام الغرب،واعترافا الانقطاع التاريخي في المسار الحضاري العربي الإسلامي وهذا ما جعله يطرح المسائل المتعلقة بالثقافة والهوية، ويحيل تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر إلى تاريخ ممانعة ثقافية لم تجد لها من سبيل سوى الانكفاء على المدونة الإسلامية التقليدية واتخاذها مرجعا وحيدا.[2]

(1)عمر عبيد حسنة، العولمة فرص وتحديات، ط1، 2004 م ، المكتب الاسلامي،بيروت ص39.

(2)رضوان زيادة،أزمة الفكر السياسي،ص 103، 104.

المبحث الثاني:انعكاسات العولمة على الخطاب العقدي في مجال التربية والثقافة.

المنظومة التربوية لها دور حيوي في تطوير المجتمعات في إرساء القيم الاجتماعية والخلقية و هي أداة رئيسية في نقل الخبرة بكل أنواعها وتطويرها في أي مجتمع من المجتمعات في العالم،فالمنظومة التربوية تشكل المعيار النموذجي لمعرفة درجة التقدم والتخلف الحضاري لبلد ما وهو ما نحاول في هذا المبحث الوقوف على واقع التربية في زمن العولمة.

المطلب الأول: مفهوم التربية:

معنى التربية في القرآن الكريم هي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى التمام كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]

والتربية في الإسلام منهج صياغة الإنسان عقلا وروحا، صبرا ونفسا ولا تجد مرجعيتها إلا في الدين، ومفهوم العلوم ليس مقصورا على علوم الدين، بل يشمل كل المعارف التي كشف الله عنها للبشر...فالتربية في الإسلام هي منهج متكامل يعنى بالجسم والروح والعقل من أجل تكامل النظرة الإسلامية إلى الحياة والوجود والمجتمع.فجمعت التربية الإسلامية بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم[2].

وهناك مفهوم آخر من وجهة نظر تربوية فهي عملية إحداث تغيير مرغوب فيه في سلوك الأفراد وفي أحوال المجتمع، فبالنسبة للفرد يجب ان يشمل التغيير الجانب العقلي والجسمي العاطفي، الانفعالي الروحي الخلقي والاجتماعي أما بالنسبة للمجتمع فيجب أن تساهم التربية في تطوير مؤسساتها المختلفة في إحداث التغييرات المرغوب فيها في كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية الروحية والسياسية.فغاية التربية هي بناء الإنسان وصياغته بالصورة التي يتمكن من حمل رسالة الاستخلاف في الأرض بالعبادة والتعمير.

(1) سورة الفاتحة،الآية2.

(2)أنور الجندي، موسوعة مقدمات العلوم والمناهج،مج 6، 1979،دار الأنصار، القاهرة ،ص397.

المطلب الثاني:أسس التربية

1. **الأسس العقيديه:**

تعد التربية عملية تغيير يتحقق عبرها الانتقال بالفرد و المجتمع من الواقع إلى التصور الأمثل لما يجب أن يكون عليه، عبر تحديد هوية التربية إذ أن لكل أمة من الأمم رؤيتها الخاصة فالتصور الأمثل للإنسان يختلف عنه في كل من اليهودية والنصرانية، وهذا التصور لا يمكن فصله عن الكون و الوجود و الحياة، إذ أن التصور عن هذه القضايا الكلية الكبرى يشكل جزءا من الأسس العقدية التي يبنى عليها المنهج، فلا يمكن تصور منهج تربوي لأمة من الأمم دون ان يكون مبنيا على معتقداتها وتصوراتها من الوجود و الكون والحياة ومن ثم فلا يمكن أيضا تصور إمكان استعارة أمة من الأمم مناهج تعليمية من امة أخرى.

2. **الأسس المعرفية:**

تشكل المعرفة جانبا مهما من مستوى المنهج، و عليه فإن بناء المنهج أو تطويره يتأثر بالموقف الذي ينطلق منه فيما يتعلق بالمعرفة من حيث غايتها وطبيعتها وموضوعها ومصادرها وحدودها و علاقتها بالمنهج.فأن ما يميز المعرفة في المنظور الإسلامي مصادرها، ففي حين تنحصر المصادر الرئيسية للمعرفة في كثير من الفلسفات في مصدرين رئيسين هما: الحس و العقل، نجد أن المنظور الإسلامي للمعرفة يتفق تلك الفلسفات على اعتبار أن الحس و العقل مصدرا رئيسيا من مصادر المعرفة، لكن يضيف إليها مصدرا أكثر أهمية وهو " الوحي" المتمثل في الكتاب والسنة المطهرة وهو يستقل و ينفرد بمصدريته للمعرفة في مجال الغيبيات، و عليه فالمعرفة في الإسلام لا تنفصل عن التصور الإنساني للكون والوجود الحياة و الإنسان، و إنما تستند إليه و ترتكز عليه.

3. **الأسس الاجتماعية و النفسية:**

وهي تتضمن القضايا والمقومات ذات الصلة بالمجتمع والفرد والتي على مخططي التربية أخذها في الحسبان، وتدخل في صلب ثقافة المجتمع ومشاكله وشخصية المتعلم و وجدانه من حيث هو منتج للعملية التربوية وذلك لتنمية مهاراته تحقيقا لنمو سليم وإشعاره بالمسؤولية وتقييمها للعمل

والإنتاج وإلزامه بقيمه وإدراكه لقيمة الوقت والحفاظ عليه؛إلى جانب تأصيل الثوابت القيمية ومواجهة التحدياتالحضارية كالعولمة بكل أشكالها، ذلك أن التلميذ جزء من أمة لمواجهة التحديات الكبرى والمشاكل الناجمة عنها[1].

المطلب الثالث: نتائج التغيير في بعض المنظومات التربوية العربية.

ازداد الاهتمام بإصلاح التعليم في الوطن العربي بعد أحداث11 سبتمبر 2001 بوصفه أحد أهم مداخل مكافحة "الإرهاب الدولي الجديد"، وذلك من خلال الربط الأمريكي بين المناهج التعليمية المقررة في عدد من الدول وبين ما تسميه الولايات المتحدة الأمريكية إرهابا، وزاد حجم التركيز خاصة على التعليم الديني، فقد أصبح جليا أن قضية المناهج التعليمية، لم تعد شأنا داخليا ترتبه الحكومات متى وكيف شاءت إنما أصبح شأنا عالميا في ظل ثقافة العولمة وبفعل أدواتها وأصبحت في المنطقة العربية الإسلامية قضية ذات أبعاد ثقافية واقتصادية وسياسية، فالأبعاد السياسية يطرحها مندوبو الدول على طاولة المفاوضات، والأبعاد الاقتصادية تشترط الجهات المانحة على تعدد انتماءاتها من أجل منح قروض ومعونات أو إسقاط بعض الديون، فبعدما كان سائدا عبر التاريخ الرق مقابل الدين، أصبح الآن الدين مقابل المناهج التربوية أو الثقافة، والأبعاد الدينية تطرح ضمن أوراق حوار الأديان، و أحيانا يكتسب تغيير المناهج صفة البحث العلمي فتقام مؤسسات وتخصص لها ميزانيات، فالأمر كما هو مطروح ضمن برامج المساعدات والمنح مطروح كذلك ضمن بنود اتفاقيات السلام مع اليهود، و يطالب به اليهود باستمرار ضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير، ومطروح ضمن شروط البنك لمساعدة الدول في برامج التنمية وفي برامج الشراكة الأورو متوسطية واللجان البحثية المشتركة، كما أن لتغيير المناهج التربوية وفقا للمنظور العولمي مبرمجة ضمن البنود الثقافية لتحرير التجارة العالمية التي تتبناها الدول الكبرى، التي يتم مناقشتها في المنتديات الاقتصادية التي أصبحت تعقد بصورة منتظمة، ففي منتدى "دافوس" قال

(1)فوزي طه إبراهيم، المناهج المعاصرة ، 2003 ، منشأة المعارف،) الاسكندرية، ،ص 265.وكذلك كتاب أسس التربية،علي القائمي،ص75.

وزير الخارجية المصري السابق عمرو موسى: "إن الوقت قد حان لوضع تصور جديد لمنطقة الشرق الأوسط في حقبة ما بعد انتهاء الصراع العربي الإسرائيلي الذي أعاق المنطقة بصورة كبيرة عن تحقيق التقدم"، و هذا ما من شأنه تحفيز الدول إلى علمنة، وعولمة مناهجها التعليمية.[1]

تونس: ففي تونس يندرج الإصلاح التربوي الجديد الذي يمثل امتدادا لإصلاح عام 1991 ضمن الحملة العالمية التي مولتها المجموعة الأوروبية في حدود 40مليون أورو للفترة2004/2001، كما أن الوثيقة التي وزعتها وزارة التربية و التكوين بشأن "مدرسة الغد"تقر بذلك، ففي الفترة الأخيرة تجدّد الاهتمام بالمدرسة و برسالتها؛ ولئن كان التعليم في تونس في حاجة إلى الإصلاح التطوير و هو ما فادت به كل قوى المجتمع المدني و السياسي، فإن الإصلاح الأخير الذي أقدمت عليه السلطة و الذي شارك فيه البنك الدولي للإنشاء والتعمير، منخلال ندوة ماي 1998 وغابت عنه نقابات التعليم والأحزاب والمنظمات الوطنية، جاء لتطوير المدرسة التونسية للإملاءات الأجنبية، ولم يلامس مشاكلها الحقيقية بل فاقمها رغم موسوعية البرامج وكثرة المحتويات المعرفية.

مصر: بدأت في مصر مرحلة جديدة بإعلان وزير التعليم بأن التعليم في أزمة، كما اعتبر الرئيس المصري حسني مبارك أن إصلاح التعليم "المشروع القومي المصري" الذي يتضمن بناء دولة مصرية جديدة ترتكز أساسا على إنسان جديد لا يكتفي بدور المتلقي، بل لديه القدرة على المشاركة بفعالية في ممارسة الحرية السياسية و البناء الاقتصادي، و إعادة بناء نظام جديد للقيم الاجتماعية والأخلاقية والتعامل مع المستقبل و قد تلازم مضمون الإصلاح مع التبديل في مادة التربية الإسلامية، وذلك منذ توقيع مصر على اتفاقيات كامب ديفيد (1978) ومعاهدة السلام مع إسرائيل (1979).

(1)محمد أحمد منصور،**مناهج التعليم وخطيئة التبديل**"، علم الفكر، العدد4،أكتوبر2003، ص13.

ولتجربة مصر وريادتها يمكن إسقاط المغزى العام لدعاوى إصلاح المنظومات التربوية لدول الشرق الأوسط، فقد قام "حسين كامل بهاء الدين" بجملة من الإجراءات منها:

تصفية مادة الدين من معاني العبودية وتقديمها في التعاليم الأخلاقية والإرشادات التي تسير على الطريقة الفلسفية في الأخلاق، كما هو الحال تماما في الخطاب النصراني.

زيادة جرعة الإفساد في مناهج اللغات، من خلال تضمين الكتب عبارات ماجنة، إذ قد احتوت المناهج الحديثة على عدد من المغنيين والقراء والروائيين الذين ألبسوا لباس العالمية، وقدموا للتلاميذ كنماذج يحتذي بها.

تقرير مادة الثقافة الجنسية على تلاميذ وتلميذات السنة الأولى والثانية من المرحلة الثانوية، من خلال أدق خصوصيات الحياة الزوجية، ويساعد على ظاهرة الزنا المقنن المسمى "بالزواج العرفي"في داخل القسم.[1]

السعي إلى إلغاء مادة الدين (التربية الإسلامية للمسلمين والتربية المسيحية للنصرانيين) وتقرير مادة الأخلاق التي تختلط فيها نصوص القرآنوالسنة النبوية بعبارات التوراة والإنجيل وأقوالالفلاسفة، إذ من المتوقع أن تتضمن الكتب ثقافة العولمة ومفاهيمها صراحة.

صرح مستشار التربية في مصر لجريدة "Herald Tribune" أن التغير القادم في مناهج التربية والتعليم سيعكس عملية السلام، بما يزيل كثير من أسباب العداوة في الشرق الأوسط، وهذا مايندرج ضمن شعار"التربية من أجل السلام".[2]

الجزائر: أما في الجزائر فإن مشروع إصلاح التعليم اتجه إلي:

1. إعادة تعليم المواد الدراسية باللغة الفرنسية.

(1)نعيمة غالية، تداعيات منظومة القيم الغربية الاستشراقية على المنطقة العربية في ظل استراتيجيات العولمة الثقافية،رسالة دكتوراه نوقشت بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر،سنة 2007/2006م،ص240

(2)نفس المصدر ، ص241.

2. إلغاء تخصص العلوم الإسلامية في الثانويات، لأنها نظرهم تعد فرض الدين معين على الأطفال في سن البراءة، وذلك ما يتعارض حسب زعمهم مع طبيعة النظام الجمهوري، إذ المفروض أن يترك الأطفال بعيدا عن هذه الضغوط، و لهم أن يختاروا الدين الذي يشاءون عند بلوغهم سن الرشد.[1]

فكانت بداية الإصلاح الراهن باللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية وقد شهد مضمون تقريرها رفضا واسعا من مختلف الشرائح الاجتماعية لهيمنة الصبغة العلمانية عليه.كما صدر في بداية2005مشروع يتضمن إلغاء تخصص الشريعة الإسلامية كشعبة من مقررات التعليم الثانوي، وقد بررت وزارة التربية الوطنية الجزائرية هذا الإلغاء بكون الإصلاح الذي قامت به الوصاية على مستوى التعليم الثانوي جاء وفقا لفلسفة و إستراتيجية مدروسة وجدت أن مكمن الخلل هو التخصص المبكر و الفروع التي لا تسمح للطلبة باختيار عدة شعب في الجامعة نظرا لمحدودية هذه التخصصات".[2]

المغرب:أما في المملكة المغربية دعت مديرية المناهج بوزارة التعليم في جوان2005إلى تقليص حصص التربية الإسلامية في المناهج الدراسية في شعبة الدراسات الأدبية، بينما يجري التفكير في إمكانية حذف المادة تماما من الشعب العلمية، كما دعا بعض مفتشي الوزارة إلى حذف الإشارة إلى الجهاد من دروس التربية الإسلامية؛ وبهذا الشأن يرى السيد "عبد الكريم الهو يشري" رئيس الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية ونائب البرلمان الممثل لحزب العادلة والتنمية الإسلامي أنه خلال الأعوام القليلة الماضية والمواضيع المرتبطة بالجهاد تنسحب بالفعل، وبصمت من دروس المواد الإسلامية، إذ أن النظام التعليمي المغربي يخضع لمراجعة شاملة تسير باتجاه تقليص دروس التربية الإسلامية عموما، ولا تستهدف مباشرة المواضيع المتعلقة بالجهاد كما يحدث في الدول العربية، حتى لا يقابل ذلك بموجة من الرفض الشعبي، علما أن هذه المعركة يقف وراءها دعاة المساواة بين

(1) علي بن محمد، معركة المصير و الهوية في المنظومة التربوية،2001م، دار الأمة ،الجزائر،ص 29.

(2)نعيمة غالية، تداعيات منظومة القيم الاستشراقية الغربية،ص127

المرأة و الرجل، فهناك لجنة تراجع كل ما يصدر من كتب تعليمية وتحذف منها كل ما يتعارض مع دعوة المساواة، وفقد تم حذف كلما يشير إلى أي تميز بين المرأة و الرجل من دروس التربية الإسلامية وغيرها كما رفضت هذه اللجنة إدراج مواد عن الحجاب باعتباره نوعا من التمييز بين الجنسين، ومقابل هذا هناك التوجه لغرس مفهوم"الجندر"[1]بدل مفهوم الجنس (الذكر والأنثى)لدى الطلاب، فهناك إغراق لمادة التربية الإسلامية بمفاهيم تركز على قيم التسامح والقبول بالآخر والسلم وغيرها من قيم عصر العولمة، لهذا فإن ما يجري في المغرب يعد انقلابا على الميثاق الوطني للتربية والتكوين، و انقلاب على "الكتاب الأبيض" الذي نص على"أن الاختيارات التربوية الموجهة لمراجعة مناهج التربية و التكوين المغربية تتجلى أساسا في المساهمة لتكوين شخصية مستقلة ومتوازنة و متفتحة للمتعلم المغربي تقوم على أساس معرفة دينه وذاته وتراثه وتاريخ وطنه و تطورات مجتمعه؛ وللعلم فقد استغلت الجهات التي تضغط على إصدار قرار التقليص تفجيرات الدار البيضاء التي حدثت في ماي 2003 كذريعة لدعاواها لإجراء إصلاحات[2].

من جهة أخرى يرى البعض أن إصلاح التعليم بالمغرب لا يعد سوى تصرف محلي لهجوم رأسمالي عالمي على التعليم بما هو خدمة عمومية لغاية تحقيق أهداف أساسية كالتخلص من عبئ النفقات و جعل التعليم مجالا للاستثمار والربح واستعمال التعليم لخلق المواطن المستهلك إلى جانب تكريس الفكر القدري وتوسيع الاستبداد، فقد جاء في تقرير البنك الدولي للإنشاء والتعمير لعام 1995 أنه يتعين في أفق 2010 أن يخطط القسم الأكبر من التكوين المهني ويمول مباشرة من قبل المشتغلين أو عبر تعاقد، و بهذا يوضع مصير التعليم بين أيدي الرأسماليين لإخضاعه مباشرة لمنطق الربح والمنافسة(تبضيع التعليم)، فقد بات التعليم يشكل هدفا لهجوم الرأسمالية العالمية

(1)الجندر:ففكرةالجندرعندالغرب هي: أنهم أرادوا إثبات المساواةب ين المرأةوالرجل مساواة مطلقة،وأنه ليس هناك أي فرق بين الرجل والمرأة، فالرجل مثل المرأةمائة بالمائة،والمرأة مثل الرجل مائة بالمائة وليس هناك أي فرقب ينهم، وأنكروا الفروق الحقيقية البدنية

(2)الأمين الأندلسي، جدل المغرب حول تقليص التربية الإسلامية ، التجديد العدد 90 جوان 2005ص ص 7، 8.

بقيادة المؤسسات المالية العالمية بأداة رئيسية هي الاتفاق العام حول تجارة الخدمات(AIGCS) الموقَّع أفريل 1992 "فالبرجوازية الباحثة عن مجال استثمار أموالها ترى في التعليم ميزانية عالمية سنوية تقدر بألف مليار وقطاع ثقيل بـ 50 مليون عامل ومليار مفترض من الطلاب والتلاميذ؛[1] إذ أن من تأثيرات العولمة على النظم التعليمية هو ذلك الاتجاه نحو وضع نظام عالمي لتقويم المؤهلات ووضع نظم لتحديد المستويات التعليمية تمكن من أن يتوافق النظام التعليمى من حيث مخرجاته مع مبدأ حرية العمل انتقال الأفراد بين الدول.

تنفيذا لقرار المؤتمر العام الثالث عشر (13) للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألسكو) المتضمن عقد مؤتمر تربوي كل عامين، انعقد المؤتمر التربوي الأول بمدينة طرابلس بالجماهيرية الليبية بتاريخ05ديسمبر 1998 لمناقشة موضوع "رؤية مستقبلية للتعليم في الوطن العربي"، وقد تم الاتفاق على أن تكون "مدرسة المستقبل" موضوعا للمؤتمر القادم، وحددت محاوره الفرعية التي تضمنها بيان طرابلس:

- اعتماد فلسفة تربوية تعد أساسا على احترام الكرامة الإنسانية للفرد دون المساس بالعقائد والقيم العليا ليس هناك ثوابت في الواقع الاجتماعي للإنسان، الأمر الذي يوجب التقليل من الاعتقاد بعصمة المواريث الفكرية والاجتماعية، وهذا ما يستدعي إملاء قيمة الحوار تجنبا لحتمية الاختلاف المفضي إلى الخلاف.
- تنشئة الأجيال على المواقف العقلانية الواضحة إزاء المشاكل الطبيعية والإنسانية لتمكينهم من التفكير في أطر وبنى اجتماعية أفضل.
- إبقاء التعليم عرضة للمراجعة والمقارنة مع الأمم الأخرى المتقدمة.

تفعيلا لمشروع "مدرسة المستقبل"اجتمع وزراء التربية و التعليم و المعارف في الوطن العربي في دمشق بسوريا (2000)في المؤتمر الثاني الذي أكد على جهود دائمة من أجل مواكبة التغير الذي

(1)نيكوهيرت،"هل سيتحول التعليم إلى بضاعة؟"، المنظمة، العدد85، جوان2005، ص 12.

يطرأ على التربية في العالم، بغية بناء المدرسة العربية التي تستجيب لمطالب التغيير استجابة علمية تعبئة إمكانيات العمل التربوي و مقوماته ومكوناته المختلفة سواء اتصلت بأهداف التربية أو بمحتواها وطرائقها أو بوسائلها وتقنياتها تعبئة جديدة متكاملة، و ذلك من خلال تفعيل الاهتمام لدى الطلاب والتلاميذ بتكوين المواقف والاتجاهات الإيجابية الفعالة التي تمكنهم من مواجهة التغيير أيا كان، والتكييف مع الجديد،ذلك عبر فتح المجال لمشاركة المؤسسات غير الحكومية لتمويلها.[1]

فما تميزت به نماذج الإصلاح التربوي العربية هو تضخيم الجانب النظري في المواد الدراسية على حساب الجانب التطبيقي،فضلا عن الجانب السلوكي العقائدي الذي لا يخدم إلا المخططات اليهودية، وغيرهم من أعداء الأمة العربية الإسلامية الذي يرمون إلى جعل التعليم في الوطن العربي تعليما نظريا وليس تعليما تطبيقيا، وتفريغ المقررات الدراسية من الموضوعات التي تعزز الروح الإسلامية، تمكينا للقيم الفردية التي لا تتعارض مع العلمنة ومناهج الفكر الغربي وما يتعلق به من مفاسد وسلبيات وإشاعة التفسخ والانحلال.

ولعل من مستلزمات «عولمة» التعليم –الذي يعتبر الرحم الذي تنمو وتتخرج منه سائر الأنشطة الحياتية– تقتضي ضرورة إعادة النظر في سياسته ومناهجه، وبرامجه، وأهدافه،وتطويعه وتذليله، وتنقيته، ليصبح مؤهلا لامتداد مفاهيم «العولمة»،والقبول الأعشى بكل معطياتها، وإذا استعصى ذلك لسبب أو لآخر،وصعب إلغاؤه، فما أسهل من أن يهمش ويترك ليلاقي مصيره ومشكلاته، وتتقدم المؤسسات والمناهج والجامعات والمدارس «المعولمة»لتملأ الساحة.بل نستطيع أن نقول: إن «عولمة» التعليم هي في الحقيقة «عولمة»لسائر شؤون الحياة، ذلك أن المتبع لمسارات ثقافة «العولمة»، وأنشطتها،وممارساتها، على الأصعدة المتعددة، يرى بدون أدنى لبس، أن فلسفة نهاية التاريخ، والانتهاء إلى النظام الرأسمالي، وطمس الثقافات والحضارات الأخرى، وإنهاء المشترك

(1)المجلة العربية للثقاف (إعداد)"هل مدرسة المستقبل في الوطن العربي: إعلان دمشق"، العدد المجلد ، 20ديسمبر

الإنساني،والوصول إلى الإنسان الخاتم، هو الفلسفة التي يساق إليها العالم، شاء من شاء، وأبى من أبى.ذلك أن موجة «العولمة» تعني – فيما تعني– عند بعض فلاسفتها ومنفذيها: أن الناس يجب أن يكونوا أجراء وعملاء لا شركاء، في نظام«العولمة»[1].

المطلب الرابع: العولمة وأثرها على الثقافة والأفكار

الفرع الأول:العولمة وأثرها على الثقافة.

1_ عولمة الثقافة:

و يتحدد مفهوم الثقافة باعتبارها مجموعة من الأفكار والقيم والمعتقدات والتقاليد وأُسلوب الحياة وكل ما صنعه الإنسان وأنتجه من أشياء مادية أو معنوية تتوارثها الأجيال أو تَضيفها نتيجة عيشها في مجتمع معين [2].ويرى عبد الستار الراوي أن العولمة الثقافية تعني:«إشاعة قيم ومبادئ ومعايير الثقافة الأمريكية والنموذج الأمريكي وجعله نموذجا كونياً يتوجَّب تبنّيه وتقليده» [3].ويشير بلقزيز إلى أن العولمة الثقافية اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي أمريكي على سائر الثقافات [4].وجاء هنا متوافقاً مع ما يطرحه القرضاوي في أن العولمة الثقافية تتمثل بفرض الثقافة الأمريكية على العالم كله، وهي خطر على عقائدنا وقيمنا ولغتنا، تريد أن تسلخنا عن جلدنا وأن تنزعنا من هويتنا، مروجةً لبضائعها الفكرية ومعلّباتها الثقافية الملوثة في أمتنا العربية مشيعةً فينا ثقافة الاستهلاك وثقافة الإباحية وثقافة الشذوذ وثقافة الإجهاض وثقافة التطبيع [5].

(1)عمر عبيد حسنة، قوة الثقافة .. لا ثقافة القوة،ص ص59، 60.

(2)مبارك بن نزال بن مبارك الصقيري، العولمة الثقافية في ضوء العقيدة الإسلامية،ماجيستير،ص 17.

(3)العولمة الفردوس الموجود وجحيم الواقع . مجلة الموقف الثقافي ،1997، ص (332).

(4)مبارك بن نزال بن مبارك الصقيري، مصدر سابق.ص (18).

(5)يوسف القرضاوي، المسلمون والعولمة، د ط 2000، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ،ص ص 46،48.

2 _ عولمة المثقفين:

فالمثقفون،الذين يعتبرون خط الدفاع الأول ،والخشية كل الخشية أن يتعولم وتمارس عليهم عمليات الاستنساخ الثقافي، فيمارسون الخيانة الثقافية، قبل أن تتعولم الأمة. وقد تكون مشكلة الكثير منهم ، اختلال النسب، وفقدان المعايير، والتعاطي مع العولمة بشيئ من الحول العقلي، الذي لا يمكنهم من إبصار الجوانب الحياتية، والاقتصادية، والثقافية، والتنموية ، والتجارية، والاستهلاكية، الأمر الذي يؤدي إلى اختلال النظر في التعاطي معها، وعدم إبصار إلا جانب الهيمنة والسيطرة، بعيدا عن إنجازاتها في مجال التقنية، والمعلومة، والاتصال بعمومها، وإن كانت هذه الإنجازات توظف لخدمتها في نهاية المطاف، وعلى الأخص أن كثيرا من دول العالم ما تزال – لأسباب لا يتسع المجال لاستقرائها – دون سوية استيعاب التكنولوجيا الحديثة، وكيفية التعامل معها، ولا تصل إلى مرحلة الاستيعاب للإستخدام، إلا وتواجه بتقنيات جديدة متدفقة،لتتابع اللهاث وراء فهمها، وكيفية استخدامها ... وبهذه الرؤية وهذه الوسائل، سوف تستمر في موقع المتلقي.ولا شك أن الذي يمتلك المعلومة ، ويمتلك التقنية المتقدمة، ويمتلك وسائل الإعلام والاتصال، التي أصبحت أشبه بالحواس التي لا يمكن الاستغناء عنها، سوف يمتلك التحكم بحركة العالم الذي بات لا يستطيع الحركة إلا بهذه الحواس، وهو الذي سوف يقود قطار العولمة، ويمر به في سائر أنحاء العالم[1].

الفرع الثاني:الصراع الفكري.

يعد الوقت الراهن عصر حرب الأفكار بامتياز لدرجة أن العديد من الدراسات تعمل على إرساء معالم الصراع الفكري والقيمي بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي ، من خلال تنمية

[2]عمر عبيد حسن،العولمة فرص وتحديات، ص 43،44.

التناقضات بين الطرفين ، غير أن الغرب في صراعه مع العالم الإسلامي بإدانته وتحويله لعدو استراتيجي خلفاً للعدو الشيوعي ،انتهج أخطر الوسائل في تفعيل الأفكار الميتة والقاتلة معاً للقضاء على القيم الإسلامية من أجل تبني قيم العولمة ،فالأفكار الميتة هي الأفكار التي تجول بالنفوس فقدت حياتها مع مرور الزمن،والأفكار القاتلة التي يعيرها الغرب لغيره من الشعوب ،وهي تمثل الثنائية التاريخية التي تربط الاستعمار بالعالم الإسلامي القابل للاستعمار ،فالأفكار الميتة هي الأفكار الموروثة منذ عهد الموحدين، وهي أخطر من الأفكار القاتلة كونها فشلت المجتمع الإسلامي عبر التاريخ ،فرغم أنها ميتة لا تزال تكون الجانب السلبي في النهضة،وهي أفكار كانت قتّالة في مجتمع حي ،من قبل أن تصبح ميتة في مجتمع يريد الحياة وهي وليدة المجتمع العربي الإسلامي ،فكل مجتمع يصنع الأفكار التي ستقتله[1] ،وتبقى في تراثه الاجتماعي أفكارا ميتة، وتزداد خطورتها كونها تظل منسجمة مع عاداته وتفعل مفعولها في كيانه من الداخل فهي تفتك بالداخل الإسلامي لأنها تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه[2].

وقد تأخذ الأفكار الميتة والقاتلة شخصية واحدة، تمثل المظهرين الداخلي والخارجي ،وهي ظاهرة مزدوجة تثير مشكلة من نوع خاص محددة بصورة معينة ،فالأفكار القاتلة هي الجانب الميت من المضمون الفكري للحضارة الغربية ،فالعالم الإسلامي وباعتباره لا يزال يعيش على أعتاب عهد الموحدين ،يخلط بين معطيات العلمية للحضارة الغربية ،وبين مظهرها فيأخذ منها عناصر تقتصر عل تملل الأخلاق ،فأغلب النخب المثقفة لا تمتص من الثقافة الغربية سوى عناصرها القاتلة ،وتغفل عناصرها الحية ،والقضية في الأساس لا تعود إلى طبيعة الثقافة الغربية فقط بل كذلك إلى طبيعة صلة المسلمين بها[3].

---

(1) دليلةبن كوسة ، المشروع الحضاري الإسلامي بين العالمية والعولمة ، ص 208.

(2) مالك بن نبي، في مهب المعركة،ط3، 2003 م ، دار الفكر ،دمشق ،ص 130.

(3)نفس المصدر،ص 133.

ومن هذا المنطلق وفي إطار هيمنة العولمة يبرز الخطر فيها بوصفها محاولة لتدجين الشعوب وتدمير مناعتها الثقافية والهيمنة عليها، تلتقي موضوعياً مع الأنظمة القطرية التابعة في تهديد الهوية العربية الإسلامية ومحاولة تغييبها، وفي السعي لفرض الهويات القطرية والمتوسطية والشرق أوسطية، وحتى الطائفية والعشائرية المستجيبة لحاجات الاستبداد الداخلي والهيمنة العالمية على المنطقة.إنّ الأفكار التي يستمدُّها المسلمون من تراكمات تاريخ عهد الموحدين من جهة والتي يستقيها من مخلفات الحضارة الغربية من جهة أخرى بوجهيها الميت والمميت أحالت المجتمعات إلى آلات ما شابها من أفكار ،كي تدمر على البقية الباقية من فكرها ،فلم يتمسك المسلم منذ عهد الموحدين سوى بعادات وتقاليد هي للبدع أقرب وبما أن العولمة قامت بقلب سلم القيم الإنسانية رأساً على عقب، أدت به إلى إقصاء العامل الأخلاقي وتغييبه .فإن المسلم في وسط هذا الوضع الذي يزداد علّة يوماً بعد آخر لا يجد نفسه سوى بين البدع التي خلفها تاريخه ،والانحلال الخلقي الذي خلفته حضارة عصره ،ومن هنا فإنه إما رافض للحضارة الغربية وبكل ما تحتويه من إيجابيات وسلبيات ،ومنطوٍ على أفكار بالية تحفز على الركون والانحطاط ،أو مدفوع نحو قشور الحضارة الغربية بتقمص مظاهرها المنحلّة دون تمييز بجوانبها العلمية والثقافية التي دفعت بالغرب إلى الوصول لقمة التطور والتقدم الإنساني ،وهنا تبرز هامشية العقل المسلم في صناعة التاريخ ،فهو همش نفسه قبل أن يفعل الغربذلك ،وبتمازج الموروث مع الوافد ،تبدو الثقافة في الوقت الراهن مشوهة ،فهي لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك ،ومع أن العولمة تعمل على تهجينها كليا فهي تنتهج جميع الوسائل والأساليب من أجل القضاء على الهوية الإسلامية ،وغرس محلها ما يشبه بالرداءة الغربية ،وتعدد وسائل الإعلام والاتصال أنجع الرسائل في تمرير مشاريع التغريب ،بما لها من فعالية في اختراق الميزات الأصيلة للأمة من مدخل اللاوعي الجماعي ،لدرجة أن المسلم يغير نفسه وفقاً لأهداف الغرب رغم رفضه لحضارته، أو جهله بها وبعلم الغرب.[1]

[1] مالك بن نبي، في مهب المعركة، مصدر سابق، ص ص206،207 .

المبحث الثالث: انعكاسات العولمة في المجال الإعلامي

أدت التطورات التكنولوجية الكبيرة في مجالي الاتصالات والمعلومات خلال السنوات القليلة الماضية إلى تدفق هائل للأفكار والقيم والعادات والمعلومات ، وقد أدت تلك الوسائل دورا مؤثرا على الثقافات المحلية للشعوب ،فوسائل الإعلام وأساليب الاتصال المتطورة تعد من أخطر أدوات العولمة الإعلامية في تكريس أهداف العولمة وهو ما نبينه في هذا البحث من خلال التعرض لمفهوم الإعلام المعولم وأهدافه وواقع الخطاب الديني في ظل تحدي العولمة و الاستراتيجية الواجب اتخاذها في ظل هذه التحديات لصناعة بديل إعلامي يحافظ على الخصوصية الثقافية والدينية للأمة

المطلب الأول: مفهوم الإعلام:

يقصد بالإعلام هو فن استقصاء الحقائق والمعلومات والأخبار ومعالجتها ونشرها على أوسع نطاق جماهيري وفي الوقت الملائم من خلال وسائل الإعلام الحديثة والمتنوعة، ويقصد بوسائل الإعلام جملة وسائل الاتصال المقروءة والمرئية والمسموعة[1].

وكما يشير مفهوم وسائل الإعلام إلى كافة أوجه الأنشطة الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بالحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والمشكلات بطريقة موضوعية بما يؤدي إلى خلق درجة ممكنة من الوعي والمعرفة والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات الجمهور المتلقي للمادة الإعلامية وبما يسهم في تنوير الرأي العام[2].

ومن المصطلحات التي صاحبت الإعلام هي العولمة الإعلامية تعد هذه الأخيرة من المصطلحات الحديثة التي نشأت مع التقدم التقني المصاحب للعولمة وهي سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول وإنما تطرح حدود قضائية غير مرئية ترسمها

(1)صفية نزاري ، الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي،رسالة ماجستير مخطوطة جامعة باتنة2011،2010م ،ص167.
(2)نفس المرجع ص 168.

شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية، لتقيم عالما من دون دولة ، ومن دون أمة ، ومن دون وطن وهو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظومات ذات طبيعة خاصة يتسم مضمونها بالعالمية والتوحد رغم تنوع رسائلها التي تبث عبر وسائل تتخطي حواجز الزمان والمكان...لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء[1].

فعولمة الإعلام في عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع المستمر في قدرات وسائل والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة والتكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصالات والمعلومات لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية وتحقيق مكاسب شركات الإعلام و الاتصالات والمعلومات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة و دور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي[2]

ولها أهداف وأغراض وانكاسات أخرى تسعى لتحقيقها وهو ما نسعى لتوضيحه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: انعكاسات العولمة الإعلامية:

للعولمة الإعلامية أهداف ومقاصد تسعى لتحقيقها من أجل التأسيس للفكر الغربي وهذه الأهداف لا تقف عند حد معين بل تتجدد التقنية التي تستخدمها وتستعين بما تملك من أساليب لتحقيق هذه الأهداف ومنها ما يلي:

- توفير بيئات ومجتمعات افتراضية يتم من خلالها إحداث التغيير المطلوب على جميع المستويات بما في ذلك القيم الإسلامية الأصيلة.
- إضعاف الإعلام الوطني المحلي وتوجيه الأنظار إلى الإعلام العالمي.

(1)أحمد مصطفى عمر ، إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك ، المستقبل المعرفي العدد 256 السنة الثالثة والعشرون ، 2000 ، ص71.

(2)عبد الله بن عطية الأحمد ، تحديات العولمة الاعلامية ، ص 87.

- المساهمة في إسقاط الرموز من المفكرين و المثقفين في مجتمعاتهم العالم.
- إثارة حب الشهرة في نفوس المجتمعات ومثقفيها ومفكريها وتهافتهم على وسائل الإعلام على حساب جدية الطرح وأصالته[1].
- الدعوة إلى التمرد على العادات والتقاليد الاجتماعية المستمدة من القيم الدينية و الأخلاقية.
- المساهمة في نشر الإباحية والتشجيع على السفور وإثارة الغرائز والشهوات والدعوة إلى شيوع الرذيلة والتشجيع على ممارستها.
- الدعوة إلى التبعية الثقافية وممارسة الغزو الثقافي وبث الإعجاب بالنموذج الغربي الأمريكي، من خلال مايقدم في القنوات الفضائية التي تشجع على نشر أنماط الثقافة الأمريكية... حيث يتناقض ما يقدم في هذهالقنوات مع الأسس التربوية والتعليمية.
- تقديم برامج ومسلسلات تحتوي على أفكار ومفاهيم تورث ضعف الإيمان بالله والإعراض عن طاعتة والتهوين من شأن الأمور الدينية في حياة الإنسان واعتبارها من الأمور الثانوية وتمييع المفاهيم والثوابت الإسلامية التي تمس عقيدة الإنسان المسلم ومقدساته، بل تورث التمرد على الدين وتدعو إلى التفلت من ضوابطه.
- تشجيع البرامج والأفلام والمسلسلات التي تروج للفكر الخرافي وتتعارض مع الفكر المستقيم.
- إبعاد الشباب عن ممارسة الأنشطة الإنتاجية والترويجية والاكتفاء بمشاهدة القنوات الفضائية والأرضية وانعزال الفرد وانزوائه، وتغذي لديه الشعور بالنقص الكبير الذي ينعكس على سلوكه سلبا بل يؤدي إلى هروبه من محيطه الاجتماعي و تكون خصائص سلوكه مضطربة تجعله ينتقل من مساهمة الفعل إلى موقع الانفعال، ومن ميدان التأثير إلى خانة التأثر والاستلاب[2].

(1)عبد الله بن عطية الأحمد ، تحديات العولمة الاعلامية، نفس المرجع، ص 87.

(2)صالح بن سليمان بن صالح العمرو ، تحديات العولمة الثقافية ودور التربية الإسلامية في مواجهتها ، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية ، مج 4 ع 8 ، محرم 1433هـ يناير 2012م ص39.

أما في برامج الأطفال التلفزيونية المستوردة فإنها تتضمن مظاهر سلبية كثيرة منها زج الأطفال في متناقضات لا علاقة لها بواقعه أ ثقافته، هذا بالإضافة إلى العنف بكل أشكاله وصوره والجنس والعدوان والخداع والمغالطات التربوية والخرافات ...كما تتضمن قدرا كبيرا من القيم غير المرغوب فيها حيث تقدم نماذج تسعى إلى التحطيم والدمار واستخدام القوة والعنف، مما يجعل منها أداة سلبية للتكيف الاجتماعي، وتعمل على إضعاف الانتماء إلى الوطن[1].

يشتغل إعلام العولمة بدأب ونشاط للتضليل وغسل الأدمغة وتزوير القيم و الأذواق ، وذلك لتحقيق إخضاع ثقافي وإيديولوجي وهو شرط أساسي لتحقيق برنامج الإخضاع الاقتصادي الذي تتطلع إليه القوة الحاكمة لنظام العولمة[2].

ولعل ما ذكر من أهداف وأساليب تلجأ إليها العولمة الإعلامية لتشجيع ثقافتها وتأسيس لنموذجها الذي تريد تحقيقه في باقي المجتمعات وخاصة المجتمع الإسلامي فما هو واقع الخطاب الديني في المجال الإعلامي في ظل تحديات العولمة الإعلامية.

المطلب الثالث: واقع الخطاب الديني في القنوات العربية و الإسلامية

من خلال المتابعة المباشرة للخطاب الديني في القنوات الفضائية،وكذلك من خلال الاطلاع على نتائج الدراسات الإعلامية المتخصصة التي أجريت ومنها دراسة رشدي شحاتة ،مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل نظام العالم الجديد، وكذلك البعد الإيديولوجي للقنوات الدينية وكيفية المواجهة لحامد طاهر، يمكن رصد مجموعة من خصائص وأساليب تلك القنوات:

أولا: من حيث الشكل:

استخدام الدعاة الشبان الجدد.

(1)محمد معوض ابراهيم ، المشكلات الإعلامية في برامج التلفزيون الخليجي الموجهة للأطفال، مجلة المنهل،ع 587، رجب 1424هص79.

(2) نعيمة غالية، منظومة القيم الاستشراقية عل المنطقة العربية ، ص 194.

استخدام الفنانات المعتزلات في التقديم أو الحوار.

الإكثار من البرامج التفاعلية مع المشاهدين.

استخدام أسلوب الجوائز للرد على الأسئلة الدينية.

إصدار الفتاوى على الهواء مباشرة،وفي أكثر الأحيان بدون سند شرعي.

ثانيا: من حيث المضمون:

التركيز بصورة أساسية على فقه الشعائر.

التعرض لبعض سلوكيات المعاصر في ضوء الدين.

الاستمداد في الحكايات والوعظ.

الالتزام بالفكر السلفي الوهابي على القنوات الممولة من السعوديين،وبالمذهب الشيعي على قنوات (المنار ، وأهل البيت ، والأنوار...).

الجوانب المستبعدة تماما:

الجانب السياسي في حياة المسلم المعاصر.

الجانب الاقتصادي ودوره في تنمية المجتمع الإسلامي.

كيفية استقبال وتعامل المسلم المعاصر مع المستجدات الحضاري.

أسلوب التحاور فيما بين المسلمين و التعايش مع غير المسلمين.

الموقف الصريح والواضح من فكر الجماعات المتطرفة[1].

فتجربة الإعلام الديني على الفضائيات هو ظاهرة التجاهل المقصود – لقضايا الأمة وثقافتها – وفي مقدمتها تجسيد ثقافة المقاومة ،وثقافة الأخلاق ، وثقافة إيجاد الذات والاعتزاز بها.لذا يحتاج العالم الإسلامي و مؤسساته الإعلامية إلى جهد أكثر من ناحية الصبر والصدق ،ليعكس

(1)رشدي شحاتة، مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل نظام العالم الجديد، دار الفكر القاهرة 1999 ص 236 – البعد الإيديولوجي للقنوات الدينية وكيفية المواجهة حامد طاهر،ص230.

الصورة الحقيقية للمسلم ، لا الصورة التي يعمل عليها الإعلام الغربي المتصهين والذي يملك القدرة الكبيرة في استعمال وسائل الإعلام الحديثة وهذه الوسائل والأساليب تدور جميعها في دائرة واحدة عنوانها الكيد والعداء للإسلام[1].

فالعمل على استغلال وسائل الإعلام المختلفة المحلية لبث البرامج العلمية والثقافية بالقدر الذي يعمل لدى المواطن العربي والمسلم حصانة ثقافية كما تقوم وسائل الإعلام بواجباتها في الحفاظ على الهوية ودعمها ، فضل في استيراد البرامج التي تهدم الهوية دون نظر أو تمحيص كما أن على الدول والعلماء وقادة الرأي ورجال الأعمال الضغط على وسائل الإعلام كل بما يستطيع لمراعاة هوية الأمة وقيمها.

(1)رعد توفيق صالح البياتي، أثر البعد الديني من الإعلام الأمريكي العولمي الجديد، مجلة المتنصرية للدراسات العربية العربية والدولية، ع 37، الجامعة العراقية ،ص177.

المبحث الرابع:انعكاسات العولمة على القيم والمجتمع.

المنظومة القيمية للمجتمعات هي أساس تطورها و رقيها أو عكس ذلك. فما هو انعكاس العولمة علي قيم المجتمع؟

المطلب الأول:مفهوم القيم الاجتماعية:

تعرف القيم بأنها "مجموعة النظم الأخلاقية السلوكية للإنسان في داخله الباطني وخارجه الظاهري، تنبع من دينه وحضارة مجتمعه، وثقافته الشخصية، مضافا إلى تربيته الخاصة، وعقيدته في النفس والعالم[1].

وتنظر الفلسفة إلى القيم على أنها:"حالة أزلية وغير قابلة للتغير ولا للزوال،والإنسان يدرك هذه القيم من خلال تعامله مع الأشياء التي تحملها من خلال خبرات انفعالية وعاطفية، وكنتيجة لذلك يتشكل ضمير الإنسان، بحيث يحدد له ما الصواب وما الخطأ، وإنّ الخبرة الحياتية لا تصلح للتمييز بين القيم الحسنة والسيئة بل على الإنسان أن يتجاوز الحياة اليومية حتى يصل إلى الحقيقة[2].

وهذه النظرة الفلسفية للقيم فيها كثير من الشطط والخيال، فأحكامنا حول القيم قابلة للتغيير، وبالتالي فهي نسبية عموما؛ تقاس بنتيجتها أي بما يعود منها بالخير على الفرد والمجتمع في الموقف الذي تطبق فيه.فسرعة حدوث التحولات المجتمعية، أو حدوث تضارب بين القيم وبين الواقع المتغير بعوامل مختلفة، سرعان ما تحدث صراعات قيمية، يتمخض عنها إما تذبذب قيمي لدى الأفراد، أو تحولات وتغيرات قيمية كبرى وجذرية. وإنّ التحولات الاجتماعية السريعة التي شهدها عصر العولمة، وانفجار ثورة المعلومات، وانفتاح السماوات على كل أصناف القيم الوافدة قد أدت إلى صراعات قيمية خطيرة في مجتمعاتنا ما زالت تتفاعل إلى اليوم. فسياسة الأسواق

(1) محمد عبد العزيز محمد، الأخلاق والقيم ،ط(1) ، 1417هـ،جدّة ، ص 87، 88.

(2)ضاهر زاهر،القيم في العملية التربوية ،1984م، القاهرة،ص 12، 13.

المفتوحة وتحرير التجارة وفقا لاتفاقية (الغات) على الرغم من الصعوبات التي تواجهها، تتيح فضاء واسعا لنقل السلع وتحقيق عالميتها وعالمية استهلاكها، طالما أن المقاييس التي يعتمد عليها من استهلاكهم إياها.

إن هذه المبررات تستندها ثقافة الاستهلاك التي يتم الترويج لها بذكاء، هي ثقافة تقوم على قاعدة تقول: أن البشر في كل مكان، القادرون على الاستهلاك توحد بينهم وتجمعهم سلع وبضائع ومنتوجات تخلق فيهم ميولا وأذواقا ورغبات مشتركة، ترفع من مستوى الاتفاق الثقافي فيما بينهم، وتدريجيا تجرد ثقافاتهم من هويتها وخصوصيتها وتلبسها ثوب الثقافة الاستهلاكية الجديدة[1].

المطلب الثاني: العولمة والقيم:

إن الاستعمار الجديد هو غزو ثقافي وروحي ينال من الهوية والدين والعقائد وليس المراد بذلك أن تلحق بهم الأمم الأخرى،بل هو لاستقطاب الأفراد والجماعات وتخريب قيمها بدغدغت مشاعرها وأحاسيسها وجعلها جماعات مستهلكة، تنمو بطونها لا عقولها، وبالتالي يسهل قتل الشخصية وضياع ومحو الهوية وقيام الأمة، ومن أهم مقومات الشخصية لأي أمة من الأمم هي الدين والأخلاق والعادات والقيم وهي مقومات فلسفة التربية.[2]

فالعولمة قبل أن تكون نظاما اقتصاديا كانت نظاما قيما جديدا ساهم كل المساهمة في تغيير عقيدة الناس،فما صيرهم آلات منتجة ومستهلكة فهم يعملون طوال اليوم ليحصلوا على أجر يرضيهم في قرارة أنفسهم، ثم يتحولون بعد ذلك إلى الاستهلاك على إفرازات الاقتصاد الغربي، فما يأخذونه باليمين يعطونه بالشمال وهذه العملية الروتينية أنست المجتمع الدين والقيم والأخلاق وإن دين العولمة هو الانحلال الخلقي وانهيار القيم والجشع والربا واستنزاف خيرات وأموال الناس بغير

(1)محمد العابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، ص 147.

(2) جمال نديم طوبال، فلسفة التربية وأبعادها العقلية والخلقية، رسالة دكتوراه نوقشت كلية العلوم الانسانية و الإجتماعية ،جامعة الجزائر،عام 2011،ص 131.

حق ومن ثم تم اختراق العقل الجماعي الإنساني بأدلجته بإيديولوجيا دينية جديدة بعيدة عن اسم الدين، إذ يغدو الدين في زمن العولمة علاقة بين الإنسان و العمل، لا تهمه من الحياة الدنيا إلا عمليات إشباع غرائزه فينصرف عن الروحية الإنسانية.[1]

فخطر العولمة على القيم هو مسخ الإنسان بجعله لا يهتم بغير الحصول على المال بكل الطرق وما بين هذا وذاك يصبح بغير قيم وبغير عقيدة وبغير مبادئ، وبغير حضارة إلا حضارة العولمة، ولكن العولمة تصوغ قيمها وتمحو قيما كانت تملأ الأرض، حتى أن قيم العولمة أصبحت البديل الحقيقي عن قيم الإنسانية المشتركة.[2]

فالعولمة تتبنى كل الوسائل المريبة لتمزيق الأمة الإسلامية والطغيان على قيمها السامية بالعمل على شيوع القيم المتدنية التي تصاحب الغزو الفكري والاستهلاكي مثل: طغيان الاستهلاك والنهم المادي وشيوع العنف والجنس والمادية والفردية والامتنان بالثروة والسعي إليها بأي سبيل والتخلي عن القيم.[3]

ففي دراسة أجراها محمد شومان لتحليل محتوى تسع إعلانات نشرت في الأهرام إلى جانب عدد من الصحف العربية هي: الشرق الأوسط، الحياة، والرياض السعودية توصل الباحث إلى أن الإعلان المعولم – بكسر اللام – يعمل كآلية وفاعلة لتسريع عملية العولمة،ومن هنا فإنه يجسد بوضوح قيم ومعاني ورموز أيديولوجية العولمة، ويروج لها من خل الخطاب مراوغ وبراق،لكنه مضلل وزائف،إذ يركز كما ظهر في تحليل عينة محدودة من هذه الإعلانات المعولمة على[4] :

(1) حيدر حميد الدهوي، العولمة والقيم ط2، 2008،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ص 54.

(2)نفس المرجع ص 34.

– (3)محمد جعرير، الخصوصية الثقافية والعولمة، رسالة ماجستيرنوقشت بقسم الفلسفة، جامعة الجزائر (2)بوزريعة،سنة 2009م،ص 137.

(4)محمد شومان : قراءة في خطاب الإعلان المعولم في الصحافة العربية في كتاب : الإعلام والثقافة الهوية في الوطن العربي، تحرير هويدا عدلي، (القاهرة : دار الأمين ط(1) ، 2003م)، ص247، 248.

1. نشر و تمجيد ثقافة الاستهلاك والربط بين الاستهلاك وتحقيق المتعة والشعور بالحرية، بل وأحيانا يكون استهلاك المنتجات الأمريكية شرطا للتماشي مع نمط الحياة الأمريكية، من جانب آخر يربط خطاب الإعلان المعولم بين الاستهلاك وتميز الفرد وقوته وتميزه طبقيا أو ثقافيا، فالاستهلاك يصبح ضرورة وشرطا لتحقيق تميز الفرد وإثبات قوته المادية أو المعنوية بين بني وطنه، وذلك بغض النظر عن نوعية السلع والخدمات التي سيقوم الفرد باستهلاكها.فلكل سلعة أو خدمة وفق نظام خطاب الإعلان المعولم حلم خاص بها، ووعد زائف يمكن تحقيقه ولو للحظات هي عمر استهلاك المنتج أو الخدمة ومن عجب أن بعض هذه الأحلام تحفل بدعوة صريحة لاستخدام العنف ضد الآخر.

2. تمجيد التقدم التكنولوجي واستخدامه كمدخل لتبرير اقتناء واستهلاك النماذج الجديدة والحديثة من السيارات والهواتف النقالة من دون أن تكون هناك حاجة موضوعية لذلك.

3. فرض الهيمنة على السوق وعلى المستهلكين من خلال توحيد وتنميط الأذواق وخلق إجماع زائف على استهلاك سلع وخدمات قد لا يكون الفرد والمجتمع في حاجة إليها،أوقد لا تتفق مع احتياجات وأولويات أغلبية المجتمع، كالعلاقات الزائفة التي يصنعها خطاب الإعلان المعولم لتبرير استخدام مواد مصنعة لتغذية الأطفال.

4. تسليع القيم والأفكار والمعاني والمشاعر من خلال الاحتفاء المبالغ فيه بأهمية الرموز والعلامات المادية، وخلق نوع من الارتهان الزائف بين الحصول على سلعة أو استهلاك سلعة أو خدمة،وبين تحقيقالسعادة أو الحرية،أو حتى الحصول على الحب،وفي السياق يستعمل الإعلان المعولم صورا ورموزا جنسية عديدة تسئ إلى المرأة، وتجعل منها جزء من الحلم الزائف الذي يدعو إليه.

5. طمس الخصوصيات الثقافية والدعوة إلى التغريب مع إعلاء شأن القوة الأمريكية ونمط الحياة الأمريكية، حيث رصد الباحث في قراءته لخطاب الإعلان المعولم تمسكه باستخدام كلمات وعبارات إنجليزية، وحرصه على عدم ترجمة اسم المنتج سواء كان سلعة أو خدمة، باعتبار أن الاسم

جزء من الشعار- علامة الشركة أو المنتج، وحتى إذا ما كتب الاسم بالعربية فإن الاسم الأجنبي المكتوب بحروف إنجليزية يظل موجودا في الوقت نفسه قد يستخدم خطاب الإعلان المعولم رموزا أو عبارات مستمدة من اللهجات العامية العربية أو الثقافة العربية الإسلامية، لكن المفارقة أنه يوظف ذلك من أجل تحقيق أهدافه والتي قد يكون من بينها طمس الخصوصيات الثقافية.[1]

المطلب الثالث:انعكاسات منظومة القيم المعولمة علي المجتمع.

أمريكا تضغط تارة باسم حقوق الإنسان، وتارة باسم الحرية والديمقراطية لتمرير ما تريده من دول العالم التي لا توافقها، فهي تفرض القيم الاجتماعية والدفاع عنها وترسيخها لدى تلك المجتمعات ومن أهداف تلك القيم الموردة ذات الصبغة الاستعمارية والمحلات بشعارات براقة ما يلي:

1. تهدف العولمة إلى تحطيم القيم والهويات التقليدية للثقافات الوطنية والترويج للقيم الفردية الاستهلاكية والمفاهيم الاجتماعية الغربية بصفة عامة واعتبار تلك القيم والمفاهيم هي وحدها المقبولة كأساس لتعاون الدول في ظل العولمة.[2]
2. تحرير إرادة الشعوب من القيود الاجتماعية والسياسية والثقافية و الفكرية.
3. تعويد العقول على مشاهدة ومعايشة الأنماط المغرية للثقافة الجديدة.
4. إعادة تشكيل الحياة الاجتماعية للشعوب على نمط الحياة الغربية.[3]
5. تنميط القيم ومحاولة جعلها واحدة لدى كل البشر في المأكل والملبس والعلاقات الأسرية وبين الجنسين وفي كل ما يتعلق بعلاقات الإنسان الفرديه والجماعية، وخصوصا قيم الاستهلاك التي تعتبر أهم ركائز اقتصاد العولمة التي زاد من فعاليتها تطور وسائل الإعلام والاتصال وسهولة استخدامها.[4]

(1) رحيمة الطيب عيساني، العولمة الإعلامية، مرجع سابق ، ص ص131، 132.
(2) محمد جعرير، الخصوصية الثقافية والعولمة،مرجع سابق، ص110.
(3) حيدر حميد الدهوي، العولمة والقيم، مرجع سابق ص23.
(4) دليلة غالية، منظومة القيم الغربية الاستشراقية على المنطقة العربية، مصدر سابق، ص173.

6. تهدف العولمة إلى زرع القيم والأفكار النفسية والفكرية والثقافية للقوي المسيطرة في وعي الآخرين وعلى الأخص أبناء المجتمعات العربية واختراق هذه المجتمعات ثقافيا، وإسقاط عناصر الممانعة والمقاومة والتحصين... وإعادة صياغة قيم وعادات جديدة تؤسس لهوية ثقافية وحضارية أخرى لهذه المجتمعات المهددة في هويتها الحضارية.(1)

7. وكذلك تهدف العولمة لضرب المنظومة القيمية داخل المجتمعات العربية والإسلامية هو التحريض على العنف والجنس وما لهما من تدهور في السلوك والقيم من خلال انتشار الإباحية والشذوذ داخل المجتمعات المحافظة.(2)

خلاصة و استنتاج:فما يتعولم اليوم هو تغييرات عميقة في القيم الأخلاقية في المجتمع وما صاحب ذلك من فقر وبؤس وبطالة وأسواق المخدرات والترف والفساد والجريمة المنظمة وما يتعولم ليس العقل والحكمة بل يتعولم اللا عقل والرذيلة والإلحاد والحزن والألم والحروب والدمار، وما يتعولم اختصارا هي القوى الشيطانية، و أمام هذا الانعكاس الخطير على مستوى القيم و أخلاق المجتمع وعاداته وكل مورثه الثقافي، لابد من فلسفة تربوية مبنية على قيم وحي الله وسنن الفطرة النبوية وبناء المناهج التربوية عليها مهما كانت مغريات العولمة وتحدياتها.ولتحقيق المنهجية التربوية المنشودة للنهوض الحضاري للمجتمع وإعادته للقيم الإسلامية، لابد من دراسات جادة في الجانب الفكري والاجتماعي سياسي دعوي وهو مشروع بحثي ضخم ليشخص الداء و يوصف الدواء ليؤسس للمنظومة القيمة المنشودة داخل المجتمع الإسلامي.

(1)حيدر حميد الدهوي مرجع سابق ، ص 33.

(2) دليلة غالية، مصدر سابق، ص137.

الفصل الرابع: التحديات التي تواجه الخطاب العقدي

المبحث الأول: التحديات الفكرية الفلسفية.

المبحث الثاني:الامتداد اليهودي المسيحي.

المبحث الثالث: تحد القاديانية والبابية والبهائية.

المبحث الرابع:عبدة الشيطان وتأثيرهاعلى الخطاب العقدي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع: التحديات التي تواجه الخطاب الديني العقدي.

العولمة تسعى لتشجيع كل الحركات الدينية والفلسفية الهدامة والوقوف الى جانبها لأنها في نظرها تقضي على الإسلام الأصولي لأن هذا أكبر تحد للخطاب الإسلامي في إحداث شرخ للمنظومة العقدية،ومن بين هذه التحديات مايلي:

المبحث الأول: التحديات الفكرية الفلسفية.

المطلب الأول: مفهوم العلمانية

تقابل مفهوم العلمانية في اللغة الانجليزية كلمة «secularism» وهي ذات أصل لاتيني هو secular ويعني الدهر " Age أو World " أو الزمن thetime والعلماني عكس الديني، ويستخدم اصطلاحات للإشارة غلى مدخل للحياة ينفصل تماما عن الدين ويتشكل كلية باهتمامات زمنية دنيوية.[1]

وهي رؤية شاملة للكون بكل مستوياته ومجالاته، لا تفصل الدين عن الدولة و عن بعض جوانب الحياة العامة وحسب، وإنما تفصل كل القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية عن كل جوانب الحياة العامة في بادئ الأمر ثم عن كل جوانب الحياة الخاصة في نهايته،إلى أن يتم نزع القداسة، تماما عن العالم،بحيث الإنسان والطبيعةإلى مادة استعمالية[2]

العلمانية والدين:

في السبعينات حدث انقلاب في هذه العلاقة التي استمرت عقودا طويلة من السنين بين الدين والمجتمع وبفعل ثلاث حركات، فقدشهدت هذه الحقبة بداية عودة الدين ليحتل مكاناً مركزياً في

(1)نعيمة غالية، تداعيات منظومة القيم الغربية على المنطقة العربية، مصدر سابق،ص43.

(2)عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة،مصدر سابق، ص108.

الفضاء الاجتماعي العام، بعدما كان قد تم اقصاؤه، ولم يعد يدخل اطلاقا في بناء الهوية الاجتماعية وتحول ليصبح مسألة إيمان فردي.

ومعنى ذلك أن نموذج العلمانية التقليدية أصبح مهدداً في مناطق حضارية متعددة، إذا كان يمكن تفسير الثورة الإيرانية على سبيل المثال أنها رد فعل على التحديث العنيف الذي قاده شاه إيران والذي اتخذ سمة التغريب، أو كان يمكن تفسير العودة للدين في بولندا على أساس أنها كانت رد فعل للقهر السياسي ووسيلة للتعبير عن الذات وكذلك الحال في أمريكا اللاتينية، فكيف يمكن تفسير ظهور الجماعات الدينية بقوة على المسرح السياسي في بلد متقدم وليبرالي مثل الولايات المتحدة الأمريكية منذ عهد ريغان؟

أما الحركة الثانية التي أسهمت في حدوث الانقلاب في العلاقة بين الدين والمجتمع فهي تبعات ما سمي بالتدين الشعبي في البلدان الكاثوليكية مثل إيطاليا وفرنسا.

فقد برز التدين الشعبي والذي يتمثل في زيارة أضرحة الأولياء والقديسين وممارسة الشعائر المحلية واكتسب حيوية فائقة. بل وأصبح أداة لإعادة بناء الهويات المحلية وأداة للتجديد الديني، واللافت للنظر أن هذه الممارسات أُيد تفعيلها داخل الحداثة ذاتها، ومن قبل شرائح اجتماعية منخرطة فيها تماماً.

أما الحركة الثالثة الحاسمة والتي أدت إلى مراجعة النموذج الأساسي للعلمنة، فهي ظهور الحركات الدينية الجديدة والتي تبلورت عبر محاور ثلاثة:

المحور الأول: ظهور عمليات للتهجين الديني بمعنى التأليف بين ممارسات دينية تنتمي إلى أديان وعقائد مختلفة مثل التصوف البوذي والتصوف الإسلامي وأفكار ما يسمى بالعصر الجديد والغرض هنا هو تحقيق الازدهار الروحي للفرد.

المحور الثاني: هو الحركات التجديدية داخل الديانات الكبرى كالطفرة (الحلولية) داخل البروتستانتية، والتجديد الكارزمي داخل الكاثوليكية، والحركات المتماثلة التي وجدت داخل الإسلام واليهودية[1].

وأخيرا **المحور الثالث** والمهم والذي يتمثل في ظهور الحركات الاستعادية والتي تريد احتجاجا منها في وجه إخفاقات الحداثة، استعادة الماضي حين كان الدين هو النموذج السائد في المجتمع، وهذه الحركات التي يقودها أصوليون ينتمون إلى اليهودية أو المسيحية أو الإسلام تجمع بينهم جميعا هذه الرؤية المشتركة، والتي تتمثل في أنّه مواجهة تدهور الحاضر أياً كانت أسبابه لابد من استعادة الفردوس المفقود[2]،وعليه إذا كانت العلمانية، حلا لمشكلة واقعية في أوروبا، هي مشكلة الكنيسة وعلاقتها بالعلم والمجتمع والدولة هناك، مع طبيعة الظروف التاريخية التي مرت بما أوروبا في القرون الوسطى، فإنها ليست حلا ولاضرورة للمجتمعات الإسلامية، وليس هناك ما يبرر طرحها في هذه المجتمعات، كتلك المبررات التاريخية الموضوعية التي عرفتها أوروبا، فالدين في المجتمع الإسلامي ليس كنيسة، وليس حكما إلهيا بالمفهوم الكنيسي،ولا يفرض وصاية على الناس، أو وسطاء في العلاقة مع الله، كما هو عند الكنيسة، ولا معوقا للإبداع والتطور والتقدم، بل إن الدين الإسلامي هو الذي أعطى للأمة شخصيتها ووحدتها، وصنع لها حضارتها، ودفع بها نحوالانفتاح والتواصل مع العالم، وشجعها على العلم وطلبه، وهو اليوم الذي يبعث في الأمة الإحياء والنهوضوالتجديد. ولا توجد في الإسلام مشكلة في علاقته مع المجتمع والدولة، ولذلك فلا مبرر للعلمانية ولا ضرورة لها. وقد انتقد الدكتور "محمد عابد الجابري" طريقة نقل العلمانية إلى المجتمعات العربية بقوله:" عندما نقل الفكر القومي العلماني إلى المجال العربي، نسي أنه في الوطن العربي، ليس هناك كنيسة، ونسي أن العلمانية المنقولة لابد من أن تعني في وجدان الشعب العربي نفي الدين، ونسي أن ردود الفعل

(1)السيد ياسين ، العالمية والعولمة،ط 2، 2001، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،. ص ص 290،291.

(2)السيد ياسين، العالمية والعولمة ، مرجع سابق، ص 292.

ستكون أقوى، لأنه لاأحد يتخلى عن دينه، لا المسلمين، ولا اليهود، ولا المسيحيين، ولا غيرهم"[1].

ولقد جاء في ورقة مقدمة لندوة عقدت في بريطانياسنة (1994)،موضوعها "انهيار الديموقراطية و التحدي الإسلامي للغرب"، تطرقت إلى تجربة العلمانية في العالم العربي، مما جاء فيها: "أن العلمانية في الغرب حررت العقل من سلطة الدين، وحررت الدين والمجتمع من سلطة الكنيسة، بينما هي في التجربة العربية، رهنت الدين والمجتمع، والعقل لكنيسة جديدة، هي دولة النخبة العلمانية، أو ما يمكن تسميته بدولة(الاوتوقراطية العلمانية)، ففيها بدأت العلمانية الغربية لصالح المجتمع وفي خدمته، فإذا في التجربة العربية، ظلت على الدوام ضد المجتمع، وضد طرح الجماهير وأحلامها"[2].

فمحاولة تأهيل الشعوب للهيمنة وامتداد (الآخر)، أو صنع القابلية للعولمة، بمعنى السيطرة والهيمنة، وتسييد الثقافة الوافدة، والنظام الاقتصادي، والنمط الثقافي الواحد، وإلغاء الخصوصيات ، بدأت تاريخيا بمحاولة إبعاد الحياة عن الدين، وتشكيلها بعيدا عنه، أو فصل الدين عن الدولة،و التي يمكن أن نعتبرها طريق العلمنة الرئيس، الموصل للعولمة.

ذلك أن العقيدة أو الدين يمثل أعلى درجات الحرية، والاعتراف بالتنوع، وأرقى أنواع الاختيار وتحقيق كرامة الإنسان، وهذا الاختيار لا يتحقق إلا بالحرية والحوار ... وهو المشكل الأساس للثقافة والتربية، والدافع الرئيس للسلوك، والمانح للمعايير التي تمكن من الفحص، والاختبار والقبول والرفض ... وهو الذي يمنح الفرد شخصيته، ويشكل قسماتها وملامحها، ويمكنها من أدوات الحوار مع الآخر ، بل والقبول بـ (الآخر) ..وهو الترسانة الثقافية، والاجتماعية، والتربوية التي تحمي الشخصية.لذلك فأن فطرة التدين متأصلة في النفس البشرية، وهي قديمة قدم الإنسان، فقد

(1)محمد عابد الجابري، "الفكر القومي العربي، حاضر ومستقبل"، مجلة المستقبل العربي (لبنان)، لسنة الثامنة عشر، العدد 197، يوليو 1995، ص 6.

(2)فهمي هويدي، "سجل غير مشرف للعلمانيين العرب"، مجلة المجلة اللبنانية، العدد 771، 20 نوفمبر 1994، ص 26.

وجدت مدن وقرى ودول من فجر التاريخ، أو معامل، أو معاهد ...الخ، لكن لم توجد بلاد من دون معابد ...لذلك كانت محاولات إزاحة الدين وفصل الحياة عن العقيدة، وما أحدث ذلك من الانشطار الثقافي، هو الأخطر في العملية الثقافية، حيث تم تقسيم التعليم إلى ديني ومدني، ومن ثم تهميش التعليم الديني وعزله عن وظائف المجتمع وإقامة مناهجه على حشو الذاكرة، على حساب إكساب المنهجية، والملكة، وتنمية الذكاء، ومحاصرته حتى لا يتطور، ويبقى يعاني من غربة الزمان والمكان، سواء كان ذلك بعجز منه أو بكيد له[1].

المطلب الثاني: المادية

وهي تمكين للنزعة المادية على حساب النزعة الإيمانية

وذلك بتوجيه الإنسان للماديات، ويعرض عن القيم الإيمانية المؤدية إلى عملية التجهيل الثقافي وفقدان تلك القيم بشكل تدريجي، ولذلك اتجهت آليات العولمة الثقافية إلى بث المواد الترفيهية المسلية الخالية من أي مضمون قيمي والتي لا تترك وراءها أي أثر تثقيفي حقيقي[2].

وأما الأسس الفلسفية للمذهب المادي فهي تقوم على أن الإنسان سيد نفسه ومالك مصيره فهو وحده المسئول على أن يشرع لنفسه في السياسة والاقتصاد والاجتماع وسائر نواحي حياته، وأنه لا موجود إلا المادة، وأن المادة أزلية لم تخلق ...وأن كل ما في الوجود من أشياءإنما تكونت بمحض الصدفة، وإذن فلا إله ولا ملائكة ولا جن، وإذن فالأديان كلها باطلة ، فلا بعث ولا حساب ولا جزاء، وأن كل ما نسميه عقلا أو نفسا أو روحا أو فكرا إنما هو شكل من أشكال المادة، وأن تشكيلات المادة وحركاتها خاضعة لقوانين طبيعية لا تختلف[3].

(1)عمر عبيد حسن،العولمة فرص وتحديات،مرجع سابق، ص40.

(2) مبارك بن نزال الصقيري العنزي، العولمة الثقافية في ضوء العقيدة الإسلامية،مرجع سابق، ص 36،37.

(3)أحمد أنور سعيد أحمد الجندي،أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة،دار الاعتصام،بيروت ،ص 161.

ولا ريب أن النظريات والفروض والتي تصدر في هذه الفلسفة هي باطلة تماما ومن هذه النظريات:

أولا: نظرية هيجل:التي تقول أن الحضارة تعيش الآن من خلاصة ما كان في العصور الماضية من عناصر الجد والصلاح وأنه ليس في العصور الغابرة ما يستحق أن يلتفت إليه أو نهتدي به، إذ أن أجزاء الماضي التي لم تنظم إلى الحاضر هي أجزاء مرفوضةينبذها الإنسان بعد أن اختبرها ولم يجد فيها غناءه وتعني هذه النظرية أساسا إلغاء فكرة الدين[1].

ثانيا: نظرية داروين في التطور التي كان من آثارها الفلسفية أن تؤصل في التصور الإنساني لكونه أنه مصدر للنزاع والصراع وأنه من أراد الحياة والبقاء فعليه بالكفاح والمصارعة في ضوء هذه النظرية ، وأنه لا يستحق البقاء إلا من أثبت قوته، في هذا النظام القاسي فإنه إنما يفنى لأنه ضعيف يستحق الفناء.

ثالثا: نظرية ماركس: في التفسير المادي للتاريخ وهي التي أتمت حلقات الفلسفة المادية إلى الحياة وهي التي تجعل الإنسان مازال محاربا منذ بدء أمره لأغراضه الشخصية ومصالحه وأنه ما انقسم إلى مختلف الشعوب والقبائل والطبقات إلا لأجل ماكان لنفسه من أثره وحبه لذاته، وما نشب بين الطبقات والشعوب من الحروب والمنازعات إلا بسبب هذه الأثرة الذاتية إلى هذه المصارعة الطبقية يرجع الفضل فيما رزقه الإنسان من تقدم وارتقاء.

لقد حاولت الفلسفة أن تكون بديلا عن الدين في تفسير أمور الطبيعة ولكنها عجزت أن تحقق شيئا، ومن ذلك خطئها في الإدعاء بأن الدين عائق عن التطور ، لذلك من أخطائها أن تعتمد على العلم التجريبي المتغير، والذي يفسد بسرعة، وما قال الغرب أن الدين عائق عن التطور إلا لأنه عرف اليهودية والمسيحية فقط ولم يعرف الإسلام، ولو عرفه لما قال ذلك بحق، ولما كان

(1)أحمد أنور سعيد أحمد الجندي،أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة ،مصدر سابق،ص 162.

الغرب لم يملك منهجا اجتماعيا متكاملا جامعا بين العقيدة والمجتمع، فإنه يبحث عن ايديولوجيات [1].

فالمنظومة المعرفية الغربية المادية الحديثة بدأت بإعلان مركزية الإنسان وانتهت بإعلان موت الإنسان باسم الطبيعة،والحقيقة المادية، وهذه هي الواحدية المادية،أن تصبح كل المخلوقات خاضعة تماما لنفس القانون المادي الصارم وأن يسود منطق الأشياء وعلى الإنسان، وهذا هو حجر الزاوية في المشروع المعرفي الغربي،ثمة قانون واحد وثقافة واحدة وإنسانية واحدة تكتسب وحدتها من كونها جزءا من النظام الطبيعي، ولذا فإن ثمة نموذج واحد للتطور، ويلاحظ أن حركة البناء الفكري المادي تتجه دائما نحوتصفية الثنائيات الدينية(الخالق/المخلوق).[2]

ففي ظل هذه الرغبة العارمة لتسوية الإنسان بما حوله، حتى يذوب في الطبيعة ويختفي ككيان مركب مستقل وعليه فإن التصدي لهذه النزاعات المعادية للإنسان والتاريخ تكون عن طريق الجهاد ضد الترشيد المادي، ذلك أن الإنسان ليس مجرد مجموعة من المصالح الاقتصادية والدوافع الغريزية وأن بوسعه أن يعرف مصالحه بطريقة لا تتعارض بالضرورة مع خصوصيته القومية ومنظوماته القيمية[3].

إن الجيل الحالي تصدمه ثورة عميقة تقلب القيم والمفاهيم وسبل التصرف والسلوك رأسا على عقب، وتشمل صدمتها الأفراد والجماعات ولا تقتصر على صدمة ثقافية،بل تشمل صدمة شاملة تضرم وشائج الحاضر بالماضي وتجعل مجتمع ما بعد الحداثة مجتمع الإنسان الجديد،إنصدمة المستقبل داء حضاري لا يشفيه إلا التفكير الفلسفي المخلص الجاد الهادف إلى إنقاذ مدينة الإنسان

(1)أحمد أنور سعيد أحمد الجندي،أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة، مصدر سابق، ص 163.

(2)عبد الوهاب المسيري، العالم في منظور غربي،2001،منشورات دار الهلال، ص 129.

(3)عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان،2001م،دار الفكر،يروت، ص 212.

المطلب الثالث: الاستشراق.

الفرع الأول:المفهوم اللغوي : فإنّ كلمة استشراق منحوتة من مادة شرق التي لها أصل في اللغة، حين يقال شرقت الشمس وشروقا إذا طلعت وشرق المكان شرقا إذا أشرقت عليه الشمس، هذا من حيث الاشتقاق وقواعد الصرف، لكن الكلمة نفسها لا يوجد لها أثر يذكر في المعاجم اللغوية القديمة، وهذا يعني أنها ليست عربية أصيلة ، بل هي وليدة العصر، فاستشرق أي طلب علوم الشرق[1]

الفرع الثاني:المفهوم الاصطلاحي:

أما عن الاستشراق كمفهوم فيعرفه محمد السيد الجنديد: بأنه لفظ أطلق على تلك المحاولة التي قام بها ويقوم بها بعض مفكري الغرب، للوقوف على معالم الفكر الإسلامي، وحضارته، وثقافة الشرق وعلومه، كما أطلق لفظ المستشرق على المفكرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق، وتاريخيه، وحضارته، وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[2].

ويعرفه محمد بن مهنا آل علي فيقول: بأن الاستشراق مصطلح يطلق على الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين لعلوم الشرقيين وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم المختلفة ... وهي دراسات ذات اتجاه فكري يكاد يكون منصبا على الإسلام واللغة العربية وما يتصل بهما[3].ويذكر إدوارد السعيد «بأنّ الأساس العام للفكر الإستشراقي يرتكز إلى جغرافية خيالية ، ليست لها جذور على أرض الواقع،

(1)إدوارد سعيد،الإستشراق المعرفة السلطة الإنشاء،ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980، ص52،54.

(2)محمد السيد الجنليد، الاستشراق والتبشير(سلسلة تصحيح المفاهيم 03) القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1999ص10.

(3)محمد بن مهنا آل علي، أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري، الرياض، دار المؤيد، ط1، 1998،ص187.

إلا أنها ثنائية خطيرة تقسم العالم إلى شطرين غير متساويين أكبرهما وهو الشطر المتخلف ويدعى الشرق في حين يدعى الآخر بالغرب الذي يسميه الأمريكيون عالمنا»[1].

وعليه يصبح معنى الإستشراق متضمنا الدراسات الأكاديمية التي يقوم بها غير المسلمين من غير العرب سواء في الشرق أو في الغرب للإسلام عقيدة وشريعة ولغة وحضارة لتشكيك ، في هذا الدين القديم، ومحاولة صد الناس عنه.

الفرع الثالث: الاستشراق المعولم

الغرب لم يكشف عن نواياه الحاقدة ولم يصرح بهذا الخوف المزعوم إلا في الحقب الأخيرة هذا وغيره كان من وراء إعلان إفلاس المؤسسة الاستشراقية في صورتها المعروفة وتعطيل عملها ليتم تعويضهابمايمكن أن نسميه :(استشراق العولمة)أو(الاستشراق المعولم) الذي سيقوده هذه المرة جمهور آخر من المتخصصين ليسوا هم الأساتذة الأركيولوجيونوالأنثربولوجيون ،وليسوا هم رجال الكنيسة المزعومون وليسوا هم التجار المزورون ،إنهم رجال الإعلام والسياسة الذين تكونوا تكويناً خاصاً داخل المدارس الغربية لمواصلة ما مهد له المستشرقون القدامى وبالتالي تحقيق أهداف معلقة للحروب الصليبية، ومن هنا تكون العولمة آخر مرحلة في مراحل الاتصال بين الغرب والشرق[2].

الفرع الرابع:المستشرقون الجدد:

هم جيل جديد من الصحافيين والساسة الذين تربوا في أحضان الدوائر الاستعمارية ،وتخرجوا من أحسن مدارسها ،وهذا ما يطلق عليه اليوم اسم الاستشراق الصحفي الذي لا ينهك نفسه في تأليف الكتب وتدريس النظريات وسط طلبة الجامعات ،ولكنه يهتم بتحرير الاستطلاعات الصحفية والإحصاءات وتخريج النسب انطلاقا من استطلاعات الرأي وغير ذلك مما يخدم الجهة

(1)إدوارد السعيد، الإسلام الأصولي، وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، بيروت، دار الجيل، ط1، 1990، ص34.

(2) مصطفى سلوي، الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة، يوم دراسي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة ،المغرب،رقم 76،سلسلة25،ص 29.

التي تمول العمل ،إن الأمر يتعلق بموظفين وإداريين يشتغلون بوسائل حديثة جد متطورة ،على رأسها الأنظمة الإعلامية المتعددة الوسائط وتوجه هذه الاستطلاعات بالأساس نحو المحطات والأمور التي تهم الغرب ،كالإسلام والمسلمين في العالم بعامة وفي الشرق بخاصة ...والفكر والدين في حياة المسلمين[1].

وهذا ما ذهب إليه حسن عزوزي في كتابه "الغرب وسياسة التخويف من الإسلام "على أنّ ظاهرة الاستشراق الصحفي هي التي تقف وراء إنضاجالتحقيقات والاستطلاعات الصحفية حول الإسلام والمسلمين لفائدة الإعلام الغربي المكتوب والمرئي على السواء ومن هنا يكون الاستشراق الصحفي أحد إفرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة التي ينضوي تحت لوائها عدد هائل من الصحفيين المتخصصين في شؤون الإسلام والمسلمين، وتعتبر تغطية الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ذات الطابع الإسلامي أبرز تخصصاتهم.ومن أهم التخصصات والمجالات التي ينشط فيها الاستشراق المعولم:

- الإسلام والمسلمون كعقيدة وممارسة لهذه العقيدة.
- الديمقراطيات والحريات وحقوق الانسان في ديار المسلمين.
- التخلف في ديار المسلمين (الفقر – المرض– النمو الديمغرافي – الفساد بكل أنواعه).
- اقتصاديات الدول الإسلامية :(ثروات المسلمين وحاجاتهم...)[2].

ويبقى الاستشراق المعولم هو احتواء الآخرين والتحكم في مصيرهم.

يقوم المستشرقون الجدد من أبواق العولمة الامريكية تعليلات لهذا النوع الذي تريد أن تصنعه أمريكا بإرسائها ثقافتها فوق الثقافات الأخرى بقولهم: إن ثقافات الآخرين لا تستحق أن تعيش،لأنها ثقافات نخبة أو صفوة،وهي ثقافات مكبلة بالقيود،وهي ثقافات ذات توجهات

(1)مصطفى سلوي، الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة، مرجع سابق، ص 30.
(2)نفس المرجع ،ص 31.

دينية،بالإضافة إلى أنها تستخدم لغة لا تفهمها إلا فئة قليلة من الصفوة أو من رجال الدين،ومن ثم فهي لا تلبي احتياجات الانسان المعاصر الذي يبحث عنها في الثقافات الوافدة إليه أو الغازية لمجتمعه ،لهذه الأسباب إذن لا تستحق الثقافة الإسلامية في إطار النظرية الاستشراقية الجديدة،أن تبقى لأنها ثقافة مكبلة بقيود الدين،ولأنها ثقافة نخبة ولأن لغة هذه الثقافة هي اللغة العربية التي لا تنتشر بين سكان المعمورة [1].

فالمعالم الفكرية والفلسفية التي ترسخت قواعدها في الخطاب الغربي بعد 11سبتمبر فالمركز (الغرب) لا ينظر فقط إلى الهامش (الشرق)، بمقدار استجابة هذا الهامش لضوابط وشروط ومقتضيات المركز ولكن القطبية والأحادية رجحتا كفة النظام والكيان الإنساني والذي لا يمكن تصوره إلا غربياً خالصاً، فهي ذي الجغرافية الوجودية الجديدة التي دعا إليها الفيلسوف الفرنسي ليفي هنري برنارد إلى أن تكون إعادة تشكيل الفضاء الفكري للإسلام، من المهام المنوطة بالغرب لذا ارتبط الجهاز الغربي بجهاز مصطلحي محدد، ولم يكن الفكر الاستشراقي غائبا في الخطاب السياسي والحضاري الأمريكي ،إلا أن تحديد الإسلام عدواً مباشراً ورئيسياً بديلا للمعسكر الشيوعي البائد ،لم يكن قد اتضح بعد ،لكن مع صدور كتاب "صدام الحضارات" سنة 1996 والذي يدعوا فيه مؤلفه الأمريكي صمويل هنتجتون بأن الإسلام يشكل أكبر تهديد للحضارة الغربية ،بدأت ملامح السياسة الاستشراقية الأمريكية تنحو منحى استراتيجيا أكثر وضوحا وجدية فقد بدأت أمريكا تنظر بريبة كبرى إلى ماقديمثله الدين الإسلامي فعلا من مخاطر مستقبلية على وجودها في مناطق نفوذها في العالم الإسلامي[2].

(1)مصطفى سلوي، الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة ، مرجع سابق،ص 37.

(2) المرجع نفسه ، ص63.

المطلب الرابع: الإلحاد

الفرع الأول:تعريف الإلحاد

1- لغة: الإلحاد في اللغة العربية مشتق من فعل ثلاثي لحد[1]اللحد واللُحد الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت لأنه قد أميل عن وسط إلى جانبه وقيل: ولحد القبر يلحده لحدا وألحده: عمل له لحدا، واللحد حفره والميت دفنه.

ولحد إلى الشيء يلحد والتحد: مال، ولحد في الدين يلحد وألحد مال وعدل وقيل: لحد مار وجار، وألحد في الدين ولحد أي حاد عنه وقرئ لسان الذي يلحدون إليه، والتحد مثله.

وروي عن الأحمر: لحدت جرت وملت وألحدت ماريت وجادلت وألحد: مارى وجادل وألحد الرجل أي ظلم في الحرم وأصله من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2]أي إلحاد بظلم .

ومعنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد، ولحد علي في شهادته يلحد لحدا أثم ولحد إليه بلسانه: مال، في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[3]

(1)ابن منظور، لسان العرب، ج05، ط1، دار الجيل، بيروت، ، دس، ص 176.

(2)سورة الحج، الآية 25.

(3) سورة النحل، ص103.

2- **مفهوم الإلحاد:**

نعني بالإلحاد الكفر بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد و هو رفض الغيب كله والقول بأن الحياة مادة فقط وأن صراع الإنسان في هذه الحياة إنما هو من أجل العيش والبقاء فقط [1].

فكتاب الملحدين يستخدمون كلمة إلحاد فيما هو الكفر،وخاصة إعتناق المذاهب المادية[2].

الفرع الثاني:التيار الإلحادي وأثره على المشهد الديني:

تنشر مؤسسات ومراكز دراسات عالمية، كل مدة، إحصاءات حول التدين، والإلحاد في العالم بغض النظر عن غاياتها والأهداف، يستند هذا المقال إلى استطلاعات أمريكية جاء من أهمهما:

أنّ أكثر من 84% من سكان العالم هم من أتباع الأديان السماوية، أو من المؤمنين باعتقاد أو بشيء ما، أما الباقي فلا يؤمنون بشيء على الإطلاق، كما صنفوا هم أنفسهم في حملة قامت بأكثر من 2500 إحصاء في 230 دولة ومنطقة جغرافية بالعالم طوال عام 2010، ومنها اتضح أن سكان الشرق الأوسط هم أكثر الشعوب إيماناً، حسبما نقل موقع «العربية نت، الحملة قام بها «منتدى بيو فوروم للدين والحياة العامة»، وهو مركز دراسات وأبحاث أمريكي متخصص بالأديان والمعتقدات، ومن نتيجتها أكد أن الإلحاد أصبح «الديانة» الثالثة بالعدد في العالم بعد المسيحية والإسلام، وأن الدين الحنيف هو الأكثر قابلية للانتشار، وموزع بين 87و90% من السُّنة، والباقي من الشيعة، فيما اليهودية هي أضعف الأديان، وأقل بقليل من نصف أتباعها يقيمون في إسرائيل،كما ظهر من نتائج الإحصاءات أن للهندوسية نصيبا كبيرا من الانتشار مستقبلاً أيضا، لكن «بيو فوروم» اعتبرها ديانة أمة واحدة تقريبا، «فأكثر من 94% من الهندوس يقيمون في الهند»، وتظهر خريطة لتواجد الملحدين جغرافيا في العالم أن أقل نسبة منهم نجدها في الشرق الأوسط، حيث لا يزيدون عن 0.2% من المليار و100 مليون ملحد، بحسب ما تسميهم

(1)أبركان أمال ،ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية، ط1، 2012،دار القلم،بيروت، لبنان، ص9.

(2)عبد الرحمان بدوي، الإلحاد في الإسلام،ط1،د ت، الناشر مطبعة وهبة،القاهرة،مصر،ص238.

الأديان السماوية، وعددهم كما تبينه الخارطة مليونان و100 ألف فقط، يأتي بعدهم ملحدو القارة السمراء، باستثناء مصر والسودان ودول شمال أفريقيا، ونسبتهم 2.4% من المجموع العام، يليهم 4% بأمريكا اللاتينية والكاريبي، وبعدهم 5.2% في الولايات المتحدة وكندا، ثم 12% في أوروبا، والباقي في آسيا وأوقيانيا، ونسبتهم 76.2% يمثلون أكثر من 858 مليونا، منهم 62.2% في الصين وحدها، أي تقريبا 586 مليونا ممن يولدون ويعيشون ويرحلون وكأن شيئا لم يكن، أما من اعتبرتهم الدراسة مؤمنين أو معتقدين بشيء ما، بحسب ما صنفوا هم أنفسهم في الإحصاءات، فعددهم مليارات و200 مليون مسيحي، أي 31.5% من سكان العالم البالغين في عام 2010 أكثر من 6 مليارات و900 مليون نسمة، يأتي بعدهم المسلمون وعددهم مليار و600 مليون نسمة، أي 23% من السكان، يليهم مليار نسمة من الهندوس، أي 15% من سكان العالم، ثم 500 مليون بوذي (7%) يليهم 14 مليون يهودي، ممن نسبتهم 0.2% فقط، وأقل من نصفهم بقليل يقيمون في إسرائيل، وفي العالم أكثر من 400 مليون نسمة، أي 6% من سكانه، صنفوا أنفسهم بممارسين لشعائر وطقوس من دون توضيح لأي دين، ومعظمهم في الصين أو من قبائل أفريقيا والهنود الحمر في القارة الأمريكية أو «الأيورجين»، سكان أستراليا الأصليين وأشباههم في دول الشرق البعيدة، كجزر الميكرونيزيا في المحيط الهادي، حتى وفي أوروبا حيث يمارس البعض طقوسا لا تنتمي لأي دين، لكن ممارستها بالنسبة لأتباعها هي فعل إيماني[1].

(1)ضياء دويدار، مقال بعنوان الإلحاد كامن يهدد الشباب (الحقيقة والأسباب والعلاج) ،ص30

المبحث الثاني:الامتداد اليهودي المسيحي.

المطلب الأول:التواجد اليهودي:

ما فتئت الدولة اليهودية تقدم نفسها للعالم كحائط الصد وخط الدفاع الأول في مواجهة الصحوة الإسلامية واليقظة الدينية في العالم الإسلامي.ويعترف بعض المحللين في الغرب بأن للدولة الصهيونية دورا في خلق تهديد إسلامي، فقد دأب مسئولو الحكومة الصهيونية وأكاديميوها مؤخرا على الترويج لما يدعون أنه شبكة عالمية من الإرهابيين والمتعصبين المسلمين المكرسين لتدمير الحضارة الغربية ، وعمدت الصهيونية إلى تحريض العالم على تشكيل ما أسمته بتحالف دولي ضد الأصولية والتطرف الإسلامي.

ولا يكاد يمر يوم دون أن تنشر الصحف العبرية تصريحات لمسئولين صهاينة كباريحذرون فيها من الحركات الإسلامية ، ويدعون أنها أضحت الخطر الأول ليس على استقرار المنطقة فحسب بل على العالم أجمع»[1].

وعلى سبيل المثال : يقول إسحاق شامير رئيس وزراء الكيان الصهيوني السابق:« بعد ذهاب الاتحاد السوفيتي فإن الأسس الجديدة للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية أهمها معارضة الصحوة الإسلامية »[2].وفي أواخر مايو 1992م، وأثناء زيارته لبولندا ، قال الرئيس الصهيوني : « إن العالم يواجه خطرا لا يدرك أبعاده. إنه خطر الأصولية الإسلامية .. وإنا ندق ناقوس الخطر ...

وترويجا لهذه النظرة بعثت مخابرات العدو الصهيوني خطابات إلى الدول الغربية ، جاء فيها أن الدولة الصهيونية تعتقد أن الأصولية الإسلامية سوف تسيطر على المنطقة عام 2000م، وأن على الغرب أن يتعاون مع الصهياينة استعدادا لمواجهة هذا الخطر» [3].

(1) منى ياسين ،الغرب والإسلام ،ط1 ،1994م،دار جهاد للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 36.

(2) محمد مورو،المواجهة بين الإسلام و الغرب ،ط1 ،1993 م، الدار المصرية للنشر والإعلام ،القاهرة، ص 19.

(3) الصادق المهدي ، الإسلام والنظام العالمي الجديد ،نشر دائرة الإعلام الخارجي في حزب الأمة السوداني ، سلسلة آفاق جديدة (2) بدون تاريخ،ص22

ويقول ابن جوريون رئيس وزراء العدو الصهيوني السابق : «نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلا وبدأ يتململ من جديد[1]

ويقول أيضا:« إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد...»[2].

ويقول شيمون بيريز وزير خارجية العدو الصهيوني: « إنه لا يمكن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهرا سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد»[3].

وعندما قامت الحكومة الصهيونية بطرد أكثر من أربعمائة فلسطيني مسلم من أنصار حركة حماس الإسلامية المجاهدة، وقوبل هذا العمل الأحمق بحملات اعتراض شديدة، تحدث إسحاقرابين رئيس الحكومة الصهيونية المجرمة بكل صراحة – بل بكل وقاحة – قائلا : « لماذا لا يرى العالم فى إسرائيل الطليعة التى تحميه من الهجمة الإسلامية المتطرفة ، والخط الدفاعي الأول الذي يرد عن العالم وبال هذا الإرهاب ،ولماذا لا يرى في إبعادنا لمجموعة الأربعمائة من منظمة حماس الإسلامية بادرة محمودة جديرة بالتشجيع والتأييد من الأمم المتحدة ؟ ألسنا في الحقيقة الدرع التي تحمي العرب كل العرب من هذا الإرهاب الإسلامي الذي يهددهم»[4]

بمثل هذا الأسلوب يعبر الصهاينة عن مكنون صدورهم تجاه ديننا الحنيف ويستعدون الغرب المسيحي لتكوين تحالف يهودي – مسيحي لمواجهة الخطر الإسلامي المزعوم.

(1)نبيل عبد الرحمن المحيش،مخطط تدمير الإسلام وإبادة المسلمين في العصر الحديث ، ط1 ،1991 م ، دار المنار ، السعودية ص7.

(2)جلال العالم ،قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام.. أبيدوا أهله، طبعة المختار الإسلامي ،القاهرة ،ص39.

(3) نبيل عبد الرحمان المحيش ،مخطط تدمير الإسلام ،مرجع سابق ،ص 7.

(4) مصطفى محمود، المؤامرة الكبرى،سلسلة كتاب اليوم 1994 م ، 346 ، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة ،ص 142.

المطلب الثاني:التنصير:

الفرع الأول:تعريف التنصير:

أولا لغة:من نصره ينصره تنصيراً، أي جعله نصرانياً. كما جاء في الحديث: «...فأبواه يهودانه أو ينصرانه»[1] و" تنصر" أي دخل في النصرانية.أما " النصرانية" فاسم دين النصارى، ويجوز إطلاقها كذلك على واحدة النصارى، فيقال: امرأة نصرانية، كما يقال: رجل نصراني[2].

وفي الإصطلاح ، جاء تعريفها في دائرة المعارف البريطانية بأنها «الديانة التي تعزو أصلها إلى يسوع الناصري، وتؤكد أنه المختار (المسيح) من الله»[3].

ثانيا:المفهوم الاصطلاحي للتنصير

هناك عدة أقاويل في تحديد مفهوم التنصير، إن بالنسبة للمنصرين أنفسهم، أو بالنسبة لمن توجه صوبهم الهجمات التنصيرية، فمن أشهر ما قيل في ذلك:

أ- أن التنصير: «تحويل الناس من ديانتهم التي يدينون بها ... إلى الديانة النصرانية»[4]، أو «الدعوة إلى دين النصرانية، ومحاولة نشر عقيدته في أنحاء العالم، بالوسائل والأساليب المتنوعة»[5].

ب-أن التنصير: "تشكيك المسلمين في تاريخهم، وزعزعة عقائدهم"[6].

(1) متفق عليه، البخاري مع الفتح (245/3) ، و(2047/8).
(2) القاموس المحيط ،ص 622.
(3) دائرة المعارف البريطانية ،مادة " النصرانية" (Christianity)،ص693/5.
(4)أحمد سعد الدين البساطي ،التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، ص (31).
(5)محمد عثمان صالح، النصرانية و التنصير أم المسيحية و التبشير ،ط 1989،1م،مكتبة ابن القيم ،السعودية، د ط،1989م ، دار أبو المجد للطباعة ،ص31.
(6)أحمد البساطي، مرجع سابق ، ص 33.

وهناك طريقة للجمع بين هذين التعريفين، وهي التي ترى أن المهمة الأساسية للتنصير هي تحويل الناس من ديانتهم إلى النصرانية، وإن عجز المنصرون عن هذا -كما هو الحال في المحاولات التنصيرية لدى المجتمعات المتمسكة بالدين ، وبخاصة الإسلامية منها[1]-فحينئذ عليهم أن يشككوهم في عقيدتهم، وبعبارة أوجز: تحويلهم إلى نصارى، وإلا فإلى ملحدين أو لادينيين[2].

ويأتي في مقابل هذا الإتجاه رأي آخر يرى أن أولى مهمات التنصير- أو مهمته الوحيدة - هي إخراج غير النصارى من دينه من غير ضرورة إدخاله في النصرانية، وفي هذا يقول أحد أقطاب المؤتمر التنصيري الذي انعقد عام 1346 هـ/1927م بجبل الزيتون في فلسطين « أتظنون أن غرض التنصير وسياسيته إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا نصارى؟ إن كنتم تظنون ذلك فقد جهلتم التنصير ومراميه .... ولكن الغاية التي نرمي إليها هي إخراج المسلم من الإسلام فقط ليكون مضطربا في دينه وعندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم أحمد أو مصطفى .أما الهداية فينبغي البحث عنها في مكان آخر»[3]،ويقول المنصر المعروف صمويل زويمر، الذي كان يوما من الأيام رئيس إرساليات التنصير في المنطقة العربية من الشرق «...ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريما، وإنما أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله»[4].

(1)علي إبراهيم النملة، التنصير في الأدبيات العربية ،د ط،1999م،جامعة الإمام سعود الإسلامية ، ص 22، وملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي للدكتور إبراهيم عكاشة علي ص 38.

(2) ا أحمد البساطي،مرجع سابق، ص 31.

(3) جريدة السياسة المصرية، العدد 3145، التاريخ 1933/6/20م نقلا عن ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1407هـ ،1987م، ص 37.

(4) مانع بن حماد الجهني،الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة، ط1420،4هـ ،نشر دار الندوة العالمية،الرياض، ص 162.

ج-أما عن مفهوم التنصير باعتباره علما قائما بذاته يحسب له حساب في مجال الأبحاث والدراسات العلمية، فقد قيل إنه: «قيام الإرساليات بتنصير منطقة معينة ، وإنشاء كنيسة وطنية تؤول رعايتها تدريجيا للسكان الوطنيين دون مساعدات خارجية، ويتبنون بدورهم مهمات التنصير في المناطق التي لم يصل إليها التنصير ».وجاء تعريف هؤلاء الذين لما يتم الوصول إليهم بأنهم «ذلك الشعب الذي فيه أقل من 20% من النصارى الملتزمين أو النصارى الممارسين لعقيدتهم»[1].

هذا من حيث العموم، وأما عند المنصرين أنفسهم فباستطلاع مقصودهم الخاص بلفظ التنصير نجد أنهم يختلفون في ذلك اختلافهم في مفهوم العقيدة النصرانية ذاتها، ففي حين يرى البروتستانتي[2] أن التنصير يعني تنصير المجتمعات غير النصرانية(NonChristianWorld) يذهب الكاثوليكي[3] إلى أنه إنما يعني بالضرورة كثلكة جميع الذين لا يؤمنون بالكنيسة الرومانية الكاثوليكية (NonRomanCatholicWorld) ، أي بما فيهم هؤلاء النصارى البروستانتيون والأرثوذكسيون[4]الذين لا يرون في البابا خليفة للمسيح ولا ممثلا لله على الأرض.

(1)علي إبراهيم النملة، التنصير في الأدبيات العربية ، مرجع سابق ، ص 42.

(2) البروتستانتية: حركة دينية نصرانية تشمل جميع التجمعات العقدية الغربية التي بقيت في دائرة التقاليد النصرانية من غير توافق مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. ينظر: (Collier s Encyclopedia) 19/431.

(3)الكاثوليكية: إحدى الطوائف النصرانية الرئيسة الثلاث، تحت السلطة العليا للبابا. ويطلق عليها اسم " الكاثوليكية الرومانية " للتمييز بينها وبين الطوائف الأخرى التي تستخدم لفظ " الكاثوليك" نفسه للدلالة على هويتها وشعائرها، و" الكاثوليك" في أصله اليوناني يعني: العالمية أو الكلية. Boettner ,Loraine :Roman Catholicsm P 22% & Colliers Encylopedia 5/561 & 20/146.

(4) أصل معنى الأورثوذكسي (orthodox) : ذو العقيدة السوية. وتطلق الكلمة في الاصطلاح على كل نصراني غير بروستانتي ولا يسلم برئاسة البابا الكاثوليكي. ينظر: الموسوعة العربية الميسرة ص 1487.

لذا قيل إن للتنصير مفهوما مختلفا داخل المجتمع النصراني، ألا وهو : «الإبقاء على النصارى داخل دينهم، وظهور دعوات طائفية من كاثوليكية وبروستانتية وأرثوذوكسية تتنافس فيما بينها لكسب أكبر عدد ممكن من النصارى أتباعا لها»[1].

والحاصل أن مفهوم التنصير قابل للتطوير والتجديد بحسب ما تقضيه الظروف، وبحسب البيئة أو الإطار الذي يعمل فيه وبحسب التوجهات أو الإنتماءات العقدية والسياسية التي تسير هؤلاء المنصرين. وعليه، فقد نجد أن التعريف الجامع المانع للتنصير هو: نشاط دعوي نصراني بمختلف الوسائل والأساليب ،ليتخذ الناس النصرانية دينا لهم، أو يتخلوا عن دينهم الأصيل، وإعادة المخالفين إلى الإيمان بما تقرره الكنيسة المعنية بالنشاط.

الفرع الثاني :حملات التنصير

التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في العالم عامة وبين المسلمين بصفة خاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب، ويساعد في ذلك عوامل منها:

- انتشار الفقر والجهل والمرض في معظم بلدان العالم الاسلامي.
- النفوذ الغربي في كثير من بلاد المسلمين وسكوت بعض حكام المسلمين

ومن أهم آليات التنصير نذكر:

- العمل على تشجيع الحروب والفتن، وذلك بهدف إضعاف الشعوب الإسلامية.
- إثارة الاضطرابات المختلفة بإذكاء العداوة والبغضاء، وإيقاظ روح القوميات والإقليمية والطائفية الضيقة، كالفرعونية في مصر والفينيقية في الشام وفلسطين ولبنان والآشورية في العراق والبربرية في شمال إفريقيا، واستغلال جميع ذلك في التنصير.
- طبع الإنجيل بشكل أنيق وبأعداد هائلة وتوزيعه مجانا.

(1)علي إبراهيم النملة، التنصير في الأدبيات العربية، مرجع سابق،ص (23).

- تقديم الخدمات الطبية وزيارة المرضى وتقديم الهدايا لهم بهدف استغلال هذه المهمة في التنصير.
- استغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم الأهداف التنصيرية وذلك من خلال إنشاء المدارس والكليات والمعاهد العليا ودور الحضانة ورياض الأطفال.
- إيجاد بيوت وأندية للطلبة وكذا إنشاء المكتبات التبشيرية والمخيمات الصيفية [1].

إن مسيرة العولمة تفترض التزام جميع الحكومات والشعوب بمبادئ عامة، تأتي في مقدمتها حرية التبشير لأي عقيدة، حتى وإن دعت لعبادة الأصنام في أي بقعة وبين أي بشر؛ وعلى هذا احتلت قضية الدفاع عن حقوق المسيحيين في الشرق الأوسط اهتماما ملحوظا من جانب الولايات المتحدة الأمريكية في محاولة لاختراق وتفكيك الكنائس الشرقية، وسعى لإرسال الإرساليات التبشيرية(الكاثوليكية والبروتستانتية) للتبشير بين المسيحيين والعرب، مما يترتب عنه تحويل التمايز الديني والمذهبي من ظاهرة اجتماعية مضمونها الاختلاف في الاعتقاد والاجتهادات في تفسير النصوص إلى معضلات وطنية قومية[2]

نصت المادة الأولى من " الإعلان بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد " الصادر بموجب قرار الأمم المتحدة 55/63 المؤرخ في نوفمبر 1981 على أنه " لكل إنسان الحق في حرية التفكير والوجدان والدين، ويشمل الحق حرية الإيمان بدين أو بأي معتقد يختاره، وحرية إظهار دينه أو معتقده عن طريق العبادة وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، سواء بمفرده أو مع جماعة، وجهرا أو سرا "

(1) مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في العقائد والأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الجزء2، مرجع سابق، ص ص665،669.

(2)هاني لبيب، العولمة وقضية الحماية الدينية في مصر،(ط1، 2004)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 172،173.

بدأت ظاهرة التنصير تأخذ أبعادها الجلية في عصر العولمة وانتشار قيم حقوق الإنسان، وخاصة بالاستناد إلى مبدأ حرية " الضمير " والعقيدة، فقد نشرت صحيفة ألمانية بتاريخ 30 ماي 2004 دراسة بعنوان " مليون ضد محمد "، ذكرت فيه أن للفاتيكان منظمة اسمها " رابطة الرهبان لتنصير الشعوب "، وهي من اقدم منظمات الفاتيكان وأكثرها نفوذا واقلها شهرة فهي تنشط في كل مناطق العالم بما في ذلك المناطق التي لا تعرف العمل التبشيري، كالسعودية واليمن، ويعمل تحت لوائها 58000 قسيس و450000 جمعية دينية، وأكثر من مليون مدرس، وتملك 42000 مدرسة و16000 مستشفى و6000 مؤسسة لمساعدة المحتاجين و12 مؤسسة خيرية واجتماعية في العالم تعمل للحد من انتشار الاسلام في العالم، وعلى تشويه صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ونعته بأبشع الصفات؛ وتؤكد هذه الرابطة أن الصراع الذي تقوده لا يخلو من العنصر العسكري، إذ يعتبر قادتها أنهم في حالة حرب معلنة، لذلك فإن العدد والعدة عنصر مهم في هذه الحرب حول العقيدة؛ فقد وصل الأمر إلى حد دعوة الأتباع إلى تنصير المسلمين، وإن عجزوا فليكتفوا بإخراجهم من الإسلام حتى ولو يلتحقوا بالنصرانية.

تبرر قيادات التبشير المسيحي هذه العداوة بكونها لم تنجح في الحصول على موافقة المعاملة بالمثل فيما يخص بتأمين ممارسة الشعائر للمسيحيين في السعودية، إذ أنه بالرغم من أنه سَمح للملكة العربية السعودية ببناء مسجد ضخم في روما إلا أنه حظر على المساجين المسيحيين في السعودية قراءة الإنجيل والاحتفال مع أحد القساوسة الكاثوليك؛ إلى جانب شعور الحركات التنصيرية بالتراجع والانقراض، مقابل تقدم وانتشار الإسلام في مختلف مناطق العالم.

استطاعت الجماعات الدينية أن تعزز القيم الدينية في المجتمع من خلال رأي عام ضاغط يخلق تحديا كبيرا للحكومة، وهذا ما سعت إليه ونفذته الحركة الأصولية في أمريكا في كثير من القضايا الاجتماعية السياسية الداخلية والخارجية كموضوع الاضطهاد الديني والحرية الدينية.

على الرغم من أن الاهتمام بالحرية الدينية في العالم قد بدأ بحملة من أجل إنقاذ مسيحيي العالم من الاضطهاد أطلقها المحامي اليهودي " مايكل هوروفيتز " من خلال مقال نشره في جريدة "

وول ستريت " بتاريخ جويلية تحت عنوان " التعصب الجديد بين الصليب والهلال " موجها النظر إلى الاضطهاد المتنامي، محفزا المجتمع المسيحي الأمريكي لمواجهة هذا التحدي بقوله: "كأمريكي يهودي فإنني سعيد للأخوة التي أبداها المجتمع المسيحي في مواجهة الحركات المناوئة للسامية." لذلك يعتبر هذا النداء امتداد للمسيرة التاريخية الممتدة والمصلحة المشتركة والجذر الواحد بين اليهود والبروتستانت في أمريكا، وهو ما يفسر الاهتمام اليهودي باضطهاد المبشرين البروتستانت خارج أمريكا؛ على اعتبار أن إقامة تحالف يهودي-بروتستانتي في مواجهة الإسلام يندرج ضمن المفاهيم السياسية التي بدأ يروج لها رجال الفكر الذين يعملون في خدمة الاستراتيجية الأمريكية، أمثال" صاموئيل هنتغتون" صاحب أطروحة صدام الحضارات وفكرة الصدام المتوقع مع العدو الجديد، الذي حصره في الإسلام أساسا.انطلاقا من طبيعة العلاقات التاريخية الأصولية المسيحية واليهودية، بدأ الإنجيليون البروتستانت تحركهم للضغط من أجل انقاذ مسيحيي العالم، عبر إطلاق " الرابطة الوطنية الإنجليين" بيانا " لإثارة الضمير"، على اعتبار أن الحرية الدينية منحة إلهية للإنسان، وكان ذلك في 23 جانفي 1996، بمناسبة انعقاد المؤتمر الذي نظمه "بيت الحرية" لمعالجة الاضطهاد العالمي للمسيحيين؛ وفي سياق الدعوة إلى التحرك اقترح هذا البيان جملة من الإجراءات منها:

- تبني دبلوماسية جديدة لإدانة الاضطهاد.
- إصدار توجيهات للسفراء لتنظيم لقاءات دورية للتيارات الكنسية في البلاد التي تشهد اضطهادا.
- تعيين مستشار خاص للرئيس للحرية الدينية يتكفل بإعداد تقرير حول تغيير السياسات التي تتعامل مع الاضطهاد الديني، والتوصية باتخاذ إجراءات حاسمة.
- ربط التجارة والمفاوضات الدولية بأوضاع الاضطهاد الديني.
- تقديم المساعدات الدبلوماسية وحق اللجوء للمضطهدين.
- إصدار تقارير موثقة بالحقائق من طرف مكتب حقوق الإنسان بوزارة الخارجية والوكالات الحكومية الأخرى حول الاضطهاد الديني.

-وضع جدول زمني لوقف المساعدات غير الانسانية المقدمة للدول التي تفشل في اتخاذ إجراءات حاسمة لإنهاء الاضطهاد[1].

وتأسيسا على ذلك يعد هذا البيان نقطة تحول حاسمة وتعبيرا عن جهد كبير بذل في مجال إثارة الرأي العام بشأن الاضطهاد الديني، واعتبار موضوع الحرية الدينية من الموضوعات الرئيسية في جدول أعمالها؛ فكان بداية لتحرك إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق " بيل كلينتون" الذي قام بتكليف وزير خارجيته وارين كريستوفر" بتشكيل لجنة من المتخصصين لمتابعة النقاش بشأن موضوع الحرية الدينية، وتم تشكيل هذه اللجنة تحت تسمية "لجنة الشريط الأزرق"، برئاسة " جون شاتوك" مساعد وزير الخارجية لشؤون حقوق الإنسان عام 1996*؛ وكان أول لقاء لها في 13 فيفري 1997 لمناقشة موضوعين هما:

دراسة وضعية الحرية الدينية والاضطهاد الديني في العالم ومساندة الأقليات الدينية.

التعاون بين الأديان لتحقيق الحرية الدينية وحل النزاعات.

وقد رافق عمل هذه اللجنة إصدار وزارة الخارجية الأمريكية لتقرير نصف سنوي حول أوضاع الحرية الدينية في العالم.**إلى جانب التقرير السنوي الدوري الذي تصدره الوزارة عن حالة حقوق الإنسان في العالم.

وقد أثمرت الحملة اليهودية والبروتستانتية في الضغط على الإدارة الأمريكية لتصل لمستوى التشريع فقد تجسد ذلك من خلال:

مشروع قانون تقدم به كل من " فرانك وولف" النائب الجمهوري "أرلين سبكيتور" أحد الشيوخ الجمهوريين، باسم "التحرر من الاضطهاد الديني" في سبتمبر عام 1997، إذ يعد هذا القانون في نظر أصحابه " تشريع يهدف إلى سد الطريق أمام تنامي الاضطهاد الديني ومن أجل مقاومته نسعى لتكوين مكتب جديد لمراقبته من وزارة الخارجية عن طريق فرض عقوبات على

(1) سمير مرقس، الحماية والعقاب، الغرب والمسألة الدينية في الشرق الأوسط، (القاهرة، مكتبة الشروق، 2000)، ص ص14-19.

الحكومات التي تشارك بنشاط أو فشلت في اتخاذ خطوات لتقليص الاضطهاد الديني، ذلك أن الاضطهاد الديني وخاصة اضطهاد المسيحيين لم يتبدد مع الحرب الباردة بل إنه مستمر ويتزايد نشاطه، وأملنا أن يوقف هذا التشريع من هذا التوجه"، وقد حظي هذا المشروع بموافقة 375 عضوا مقابل41 من أعضاء مجلس النواب الأمريكي في ماي عام 1998.

مشروع قانون "دون نيكلز" بتاريخ26 مارس 1998، وقد وافق عليه مجلس النواب بالأغلبية الساحقة وذلك بإحرازه على 98 صوت مقابل صوتين[1].

قانون الحرية الدينية الذي تم إقراره في 9 أكتوبر 1998، والذي ينفذ من خلال آليتين هما:

السفير فوق العادة لشؤون الحريات الدينية في العالم الذي يرأس مكتبا إداريا تابعا لوزارة الخارجية.

لجنة استشارية لشؤون الحريات الدينية في العالم.

يتجلى من خلال قانون الحرية الدينية في العالم غلبة جانبالعقوبات " Sanctions " روح نصوصه، رغم استعماله لمصطلح إجراءات" Actions" فقد زاد عدد الإجراءات /العقوبات إلى خمسة عشرة(15)، نذكر منها:

- طلب توضيح رسمي وعلني.
- إدانة في المحافل الدولية.
- إلغاء برنامج التبادل الثقافي والعالمي.
- رفض تبادل الزيارات الرسمية.
- الانسحاب أو تحجيم أو تعليق المساعدات الأمريكية التنموية والأمنية، أو أي تعرفة مميزة.
- إصدار الأوامر لمديري الوكالات الأمريكية بعد إعطاء تصاريح لتصدير أي سلع أو تكنلوجيا للدولة التي تمارس الاضطهاد الديني.

(1) سمير مرقس، الحماية والعقاب، الغرب والمسألة الدينية في الشرق الأوسط، مرجع سابق،ص34.

- إصدار الأوامر لمديري التنفيذ الأمريكيين في المؤسسات الدولية المالية بالتصويت ضد منح القروض.

إضافة إلى التأصيل القانوني لهذه الإجراءات في ضوء القوانين الداخلية الأمريكية، وهذا من شأنه تفويض الولايات المتحدة الأمريكية تفويضا مطلقا باتخاذ الإجراءات لدعم المضطهدين، وجعل المرجعية العليا للقانون مرتهنة بالخبرة الأمريكية في مجال الحرية الدينية، ووضع النصوص الخاصة بالمواثيق الدولية لاحقة للريادة الأمريكية، فقد أصبحت الخبرة الأمريكية المرجعية الأعلى بالمواثيق الدولية؛ وفي هذا الإطار يذكر القانون:" تأسست الولايات المتحدة الأمريكية على قاعدة راسخة تقوم على حق الفرد في ممارسة حريته الدينية، ويعود اليوم وجودها لاستنادها على هذه القاعدة، فقد فر الكثيرين من مؤسسي أمتنا مما كانوا يتعرضون له من اضطهاد ديني في الخارج لذلك فإنهم يكنون كل التقدير لنموذج الحرية الدينية في قلوبهم وعقولهم، فأقروا فيالقانون حق الحرية الدينية باعتبارهحقا أساسيا ودعامة يقوم عليها الوطن، إن تراث الحرية الدينية من الأمور الثمينة في الولايات المتحدة الأمريكية.

ينص البند 107 من هذا القانون على توفير فرص متكافئة للاتصال بالبعثات الدبلوماسية الأمريكية في الخارج لتنظيم النشاطات الدينية:

إتاحة وزارة الخارجية الأمريكية إمكانية الاتصال بالبعثة الدبلوماسية الأمريكية أو بالقنصل من قبل أي مواطن أمريكي يسعى لتنظيم أي نشاط ذو طابع ديني.

إمكانية توفير ممارسة الصلوات الدينية المنظمة بشكل علني خارج نطاق البعثة الدبلوماسية[1]

إتاحة الفرصة لغير الأمريكيين للحضور والمشاركة في هذه النشاطات الدينية.

(1) رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم، المسيحية السياسية و الأصولية في أمريكا،2001 م، مكتبة الشروق، القاهرة، ص232،234.

وبهذه الكيفية يثير عدة ملاحظات، إذ أن إتاحة الفرصة للمشاركة في الصلوات من قبل الجنسيات الأجنبية الاخرى غير الأمريكية يتم ترجمتها إلى الأجانب من مواطني الدولة المضيفة، إضافة إلى إتاحة الفرصة للأمريكيين لأداء الصلاة خارج موقع البعثة، قد تعني دعوة الآخرين أو التحرك الحر، ولا تنفي وجود هجمة تبشيرية ثانية مثل التي شهدتها مصر في منتصف القرن التاسع عشر كما أن تعريف قانون الحرية الدينية لمفهوم " الانتهاكات الدينية " يتيح مسافة مفتوحة للتبشير مع الآخرين دون تمييز مما يضر بالكنائس الوطنية والمسلمين على حد سواء.

كما يلاحظ الربط بين هذا القانون والمصالح الاقتصادية الأمريكية، إذ يتضمن البند 107 ضرورة اعتراف الكونغرس بتزايد أهمية الدور العالمي الذي تلعبه الشركات متعددة الجنسية، كما يعترف بإمكانياتها للاضطلاع بدور قيادي في مجال حقوق الانسان، الأمر الذي يفرض عليها تبني قواعد للسلوك في مجال عملها تراعى الحرية الدينية.

وعلى هذا أصبحت الشركات متعددة الجنسية طرفا شريكا في أعمال التحرر الديني بحكم هذا القانون؛ ذلك أنه لا يمكن الفصل بين الاقتصادي والديني، اعتبار أن الديني يتحرك على أرضية الاقتصادي الذي يعبر في المحصلة عن المصلحة الأمريكية العليا.

فمن خلال مسيرة الغرب تتكرس ثنائية الإلحاق/ التجزئة كاستراتيجية ثابتة: الإلحاق يتحقق بالاقتصاد والتجزئة تتحقق بالدين والثقافة، متى تحققت التجزئة يسهل الإلحاق؛ فالتركيز على الحرية الدينية يعتبر حجر الزاوية للديمقراطية[1].

يصدر قانون الحرية الدينية تقريرا يستعرض فيه أوضاع الدول في مجال الحرية الدينية ويرصد درجة التحسن أو التراجع على أساس تصنيف يتم من خلاله تصنيف الدول إلى:

دول سلطوية وشمولية تمارس اعتداءات على المقعد الديني وحرية ممارسته.

دول معادية للأقلية أو اديان غير معترف بها

دول تهمل التمييز أو الاضطهاد الديني الذي يمارس ضد الأقلية أو الأديان غير المعترف بها.

(2) رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم، المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا، مرجع سابق،ص235.

دول تصنف بعض الأديان بكونها خاطئة لارتباطها بعبادات وطوائف خطير

وقد أُرفق بالتقرير الوسائل التي يجب أن تنتهجها السياسة الخارجية الأمريكية بهدف ضمان الحريات الدينية، وذلك في المجالات الدبلوماسية، والسياسية والثقافية والاقتصادية، والعسكرية، إذ تم تصنيفها إلى نوعين: وسائل ودية تعتمد على الإقناع، ووسائل عدائية تعتمد على القسر.

وفي هذا الإطار طلب من دول مجلس التعاون الخليجي النظر جديا في المطلب الأمريكي بشأن السماح ببناء كنائس مسيحية خصوصا في المملكة العربية السعودية التي تعرف حظراً لإقامة الكنائس والمعابد، مع تعزيز إنشاء كنائس أخرى في الكويت والبحرين وقطر والإمارات وسلطنة عمان التي توجد بها بعض الكنائس المسيحية؛ وأكد أحد مستشاري وزارة الخارجية الأمريكية في جانفي 2004م على أنه في حالة التوصل إلى سلام شامل بين العرب وإسرائيل، فإن الاتفاقات التي ستبرم بينهم ستتضمن السماح للأقلية اليهودية التي مازالت تقيم في بعض دول الشرق الأوسط بإنشاء معابد يهودية للصلاة، وكانت إحدى لجان الكونغرس قد تبنت انشغالات بعض الفئات الدينية المتطرفة، عندما طالبت حكومة "جورج بوش" الابن بوقف بناء المساجد الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية، مالم تسمح المملكة العربية السعودية والدول الإسلامية الاخرى بالمعاملة بالمثل، أي إنشاء كنيسة في الدول الإسلامية مقابل كل مسجد تنشئة في امريكا؛ إذ قد أدانت الولايات المتحدة في تقريرها السنوي لعام 2004م الدول الإسلامية "المتطرفة" لفرضها القيود على حرية المعتقد، وأما بخصوص الوضع في السعودية ذكر التقرير أن الحرية الدينية غير موجودة، وأن السيطرة الوحيدة هي للإسلام السني؛ وقد خصص التقرير جانبا يتعلق بوضع المسلمين الشيعة، الذي يرى في إقصاؤهم من الوظائف الحكومية ذات الطبعة المتصلة بالأمن القومي ومناصب وزارة الداخلية، و رغم اعتراف التقرير بأن هناك بعض الشخصيات الشيعة تشغل مناصب عليا في بعض المؤسسات الحكومية، وكذا قيام الحكومة بإزالة بعض العبارات المعادية للفكر الشيعي من نصوص الكتب المدرسية، إلا أن التقرير يشير أن هناك جوانب تفرقة، منها عدم وجود تمثيل لهم في الحكومة السعودية، وفي مجلس الشورى لا يوجد إلا عضوين من بين 120

عضو، رغم أن التقرير تحدث بإيجاز شديد عن الجهود الذي تبذلها الحكومة السعودية " لتحسين مناخ التسامح تجاه الأديان الأخرى، والقبول بالآخر[1].

وفي أفريل 2005م التقى شيخ الأزهر" محمد سيد طنطاوي " بوفد أمريكي يطلق على نفسه "سفراء السلام" لعرض وثيقة أمريكية تدعى "وثيقة الحقوق الدينية" تتعلق بالسماح لأي جماعات دينية بحرية الدعوة لمذهبها دون التصدي لها تحت شعار التآخي والتسامح بين المسيحية والاسلام، وقد تضمنت هذه الوثيقة 17 بندا، أيدها شيخ الأزهر دون قيد أو شرط، ووقّع عليها الشيخ "فوزي الزفزاف" نيابة عنه بصفته رئيس لجنة الحوار بين الأديان*،ودون عرضها على مجتمع البحوث الاسلامية لمناقشتها، وقد جاء في ديباجتهاأن المجتمع الديني أجمع لم يعد يقبل بتسييس حقوق الإنسان الممنوحة من الله، والتي تتمثل أهمها في حرية الاعتقاد ولذلك فإن هذه الوثيقة ستعزز الاحترام والتسامح بين الديانات المختلفة؛ ومن بين ما تضمه أهم بنودها:

إننا كممثلين عن جميع الأديان في العالم، مشتركون معا في إنسانية واحدة، بإيماننا الشخصي بخالقنا نتفق هنا على تقديس حق كل فرد في الإيمان بخالقه.

إن لجميع الأفراد أو الجماعات من مختلف الديانات الحق في أن يعرضوا بشكل سلمي على الآخرين نظرتهم الخاصة بالأمور اللاهوتية أو الانسانية أو الحياة الآخرة.إننا نؤمن بحق كل فرد في الإيمان بأي دين شاء.لا يحق لأي جهة دينية أو سياسية أن تتدخل في الخدمات الروحية لأتباع دين آخر.لا يحق لأي أحد التدخل أو تعطيل خدمة روحية لغيره.

تمثل رد فعل الذي أحدثته هذه الوثيقة في موقف الباحث والخبير في شؤون الحركات الدينية الدكتور "رفيق حبيب" الذي فرق بين حرية الاعتقاد كقيمة يجب الدفاع عنها وحرية عمل المؤسسات الغربية التي تستغل هذا الحق، على اعتبار أن مثل هذه الوثائق تروج للمسيحية الغربية،

(1)أميمة عبد اللطيف: قراءة في تقرير الحريات الدينية الأمريكي: الحالة السعودية مثالا، العصر،22 فيفري2005، ص24.

*يعتبر الحوار بين الأديان من أخطر وسائل التنصير المعاصرة، لمزيد من التفصيل ينظر، بكر بن عبد الله بن بوزيد: الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، ص65.

وتحاول نشر القيم وتمرير المصالح الغربية، فالإدارة الأمريكية تمثل اليمين المحافظ الديني الذي يهدف إلى غربنة (Occidentalisation) العالم، ونشر المسيحية الغربية لاعتقاده بأحقيته في قيادة المسيحية العالمية، مما مكن من تسريب النزعة الاستعمارية في جدول الأعمال السياسي والديني.[1]

المطلب الثالث:التحالف اليهودي البروتستانتي.

يختلف المحللون الأمريكيون في توصيفهم لمضمون موجة الإرهاب الراهنة، ولاسيما بشأن العلاقة الارتباطية بين الإرهاب والإسلام، إلا أن البعض أمثال "صموئيل هنتنغتون" يركزون على أن الإرهاب لا يمثل شكلا من أشكال الصراع الدولي، بقدر ما يمكن النظر إليه باعتباره حروب المسلمين، سواء فيما بينهم أو بينهم وبين المسلمين، وهي حروب قد تتطور إلى صدام كبير للحضارات بين الإسلام والغرب أو بين الإسلام وبقية العالم، ويرى هنتنغتون أن هذه الحروب لا تعود على طبيعة المعتقدات الإسلامية، وإنما إلى السياسات والأوضاع العامة في العديد من الدول الإسلامية مثل حالة الصحوة الإسلامية والشعور بالظلم و"الحسد" تجاه الغرب والانقسامات الإثنية في العالم الإسلامي، ويخلص إلى أن حروب المسلمين سوف تستمر في حالة عجز المجتمعات الإسلامية عن تحقيق إصلاحات داخلية جذرية، واستمرار سيطرة الحكومات على الأقليات.فبعدأحداث11سبتمبر 2001 م دعا الواعظ الأصولي "بات روبرتسون" أتباعه إلى الصلاة كي يمنع الرب انتشار الإسلام في أمريكا، على اعتبار أن الدين الإسلامي دين تخلف ورق وعبودية، وأن العالم الإسلامي مرتع للشيطان(2).

دعا الدبلوماسي البريطاني "روبرت كوبر" الدول الغربية التي أسماها دول ما بعد الحداثة إلى العودة إلى النهج الاستعماري للتعاطي مع ما أسماه "العالم ما قبل الحداثي"، أو العالم البدائي، ذلك أن كل الظروف مواتية لتحقيق إمبريالية من نوع جديد تتقبل أمورا من قبيل حقوق الإنسان والقيم

(1)بكبر بن عبد الله بن بوزيد، الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، ص65

(2) محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق ،ط2 ،2002 م ، دار الفكر ،دمشق،ص 256.

العالمية:"إننا بحاجة للعودة مرة أخرى التبني طرقا أكثر حدة، أي استخدام القوة والضربات الاستباقية والخداع وأي طريقة ضرورية للتعامل مع أولئك الأفراد الذين يعيشون بعقلية القرن التاسع عشر، فعندما يتعلق الأمر بالتعامل مع بعضنا البعض، فإنا نعمل من أجل الحفاظ على القانون، ولكن حينما نعمل في الغابة فعلينا أن نستخدم قانون الغابة"، فالغابة حسب وجهة نظر "كوبر" هي أي شيء لا ينتمي إلى الغرب المسيحي المتحضر،وهي وجهة نظر لا تختلف كثيرا عن استعماريي القرون الماضية[1].

يصر البعض على أخذ مصطلح "حروب صليبية" بحدة و على ضرورة منح السياسة الأمريكية غطاء أيديولوجيا دينيا حتى عندما تتنصل منه، و تصر على غطاء آخر كما تلزم مقارعته و التصدي له بأدوات فكرية و سياسية و عقلانية لفضحه، ألا و هو غطاء "مكافحة الإرهاب الدولي " [2]

إلى جانب من يعارض الحرب وهم أنصار السلام في كندا، هناك أعضاء آخرون من الجماعات أصولية "اليمينية"يستخدمون نظرية "الحرب العادلة" التي وضعها "القديس أوغسطين" و" توماس الأكويني"؛ وفي هذا الصدد يقول البروفيسور "فرانك كيرك" : "من الناحية الدينية فإن الحرب العادلة تعني أن الدين يمكن أن يسمح بالاستخدام المقيد للعنف إذا تحققت بعض الشروط".

في 12سبتمبر2001 م دعا"وليام كوهين" وزير الخارجية الأمريكي الأسبقفي عهد "بيل كلينتون"إلى استبدال إيديولوجية الحرب الباردة ضد الشيوعية بإيديولوجية"الحرب على الإرهاب" وهذا ما أضفى الطبيعة السياسية الدينية على الحملة الصليبية التي أطلقها الرئيس الأمريكي "جورج بوش": "على أمريكا أن تنخرط اليوم في حربها المقدسة، وهي ليست حربا يحركها الحقد والدم، بل حرب يمليها التزامنا بالحرية والتسامح و أولوية الحق، لذلك ينبغي أن تستعمل كافة الوسائل

(1)أميمة عبد اللطيف:"المبشرون الجدد"، العصر، 16 أفريل 2004، ص 9.

(2) عزمي بشارة، الانتفاضة والمجتمع الإسرائيلي، تحليل في خضم الأحداث، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2002) ، ص 183.

المتوفرة بين أيدينا للدفاع عن هذه القيم"[1]، و قد أشار "جورج بوش" في الخطاب الذي ألقاه أمام الكونغرس في20 سبتمبر 2001 على أن الإرهابيين قد تصرفوا انطلاقا من كرههم للديمقراطية والحرية: "يسأل الأمريكيون: لماذا يكرهوننا؟إنهم يكرهون ما يرى هنا بالضبط، في هذه القاعة – حكومة منتخبة بصورة ديمقراطية– فقادتهم ينصبون أنفسهم قادة، إنهم يكرهون حريتنا، حرية العبادة لدينا، حريتنا في التعبير، حريتنا في التصويت،وفي الاجتماع وفي أن نكون مختلفين مع الآخر"؛ و في نفس الفترة كتب "نورمان بودورتز"، مقالا نشرته"WaltstreetJournal"انتهى فيه إلى القول: "صحيح أن العرب يتهمون الولايات المتحدة الأمريكية بكل أنواع الجرائم الفظيعة لكن ما يثير عداءهم حقا ليس ما فعلته أمريكا من شر، بل ما فعلته من خير، فيرون أن النظام الديمقراطي والحريات التي تلازمه مثيرة للفساد مثلما هو النظام الاقتصادي الأمريكي،يريدون تدمير كل ذلك، أولا في الشرق الأوسط بالذات ومن ثم في أكبر قسم من العالم،بحيث يمكن أن ينهض مجددا من الرماد والأنقاض نمط الحياة الذي يظنون أن الله يمليه بكل نقاوته المقدسة: "لم تخف إسرائيل سعادتها من أن أمريكا تقتنع أخيرا من أن قضية العالم الأساسية هي الإرهاب، و وصلت سعادتها عندما تأكدت أن الدول الأوروبية ستنضم إلى "المعسكر العالمي المعادي للإرهاب" في حركة عالمية واحدة مع إسرائيل وروسيا و تركيا، وأن الأنظمة العربية سوف تضطر إلى الانضمام إلى هذا المعسكر، كما اضطرت في حينه إلى الانضمام إلى "الائتلاف الدولي ضد العراق"[2].

فبعد هذه أحداث ازدادت المقاربات السلبية للعرب و المسلمين من جانب النخب الثقافية والسياسية الأمريكية، و من منطلقات ثقافية،واستخدام الاستشراق التاريخي والأنثروبولوجي، و رغم أن هذه الأطروحات ليست جديدة،إلا أن الجديد فيها هو :

1. استخدام السياسيين والاستراتيجيين للاستشراق الجديد كما فعل "هنتنغتون".

(1) تيري ميسان ،الخديعة الرهيبة ، ما من طائرة تحطمت فوق مبنى البنتاغون، مرجع سابق، ص 137.

(2) جلبير الأشقر، صدام الهمجيات، ترجمة ميل داغر،2002 م ،دار الطليعة، بيروت، ص 23.

2. تداول وتعميم هذه الأطروحات من قبل وسائل الإعلام

3. تبني الإدارة الأمريكية في خطاباتها الموجهة للعرب والمسلمين لبعض تلك الأفكار.

و في هذا الإطار يقول المفكر العربي " قسطنطين رزيق": "لقد كانت أحداث الحادي عشر منسبتمبر ضربة كبرى لنا أمام العالم، و أمام أنفسنا، وقد حركت صوراً نمطية كثيرة،كما حركتلدينا أيضا ردود فعل نمطية."[1]

وبشأن مدى حقيقة أحداث 11 سبتمبر2001تساءل "حسين معلوم" قائلا: "هل إذا قلنا أن الولايات المتحدة الأمريكية لو لم تحدث "عاصفة الأبراج"كانت سوف تبحث عن "المبرر القوي"لتحضير الرأي العام العالمي من أجل إنجاز مهمتها الإستراتيجية في الزحف العسكري إلى أفغانستان؟"[2]؛ ففي المحاضرة التي ألقاها "تيري ميسان" في أفريل 2002 بمركز الأمير زايد بأبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة، برعاية جامعة الدول العربية بعنوان "من حرض على اعتداءات 11سبتمبر؟"، قدم دلائله ضد الادعاءات الأمريكية بشأن الأحداث والتي اعتبرها تكملة للتحقيق فيالاعتداءات على البنتاغون و الطريقة التي جرى بها "تظليلنا جميعا" من قبل أجهزة الاتصال التابعةلوزارة الدفاع، في جملة من الملاحظات التي رصدها في:

1. عدم إطلاعنا سوى على تورط أربع طائرات، بينما جرى الحديث عن إحدى عشر طائرة.

2. عدم اشتمال القائمةالاعتداءعلى الجناح الملحق بالبيت الأبيض المبنى الحكومي القديم، علما بأن شبكة "ABC" نشرت مباشرة في صبيحة 11 سبتمبر صورا لحريق التهمت نيرانه مكاتب الرئاسة.

(1)رضوان السيد،من الاختلاف إلى الصراع، الخطابات الأمريكية والعربية بعد 11سبتمبر"،الاجتهاد العدد 54، ربيع 2002، ص 52.

(2)حسين معلوم،"الإستراتيجية الأمريكية في وسط آسيا الواقع والآفاق"السياسة الدولية، العدد 147،يناير 2002، ص84.

3. لم يجر التمعن في أهمية انهيار مبنى ثالث في "مانهاتن" بمعزل عن البرجين التوأمين، وهذا المبنى لم تمسه أية طائرة، علما بأن هذا المبنى كان يأوي القاعدة السرية الرئيسية للمخابرات المركزية الأمريكية في العالم، كذلك إذا أمعنا النظر في الاعتداء على البنتاغون نلاحظ أن الرواية الرسمية كذبة كبرى.

4. من دون أن تخشى إثارة السخرية وأكدت وزارة الدفاع أن المحركات المصنوعة من الفولاذ قد تحللت من جراء الصدمة من دون إلحاق الضرر بواجهة المبنى، رغم احتراقه على درجة2500سليسيون داخل المبنى و قد تبخر، بيد أن جثث الركاب الذين كانوا على متنهالم تحترق بحيث أمكن تحديد هويتها لاحقا بفضل بصمات الأصابع؛ إن دراسة الصور الرسمية لمشهد الاعتداءات التي التقطتها وزارة الدفاع، تبين أن أي من أجزاء البنتاغون لايحمل أثراً لاصطدام طائرة بوينغ757.[1]

(1)تيري ميسان، فضائح التستر على حقائق الهجوم على البنتاغون، ترجمة زهير طالب، (بيروت، دار الصحارى، 2002) ، ص ص146-147.

المبحث الثالث:تحد القاديانية والبابية والبهائية.

المطلب الأول:تعريف القاديانية.

القاديانية مذهب ديني ظهر أواخر القرن التاسع عشر(19) في قرية قاديان إحدى قرى بنجاب الهندية، وتأسس على يد " أحمد القادياني" الذى بدأ بالدعوة إلى الإسلام، وعندما تنامى عدد أتباعه أضفى على نفسه القداسة، وقال أن لديه القدرة على كشف الغيب والتنبؤ بأحداث المستقبل.وفي الفترة اللاحقة من تاريخ هذا المذهب زعم "رشيد أحمد القادياني" أنه المسيح الموعود الذي بعثه الله من جديد لتخليص العالم من آلامه وشروره، ليعلن في عام 1900 النبؤة المستقلة، كما أنشا قاديان مسجدا جعله قبلة للحجيج بدلا من الحج إلى مكة[1].

تتميز القاديانية بين الحركات المعادية للإسلام التي نشأت بين الحين والآخر بميزة انفردت بها وهي أن الحركات المعادية الأخرى كانت ولا تزال تستهدف نظام الحكم في الإسلام أو الشريعة الإسلامية، بينما تهدف القاديانية صميم روح الإسلام، وهي بهذا مؤامرة ضد النبوة المحمدية وثورة وغزو على حدود الإسلام.

يقول "غلام أحمد القادياني"في رسالة يذكر فيها خدماته ووفائه للإنجليز: "قضيت معظم حياتي في تأكيد الحكومة الإنجليزية والإخلاص لها الخدمة، وقد ألفت كتبا ورسائل في إلغاء الجهاد ووجوب الطاعة للحكومة الإنجليزية، ونشرت إعلانات بعدد لو جمعت في مكان لكانت كفيلة بأن تملأ خزانة، وقد وصلت هذه الكتب إلى مصر والشام وروما وكابل؛ لقد عشت منذ حداثة عمري وقد قاربت اليوم الستين أكافح بقلمي ولساني لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها، وإلغاء مبدأ الجهاد الذي يدين به الجهلة منهم بوصفه حائلا بينهم وبين الإخلاص لهذه الحكومة، وأرى أن كتبي قد أثرت في قلوب المسلمين وأحدثت تحولا في مئات الآلاف منهم"

(1)رئاسة التحرير: "الأزهر يحظر كتابا لزعيم القاديانية"، الأحداث، العدد1275، 18 جويلية 2006، ص17.

وفي عددها الصادر بتاريخ 9 أكتوبر 1915 قالت جريدة "الفضل" القاديانية:" والواقع أن الحكومة البريطانية جنة لنا، ولاتزال الجماعة الأحمدية تتقدم إلى الأمام تحت ظلها، فإذا أزحتم هذه الجنة إلى جانب فستعلمون كيف ينزل على رؤوسكم مطر مخيف من السهام المسمومة، فلماذا لا نكون إذا شاكرين لهذه الحكومة وقد اتحدت مصالحنا مع مصالحها، وما هلاكها إلا هلاكنا، وما رقيها إلا رقينا، فحينما تتسع رقعة هذه الحكومة يبرز لنا ميدان جديد من ميادين نشر الدعوة"[1].

ولقد نالت هذه الفرقة الحظوة لدى الحكومة البريطانية، فكانت تظفر بنصيب الأسد من المناصب في الجيش والشرطة والمحاكم وسائر دوائر الحكومة، لأن الحكومة البريطانية كانت تعدها من الفرق الإسلامية، وبنفس هذه المعاملة عتم التعامل المسلمون في النواحى الاقتصادية كالتجارة والصناعة والزراعة[2].

إثر حرب الخليج الثانية حظر جامع الأزهر تداول كتاب يحمل عنوان "كارثة الخليج والنظام الدولي الجديد"، لكونه يروج للمذهب القادياني، والذي يتضمن خطابا للمؤلف- وهو الخليفة الرابع "مزار طاهر أحمد" مؤسس هذا المذهب- يسيء إلى رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، كونه يعتبر نفسه الموعود الذي بشر به رسولنا وأنه يتلقى الوحي من الله، وقد جاء في تقرير فحص الكتاب الصادر عن مجمع العلوم الاسلامية أن مصر تتعرض لحملات مكثفة لمثل هذه الأفكار الهدامة.

المطلب الثاني:أسباب انتشار القاديانية.

إن البشر ليسوا على درجة واحدة من الفهم والذكاء، ولا قوة الإيمان وضعفه، بل هم أصناف وأشكال: منهم الخامل، ومنهم المخادع، ومنهم من يحب المسكنة والذلة، ومنهم من يحب الرياسة والسلطة والشهرة، ولهذا فكل صائح يجد له صدى، وكل داع يجد له أتباعاً، مهما كانت دعوته

(1) عبد المجيد الغوري،القادياني والقاديانية دراسات وتحليل وعرض علمي،(بيروت، دار ابن كثير، 2000، ط1)، ص75.
(2) نفس المرجع، ص77.

خيرة أو شريرة؛ الخيرة يقبلها أهل الخير، والشريرة يتلقفها أهل الشر، والتافهة يتقبلها التافه من الناس وضعاف النفوس،والقادياني ودعوته الشريرة التافهة وجد لها من يتقبلها. والذي يهمنا هنا هو نظرة سريعة في الأسباب التي ساعدت على انتشار وباء القاديانية، ويمكن أن نوجز عناصر تلك الأسباب في الأمور التالية[1]:

جهل كثير من الناس بحقيقة الدين الذي ارتضاه الله، فأكثرهم مسلم بالتبعية والتقليد يتأثرون بكل دعوة ويقلدون كل صائح. وقوف الاستعمار إلى جانب هذه الدعوة الخبيثة وتأييده لها مادياً ومعنوياً لإدراكهم نتائجها في تحقيق أطماعهم في العالم الإسلامي.

وتحتضن الحكومة الإنجليزية هذا المذهب وتسهل لأتباعه التوظف بالدوائر الحكومية العالمية في إدارة الشركات والمفوضيات وتتخذ منهم ضباطاً من رتب عالية في مخابراتها السرية.

استغلال القاديانيين لفقراء بعض المسلمين، بمساعدتهم المادية ببناء المدارس والمساجد والمستشفيات، وتوزيع الكتب وإيجاد بعض الوظائف وغير ذلك.

نشاط القاديانيين وذهابهم إلى الأماكن النائية من بلدان المسلمين التي يكثر فيها الجهل والعامية.

تمويه القاديانيين على السذج من المسلمين، بأن القاديانية والإسلام شيء واحد، وأن القاديانية ما قامت إلا لخدمة الإسلام.

عدم قيام علماء الإسلام بالتوعية الكافية ضد القاديانية وغيرها من الطوائف الضالة التي بدأت تنتشر في هذا الزمن أكثر من أي وقت مضى، وبتخطيط أدق وأكمل عما مضى؛ إذ العالم اليوم من عز بز، ومن غلب استلب.هذه هي أهم الأسباب وربما توجد أسباب أخرى كثيرة ساعدت في نشر القاديانية في أماكن كثيرة من بلدان المسلمين.

(1) مانع بن حماد الجهمي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مصدر سابق، ص63.

ويطول المقام لشرح تلك الأسباب التي استغلها القاديانيون وحولوا كثيراً من المسلمين إلى ديانتهم، وأدخلوا كذلك كثيراً من غير المسلمين في القاديانية على أساس أنها هي الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله وأنزل به القرآن الكريم وأرسل به محمداً صلى الله عليه وسلم، بحيث لا يعلم الشخص مدى البعد بينه وبين الإسلام إلا إذا وفقه الله فأبصر واقع القاديانية.

على أنه وجد بعد ذلك نوع من اليقظة الإسلامية، ووجد علماء أوقفوا القاديانية عند حدها في بعض البلدان وكتبوا مقالات كثيرة، بل ووجد أيضاً من بعض من دخل القاديانية من المفكرين على أساس أنها هي الإسلام، ولكنه تبين له بعد ذلك أنها عدوة للإسلام فبدأ يهاجمها ويدعو إلى الإسلام الصحيح.

ومع هذا كله فقد انتشرت القاديانية في هذه الأيام وبدأت تستعيد أنفاسها في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي، مستغلين نفس الأسباب التي ذكرت آنفاً، والأمل في الله قوي أن يهيئ من عباده من يتصدى للقاديانية وغيرها من التيارات الهدامة المعاصرة، ويكشف زيفها ويبين خطرها على الإسلام والمسلمين وما ذلك على الله بعزيز.

ولولا أن خطة قوية وتياراً هائلاً لصرف أنظار الناس عن واقع هذه الفرق الخبيثة لانكشفت ولبان لكل ذي لب الخطر الذي يترصد العقيدة الإسلامية من جراء انتشار هذه الفرق التي تتظاهر بالإسلام لبناء عقائدها المنحرفة وأمجادها الزائفة، ولا أدل على نجاح تلك الخطة من انصراف عامة المسلمين –بل وطلاب العلم– عن معرفة هذه الفرق، التي يموج بها العالم الإسلامي في شتى الدول الإسلامية دون استثناء، فانظر–أخي القارئ الكريم– إلى أي اجتماع بين المسلمين، كبيراً كان ذلك الاجتماع أو صغيراً، وسواء كان المجتمعون طلاب علم أو عامة– لا تسمع أي حديث عن هذه الفرق وبيان أخطارها على الدين والمجتمع، حتى ليخيل لغير المتتبع لهذه الحركات الهدامة أنه لا

توجد بين المسلمين أي فرقة خارجة عن التدين الصحيح، ولهذا يرددون عبارة: المسلمون بخير دائماً[1].

إنّ للقاديانية نشاطات متعددة في سبيل نشر مذهبهم الباطل، وهم في دعوتهميتسترون بالإسلام ولا يفصحون عن اسمهم، بل يدعون أنهم مجددون للإسلام، ودعاة له، وقد ألفوا العديد من الكتب، وأنشأواالعديد من الصحف، كما عنوا بإنشاء المستشفيات، وبعث الإرساليات لنشر نحلتهم في العالم. ويستخدمون في دعوتهم منشورات تتضمن أفكاراً ثلاثة[2]:

1. أن مؤسس الدعوة غلام أحمد يشبه المسيح في دعوته .
2. أنه لا فرق بين الأديان السماوية إلا بالأفكار التي زرعها متعصبوا هذه الأديان.

كما أن لهم نشاطات أخرى؛ وهي بناء المدارس والمساجد، فقد بلغ عدد المدارس في أفريقيا حوالي 47 مدرسة كما تقدم،كما بلغ عدد المساجد التي بنوها في العالم حوالي 343 مسجداً، بنَوا في أمريكا وفي هولندا وسويسرا وبورما – كل بلد من هذه البلدان – مسجداً واحداً، وفي ألمانيا – ألمانيا الغربية – مسجدين، وفي سيلون مسجدين – وكذا الملايو – وفي الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثة مساجد، وفي بورنيو ستة مساجد، وفي موريشيوس عشرين مسجداً، وفي شمال أفريقيا أربعين مسجداً، وكذا في نيجيريا وفي سيراليون ستين مسجداً، وكذا في أندونيسيا، وفي غانا 161 مائة وواحداً وستين مسجداً،وهذه المساجد إنما أقيمت لتكون وكراً للقاديانية ومحلاً للتخطيط وحبك الدسائس على الأمة الإسلامية، وإقامة الزعامة القاديانية على حساب الإسلام، فهي أشبه ما تكون بمسجد الضرار الذي هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر ربه حينما بني على نية سيئة،يقول النجرامي: "فليتنا نعمل بهذه المساجد كما عمل الرسول صلى الله عليه وسلم

(1) لعواجي، فرق معاصرة، ص831/2.

(2) أسعد السحمراني، البهائية والقاديانية، ط2،2007 م ،دار النفائس ،ص152.

بمسجد الضرار، حتى لا تكون نقطة الانطلاق لهذه الحركة الضالة، تنطلق من خلالها للكيد للمسلمين وتفتيت وحدتهم وبذر الشقاق بين جموعهم"[1].

وكذلك للقاديانيين نشاط واسع في محاولة نشر عقيدتهم المنحرفة وبخاصة في أفريقيا، حيث لهم في إفريقيا أكثر من خمسة آلاف مبشر وداعية إلى دينهم المزيف، وقد قاموا بترجمة معاني القرآن إلى اللغات الإفريقية واللهجات الإفريقية المتعددة، وفقاً لعقيدتهم الباطلة.

ومن أبرز نشاطات الجماعة القاديانية في لندن أنها تمتلك قناة تلفزيونية خاصة، وقد وافقت الحكومة الإنجليزية على إنشاء هذه القناة الخاصة تقديراً لدور القاديانية في وقوفها إلى جانب الاستعمار الإنجليزي في الهند ودعوة القاديانية إلى إلغاء فريضة الجهاد الإسلامي، وهذه القناة التلفزيونية تبث بأكثر من خمسة عشر لغة مختلفة في أنحاء العالم منها اللغة العربية، وتغطي العالم كله برامجها الداعية لمذهبها الخارج عن الإسلام ومن العجيب أن اسمها القناة الإسلامية،وللقاديانية نشاط معروف مع الصهاينة، فقد أسس المركز القادياني في حيفا عام 1923م، ويضم المركز مكتبة عامة ومكتبة تجارية ومدرسة ومسجداً للقاديانية، ومقراً للبعثة القاديانية، وقام المركز بترجمة معظم مؤلفات مجلة شهرية باسم البشري باللغة العربية،ومن المعروف أن ميرزا بشير الدين محمود أقام في فلسطين سنة 1924م بعد صدور وعد بلفور سنة 1917م بإنشاء دولة إسرائيل في قلب فلسطين غير الأحمدي (أي القادياني) ومن المعروف أيضاً أن بشير الدين محمود أيد إقامة دولة عبرية صهيونية في فلسطين العربية[2].

ومما لا ريب فيه أن هذه الأعمال التي قام بها القاديانيون وهذا النشاط الذي أبداه هؤلاء في نشر باطلهم، يحتاج ضرورة إلى أعمال خيرة تقابله وتصده، وإلا لكان المجال مفتوحاً أمام هؤلاء الذين ازداد نشاطهم أكثر مما ذكر سابقاً، وزاد طمعهم في بلدان المسلمين، والاستحواذ على

(1)محمد يوسف النجرامي، أباطيل القاديانية في الميزان، ص106،108، لعواجي، فرق معاصرة،ص838/2.
(2)عامر النجار، القاديانية،ط1 ،2004 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،ص77،78.

شباب المسلمين، خصوصاً و الأوضاع الداخلية تساعدهم على ذلك كثيراً في ظل الحكام الذين هم رؤوس حراب فوق الشعوب الإسلامية،فإن كثيراً من حكام الدول الإسلامية لم يبق فيهم ما يتفاءل به الإسلام والمسلمون، لأنهم إن لم يبدأوه بالحرب كان أقل ما فيهم نحوه الاستهتار بمبادئه وإظهار الجفاء لتعاليمه والتقطيب في وجوه من يمثلونه؛ لأن هؤلاء لا يثمنون عند عتاة الكفر والإلحاد إلا بقدر ما يهدمون من تعاليم الإسلام،أما عن مواطن انتشارهم فإن معظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند وباكستان وقليل منهم في إسرائيل والعالم العربي ويسعون بمساعدة الاستعمار للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون فيه،ولهم مراكز في أمريكا، وأوربا، وأفريقيا، كما أن لهم مراكز متعددة منها مراكز في الكويت، والبحرين، ومسقط، ومصر، ودبي، والشارقة والأردن، وسوريا،ومركزهم الرئيس في باكستان في منطقة سموها الربوة، كذلك لهم معابد في ألمانيا في مدينة فرانكفورت[1].

المطلب الثالث:البابية والبهائية.

الفرع الأول: التعريف بالبابية والبهائية.

فرق انبثقت من الشيعة الاثني عشرية (الرافضة) ، فهي حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة 126هـ/1844م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، وموطنها الأول إيران وسميت بالبابية نسبة لأول زعيم لها والذي لقب نفسه بالباب وسميت بالبهائية نسبة لزعيمها الثاني والذي لقب نفسه بهاء الله،وقد ادعى كل من الباب والبهاء النبوة والرسالة ثم زعم كل واحد منهما أن الله قد حل فيه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا[2].

(1)محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب،ص310.

(2)ناصر القفاري وناصر العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة،ط1 ،1992 م،دار الاصمعي، ص156.

الفرع الثاني:تواجد البهائية.

تدعي بعض المصادر غير البهائية أنه من حيث العدد فإنّ أكبر تجمعات البهائيةيوجد في إيران لا أن أهم وجود لهم من حيث الفاعلية والتاثير هو في الولاية المتحدة الأمريكية حيث يبلغ عددهم مليوني شخص ينتسبون إلى ستمائة جمعية منها حركة شبابية مقرها نيويوركتسمى "قافلة الشرق والغرب"، ولكن المصادر البهائية تؤكد انهم يتواجدون في جميع أقطار العالم وان أكبر تواجد لهم هو في الهند وأمريكا الجنوبية. ويوجد لهم معابد في مختلف قارات العالم وتسمى هذه المعابد "مشارك الأذكار" ومنها معبدهم في مدينة ويلميتقرب مدينة شيكاغو في أمريكا، وفي مدينة نيودلهي في أمريكا الجنوبية وفي مدينة نيودلهى الهند، وفي مدينة سدني في أستراليا، ومدينة كمبالا في يوغندا، وفي مدينة بنما في دولة بنما، وفي لانغناهينقرب مدينة فرانكفورت في ألمانيا، ويقومون حاليا بأنشاء معبد جديد في أمريكا الجنوبية وجميع تكاليف انشاء هذه المعابد تغطى من تبرعات البهائيين وابواب هذه المعابد مفتوحة للزائرين البهائيين وغير البهائيين على حد سواء، وللبهائية وجود بسيط في معظم الدول العربية ومن ضمنها مصر حيث كان لهم العديد من المراكز والهيئات الإدارية فيها إلى الستينات من القرن العشرين بعد صدور قرار جمهوري قضى باغلاق هذه المراكز. ولقد نشرت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان بيانا مفصلا عن الوضع الحالي للبهائين في مصر على الوصلة التالية، وللجامعة البهائية العالمية ممثلا في الأمم المتحدة والهيئات الدولية المختلفة مثل اليونسيف واليونسكو وغيرها وتقوم الولايات المتحدة الأمريكية و أوربا بين الفينة والأخرى بإثارة قضيتهم تحت عنوان حقوق الإنسان وحرية المعتقد. ويمكن الاطلاع على موقفهم من القضايا المختلفة بزيارة موقع مقالاتهم وتقاريهم المتعلقة بنشاطاتهم في هذا المجال، والإحصائيات البهائية تشير إلى ان عدد البهائيين في العالم هو حوالي 6 ملايين نسمة، أما الإحصائيات غير البهائية فتقدر عدد اتباعه بين 4و 8 ملايين نسمة، كانت بدايات الدين البهائي في الامبراطوريتين الفارسية والعثمانية، ثم بدأ يتقبله العديد من سكان الغرب منذ بداية القرن العشرين ومن بعدها في حوالي الخمسينات من ذلك القرن ازدادت اعداد البهائيين في باقي بلدان العالم .وتتفق معظم

المصادر الحالية على ان تعداد البهائيين في الهند وافريقيا واميركا الجنوبية وجزر المحيط الهادي قد جاوز بكثير تعدادهم في إيران وباقي بلدان الشرق الأوسط والبلدان الغربية حيث كان انتشاره في الأول، ويذكر الكتاب السنوي التابع لموسوعة بريتانكا لعام 1992م هذه الاحصائيات:

الدين البهائي هو ثاني ديانة عالمية من ناحية الانتشار الجغرافي.

تواجد أتباعه في 247 دولة ومقاطعة في العالم.

أتباعه يمثلون 2100 عرق وأقلية قبلية.

ويقدر الكتاب السنوي لعام 2005م التابع لنفس الموسوعة أتباع الدين لبهائي بـ6 مليون نسمة وبأن كتبه مترجمة إلى أكثر من 800 لغة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الرابع:عبدة الشيطان وتأثيرها على المجتمع.

المطلب الأول:التعريف بعبادة الشيطان.

يمكن تعريف مصطلح " عبادة الشيطان" من خلال معنيين، عام وخاص، وهو كما يلي:

أولا: المعنى العام لعبادة الشيطان:

وهي تطلق على" كل عبادة لا يتوجه بها إلى الله تعالى[1]، فإن كل معصية لله تعالى، هي بمثابة طاعة للشيطان، أي عبادته، ولقد حذرنا الله تعالى من ذلك فقال سبحانه : ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ [2]أي لا تعبدوه، وذلك بأن تطيعوه في معصية الله[3]، كما أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام قال لأبيه، كما أخبرنا تعالى: يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا [4] رغم أن أباه وقومه كانوا في غالبهم يعبدون الأصنام، وهو ما يؤكد أن معنى عبادة الشيطان في هذا المقام هي الإستجابة إليه في عبادة الأصنام، فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به[5].

وهي أيضا تطلق على كل ما هو وثني وحيواني وغريزي عرفه الإنسان، بدءا من الصورة الوثنية للقوة التي تحكم العالم، مرورا بالوضاعة والحسية، والجنس الحيواني الذي لا يعرف ضوابط أو محاذير"[6].

(1) الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من الباحثين،ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، 1999م، ص 72 .

(2)سورةيس، الآية60.

(3)القرطبي، جامع البيان، ج2ص25.

(4)سورة مريم، الآية44.

(5)ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ج3،ص123.

(6)خليل حسونة،حول الحكات الهدامة،ط1، 2005م،مكتبة اليازجي، غزة، ص250.

ثانيا: المعنى الخاص لعبادة الشيطان:

تعددت عبارات الباحثين في التعريف الخاص لهذه الظاهرة، لكنها التقت في كونها تعكس صور الولاء والطاعة والتأليه للشيطان، ومن أهم هذه التعريفات:

1. كما جاء في الموسوعة العربية العالمية بأن عبادة الشيطان هي"ممارسة تأليه العفاريت أو الأرواح الشريرة التي انتشرت في عصور الخرافات والجهل"[1].
2. عبدة الشيطان هم جماعة لديهم طقوس خاصة، يتقربون بها إلى الشيطان، وينظرون إليه على أنه قدوتهم في التمرد والعصيان والعيش للجسد[2].
3. عبدة الشيطان قوم اتخذوا مع إبليس –لعنه الله–معبودا، ونصبوه إله يتقربون إليه بأنواع القرب، واخترعوا لهم طقوسا وترهات سموها عبادات، يخطبون بها وده، ويطلبون رضاه[3].

المطلب الثاني: عبادة الشيطان حديثا.

الفرع الأول: التأسيس:

يرى البعض أن عبدة الشيطان جماعة من المغرقين في الإنحراف من غير أن يكون لانحرافهم أي سند فكري يستندون إليه، والحقيقة أن هذا الانطباع غير صحيح، فجماعة عبدة الشيطان جماعة منتشرة في العالم وبخاصة العالم الغربي في أميريكا وروسيا وأوروبا، ولهم دور للعبادة عديدة، بل إنه في أمريكا وغيرها جماعة معترف بها وتتبقى مساعدات رسمية كغيرها من الأديان.

واختلف المؤرخون في بداية ظهور عبادة الشيطان في الغرب، فذهب بعضهم على أن بدايتها كانت في القرن الأول الميلادي عند (الغنوصيين) وهم قوم اعتقدوا أن الخلاص يأتي عن طريق المعرفة الروحية لا عن طريق الإيمان والأعمال الصالحة، لذا أطلق عليهم مذهب العرفان[4].

(1) الموسوعة العربية العالمية،مرجع سابق، ص72/16.

(2) عبدة إبليس،www.palestinianforunm.net

(3)عبدة الشيطان، www.islamweb.net

(4)حمد حسن المبارك، النحلة الشيطانية، 2011م.

و لزيادة رقعة هذه المعرفة أدخلوا السحر والشعوذة في تعاليمهم، وكانوا ينظرون إلى الشيطان على أنه مساو لله في القوة.وذهب بعض المؤرخين إلى أن عبادة الشيطان ظهرت عند (فرسان الهيكل) وهي فرقة نصرانية عسكرية أنشأتها الكنيسة عام 1118 م في القدس لحماية الحجاج النصارى إبان الحروب الصليبية، ولكنهم تحت وطأة الثراء الفاحش قاموا بارتكاب الموبقات وسفك الدماء وممارسة السحر والشعوذة وهو الذي قادهم في نهاية الأمر إلى عبادة الشيطان[1].

ولكن أقدم وثيقة وجدت لعباد الشيطان ترجع إلى عام 1022 م في أورلنس بفرنسا، حيث حوكم عدد من الأفراد لاشتراكهم في طقوس غريبة، والذي جعل لهذه المحاكمة وضعها الخاص في أورلنس هو اتهام هؤلاء –ولأول مرة– بعبادة الشيطان، والتغني بعبادة الشيطان وإقامة الحفلات الجنسية الصاخبة، والتضحية بالبشر وخاصة الأطفال وأكل لحومهم. واستمرت مثل هذه المحاكمات حتى بداية عصر النهضة الأوروبية[2]، بعد ذلك بدأت هذه النحلة في الإختفاء تدريجيا، إلا أن بعض المراهقين من طبقة النبلاء أطلقوا على أنفسهم عباد الشيطان وذلك على سبيل الهواية، فأنشأوا ناديين سمي الأول (الملاعين) والثاني (أبناء منتصف الليل) واقتصر نشاطهم على التجول ليلا فوق ظهور الجياد، وتخويف المواطنين، وإقامة الحفلات الصاخبة[3].

وما إن جاء القرن التاسع عشر حتى بعثت هذه النحلة مرة أخرى على يد ساحر انجليزي يدعى (أليستر كرولي) (1875 – 1947م) والذي يعد الأب الروحي لعباد الشيطان المعاصرين، وهو بريطاني حصل على الجنسية الأمريكية فيما بعد وتخرج من جامعة كامبريدج، فظهرت دعوة للإباحية والتقرب إلى الشيطان، بل وعبادته وتقديسه.

(1)يوسف البنعلي، عباد الشيطان أخطر الفرق،ط2004،2 م، نشر المكتب الإسلامي،ص 77، محمد حسن المبارك، النحلة الشيطانية، 2011م.

(2)يوسف البنعلي، عباد الشيطان أخطر الفرق،مصدر سابق،ص 77.

(3) نفس المصدر ، ص 78،79.

ورغم ولادته من أسرة محافظة إلا أنه مال إلى الشهوات، وكان يكره الكنيسة، وقد انغمس في الشذوذ ودخل في جمعية سرية تدعى" العهد الذهبي" كانتتضم شعراء وأدباء، مارس" كرولي" معهم علاقات جنسية شاذة، مع أعمال السحر والشعوذة[1].

وفي عام (1900 م) انسحب كرولي ليؤسس جمعية جديدة تسمى " النجم الفضي"، وبدأ يتجول داعيا إلى عبادة الشيطان وإلى الإستسلام للشهوات[2].

كانت دعوة كرولي الأساس الذي انطلق منه المؤسس الحقيقي لهذه النحلة وهو يهودي أمريكي اسمه" أنطوان شيلدز لافي" المولود عام 1930م.

أن تربية "لافي" ساعدته على تأسيس نحلته، فقد عمل في ترويض الحيوانات، ثم في ملهى ليلي، ثم انظم إلى عرافين ومنجمين مارس من خلالهم السحر والشعوذة، وبعدها التحق بكلية درس فيها علم اجتماع الجريمة، بعد هذه الجولة انتهى به الحال إلى إعلان نحلته:" عبادة الشيطان" وكان ذلك في عام 1966 في ولبرجستجت في أوكلاند بولاية كاليفورنيا.

أما الاسم الذي أعلنه لمنظمته فهو" كنيسة الشيطان" وسمى كتابه المقدس – حسب زعمه – الانجيل الأسود[3].

وقد أصدر "لافي" كتابا في 1970 موضوعه: " أسرار الشعوذة والسحر والعرافة" وفي عام 1972 أصدر كتابا عنوانه" التعذيب من أجل الشيطان".

ولكن الانتشار الواسع لهذه النحلة في الولايات المتحدة الأمريكية أدى إلى حصول انشقاقات في أتباع هذه النحلة، منها في عام 1975 وكان على يد" ميشيل أكينو " وفي عام 1980 على

(1) ممدوح الزوبي ،عبدة الشيطان: تاريخهم ومعتقداتهم، المكتبة الثقافية،1998م ،بيروت، ص 17،18.
(2) نفس المصدر،ص 17 ، 18.
(3) أسعد السحمراني ،البهائية والقاديانية، مصدر سابق ،ص43 ،44.

يد ميشيل سميث، الذي كتب كتيبا يشرح فيه الشذوذ والإيذاء الجنسي بشكل مقزز[1]، وتوالت حالات الانشقاق ومعها الانتشار في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها.

وفي السنوات التالية تشكلت أعداد أخرى من الكنائس" الإبليسية" واتخذت شعارات مضادة لعبارات الإنجيل، ومؤخرا بدأت هذه الممارسات تزدهر علنا في دول أوروبية كثيرة، ففي انجلترا مثلا هناك تسعة ملايين شخص ينتمون إلى كنائس الشيطان – ومثلهم تقريبا في ألمانيا وإيطاليا.

وفي فرنسا هناك مجلة وبرنامج خاص لعبدة الشيطان تقدمه عرافة تدعى" مدام سولي" وفي سويسرا وإيطاليا وألنمسا يمارس آلاف الأشخاص بانتظام ما يسمى بالقداس الأسود عند اكتمال البدر.

كما أعلن المتحدث الرسمي للجيش البريطاني مؤخرا تعيين الرقيب البحري كريس كرانمر رئيسا للطائفة الشيطانية، وهذا الاعتراف يعني أحقية الأعضاء في هذه الطائفة بممارسة شعائرهم الدينية وإقامة صلواتهم الخاصة – بل ودفن موتاهم من خلال طقوس شيطانية خاصة[2].

الفرع الثاني: الأصول الفكرية .

لعباد الشيطان أفكار اعتنقوها وجعلوا منها عقيدة يدينون بها ، وهذه الأفكار عبارة عن رؤية للكون والإنسان والشيطان، فالكون عندهم أزلي أبدي، والإنسان صورة مصغرة منه، وهم يدعون أن الحياة التي نعيشها (حياة الجسد والدم) ما هي إلا سلسلة لا تنتهي من حلقات الحياة، الجسد، النفس،الذات،العقل،الروح ...الخ، وعلى الانسان أن ينطلق رقيا في هذه الحلقات، ويرون أن الترقي لا يكون من المنزلة الأحط إلى المنزلة الأعلى إلا عن طريق إشباع المنزلة الأحط برغباتها وشهواتها حتى الشاذ منها، فلا شيئ اسمه خطيئة، ولا شيئ اسمه شر ومنكر، فكل ما يحقق شهوات النفس ورغباتها هو مطلوب عند عباد الشيطان حتى يصل لهم الرقي في درجاتهم المزعومة.

(1)أسعد السحمراني ،البهائية والقاديانية،، مصدر سابق ،ص 43 ، 45.

(3)محمد حسن مبارك، النحلة الشيطانية، 2011م.

وبعد العقيدة الفاسدة يأتي دور قواعد السلوك، فهي عندهم حالة تحلل وبعد عن الصواب، ومعاكسة للقيم السامية، حيث حقوق الشياطين – حسب أليستر كرولي – مجموعة من إنكار كل قيمة أو ضابط أخلاقي،ودعوة لكل فساد أو مزاجية سلوكية تنحط بصاحبها إلى ما هو أكثر شرا مما عليه الحيوانات، وحقوق الشياطين حسب أليستر كرولي هي:

1. للإنسان الحق في أن يعيش على مزاجه الخاص.
2. للإنسان الحق في أن يعيش بالطريقة التي يريدها.
3. للإنسان الحق في أن يلهو كما يريد.
4. للإنسان الحق في أن يرتاح كما يريد.
5. للإنسان الحق في أن يموت في الوقت الذي يريد.
6. للإنسان الحق في أن يأكل ما يريد.
7. للإنسان الحق في أن يشرب ما يريد.
8. للإنسان الحق في أن يسكن أينما يريد.
9. للإنسان الحق في أن يلبس ما يريد.
10. للإنسان الحق في أن يتحرك كما يريد، وأن يفكر كما يريد، وأن يتكلم بما يريد.
11. للإنسان الحق في أن يحب كما يريد، وأن يمارس الجنس كما يريد.
12. للإنسان الحق في أن يقتل أولئك الذين يقفون عائقا أمام تحقيق هذه الحقوق.
13. الجنس هو القانون ولكنه تابع للإرادة الفردية[1].

(1) أسعد السحمراني ،البهائية والقاديانية،المصدر السابق، ص 47، 49.

إن فلسفة عباد الشيطان تقوم على قاعدتين أساسيتين: الأولى إطلاق الإنسان العنان لشهواته وملذاته، لأن الهدف الأساسي لديهم هو إشباع الرغبة الجنسية إشباعا تاما بغض النظر عن الطريقة.

أما القاعدة الثانية فتقوم على أساس تساوي المتضادات، بمعنى أن الشخص لابد أن يتساوى عنده الحب والكره والخير والشر والماديات والروحانيات والحرية والعبودية والألم.

وعليه فلا أثر للموت بأي طريقة كانت حرقا أو انتحارا لأن الموت في نظرهم ما هو إلا وسيلة للانتقال من درجة إلى أخرى، لذا فهم لا يتورعون عن القتل وسفك الدماء، بل يعدون قتل البشر – ولاسيما الاطفال لأنهم الأطهر – هي القرابين الأفضل للتقرب إلى الشيطان.

وغايتهم من عبادة الشيطان الدخول إلى ما يسمونه (عالم النور) وذلك عن طريق الدخول في حالة من النشوة والكمال، أو الصفاء الذهني، وللوصول إلى هذه الحالة يستخدمون الموسيقى والخمور والمخدرات والعقاقير والممارسات الجنسية الطبيعي منها والشاذ أيضا، الفردي والجماعي.

ولعباد الشيطان مراتب يرتقون فيها، تبدأ من المرتبة الأولى التي لا يدخلها العضو الجديد إلا بعد اجتياز اختبار مقزز ومنفر، وهكذا كل درجة لا ينالها العضو إلا باختبار، وكل اختبار أصعب من الذي قبله حتى يصل إلى المرتبة السابعة التي لم ينلها إلا عدد يسير منذ سنة 1745م[1].

أما نظرة عباد الشيطان إلى معبودهم (الشيطان) فهم يرون أن الشيطان يمثل الحكمة ويمثل الحياة الواقعية لا حياة الأوهام والخيال، ويمثل كل الخطايا والسيئات التي تعود إلى الإشباع الجسدي والفكري، والشيطان يمثل كذلك الانتقام لا التسامح، لذلك فهم يتخلقون بأخلاقه ويقصدون سلوك طريقه.

ويمثل المعبود الرئيسي عند جماعة (عبدة الشيطان) وسبب ذلك أنه مظلوم، والواجب يقضي أن يقفوا إلى جانبه، والشيطان – عندهم – من الملائكة وليس من الجن، فهم يعلنون تمجيدهم له،

(1)يوسف البنعلي، عباد الشيطان أخطر الفرق،مصدر سابق،ص 87.

لأنهم يرونه أشجع من في الكون، فقد وقف أمام من لا يستطيع أحد الووقوف أمامه، فهم لا يدركون أن تمرد إبليس كان بإرادة الله تعالى الكونية وهو تعالى من خلقه بإرادة الاختيار بين الطاعة والعصيان[1].

ومن أفكارهم المساواة بين المتضادات من الحب والبغض والخير والشر، والماديات والروحانيات، والألم والسرور، والحزن والفرح، وعلى عابد الشيطان أن يستميت لكي يحقق هذا التوازن بين تلك المتضادات، وهو أمر عسير على النفس، لأنه محاولة لتغيير خلق الله عز وجل، وما جعل الله لبشر سبيلا لتغيير خلقه.

الفرع الثالث: العبادات والطقوس

إن المطلع على تركيبة جماعة عباد الشيطان يجد أن عبادة الشيطان أصبحت دينا يلتزم به، له شعائره وأعياده، وله أفكاره ومعتقداته، ولأتباعهم لباسهم وشعاراتهم التي يلتزمون بها ويحافظون عليها.وهذه الطقوس والممارسات يؤدونها في جميع الأدوار، منذ دخول أي فرد إلى جماعتهم وحتى نهايته أو انغماسه معهم حتى النخاع، وهي على شكلين: طقوس التعميد أو الدخول إلى الجماعة أما الثاني وهي طقوس الممارسة أو ما يطلق عليها القداس الأسود.

وفيما يلي تفصيل هذه الطقوس وبيان أعيادهم وبقية طقوسهم.

أولا: طقوس الراغب في الانضمام إلى عبدة الشيطان:

يحرص عبدة الشيطان على استقطاب أكبر عدد ممكن من الشباب للانضواء تحت هذه النحلة الفاجرة، وهم حريصون على نشر أفكارهم المنحلة والدعوة إليها، فينشئون المواقع الإليكترونية، وينشرون الكتب، ولهم مجلات ونواد وفرق موسيقية تغني بأفكارهم.

يبدأون في استقطاب أعضاء جدد إلى الجماعة عن طريق دعوتهم إلى حفلات رقص وجنس من غير أن تظهر في تلك الحفلات مظاهر عبادة الشيطان، ثم يحاولون أن يختاروا من المدعوين من

(1)يوسف البنعلي، عباد الشيطان أخطر الفرق،مصدر سابق ،ص 87،89.

يرون إمكانية انظمامه إليهم، يحاولون تعريفه بالجماعة ويكشفون له شيئا من أسرارها، فإن أحب الانضمام إليهم عرضوه لاختبارات قاسية حتى يختبروا ولاءه وأنه لم يرد الدخول لنزوة أو شهوة، كأن يأمروه بقتل والديه، أو ممارسة أفعال قذرة، فإن نجح ضم إلى الجماعة في احتفال مهيب، حيث يقف الكاهن أمام المذبح الذي حفت به الشموع السوداء، وقد ارتدى معطفا أسودا، ويأتي العضو الجديد في معطف أبيض اللون ثم يقوم بخلع ملابسه، ويجثوا على ركبتيه أمام المذبح عاريا، وبذلك يتم التوحد بين الأعضاء حسب زعمهم[1].

بعد إجراء هذا الاحتفال يصبح العضو سميا في هذه الجماعة، ويبدأ بلبس شعاراتهم وثيابهم وما إلى ذلك، ولكن العضو إذا انظم إلى هذه الجماعة كان من الصعب عليه الانسلاخ منها، لأنهم يمارسون عليه كل أصناف الإرهاب خشية أن يكشف ممارساتهم التي يحضرها القانون من القتل والاغتصاب، بل ربما حاولوا قتله للتخلص منه.

ثانيا: القداس الأسود:

تحرص هذه الجماعة على تسمية الكثير من طقوسهم وما يتعلق بها بأسماء نصرانية، فهناك كنيسة الشيطان، والإنجيل الأسود، والمذبح والصليب والقداس، هذا في إطار الأسماء أما في إطار الطقوس فهناك تشابه أيضا،كالتعميد[2]؛ حيث يتم التعميد عند النصارى بالماء، في حين يتم التعميد عند عبدة الشيطان بالقاذورات من بول ودم وغائط[3].

(1)يوسف البنعلي، عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة ، ص ص 90، 94.

(2) الاعتماد أو التعميد، ويسمى كذلك الاصطباغ: هو التغطيس في الماء بقصد التوبة(الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1420 هـ،ص 2/ 1013.

(3)الباش حسن، عبدة الشيطان وحركات انحرافية أخرى، ط2،1424هـ، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، ص84.

والصلاة عند عبدة الشيطان تتم كذلك كصلاة النصارى حيث تبدأ بقراءة فقرات من كتاب الشيطان مصحوبة بموسيقى، ويرجع البعض هذا التشابه كنوع من الانتقام من النصرانية التي عاقبت السحرة وعباد الأوثان وأذاقتهم ما يستحقون من عقاب[1].

ويبدأ القداس الأسود الاعتيادي بالذهاب إلى غرفة مظلمة جللت بالسواد وأنارت بعض جوانبها شموع سوداء، وبها مدفئة تعلوها نجمة سداسية وبالقرب منها يوجد المذبح وهو مغطى بقماش أسود، تستلقي عليه فتاة عذراء عارية تماما يعلوها صليب مقلوب، وهي تعد رمزا للرغبات الجنسية، ثم يتقدم الكاهن الشيطاني أمام المذبح مرتديا معطفا أسود اللون، مع قلنسوة يغطي بها رأسه، وبها قرنان صغيران، فيبدأ بقراءة الصلوات بلغة لاتينية أو انجليزية مقلوبة، ويصاحبها عزف موسيقي[2].

ثم يأتي العضو الجديد في معطف أبيض اللون ثم يقوم بخلع جميع ملابسه، ويجثوا على ركبتيه أمام المذبح عاريا بعد ذلك يجرح يده ويجمع الدم في قدح من الفضة ويدار على الأعضاء ليشربوا منه وبذلك يتم التوحد بينهم حسب زعمهم.

أما الطفل فيعمد بحضور الكاهن أو مساعده، ويشترط في الكاهن أن يكون حافي القدمين لابسا ثوبا أبيض ولا شيئ تحته، ويكون بجانبه وعاء به شيئ من تراب وقليل من ماء البحر ومبخرة بها الفحم والبخور وبعض التعاويذ[3].

وهذا اللقاء يطلق عليه عندهم "القداس الأسود" وهو يشبه إلى حد كبير القداس الكاثوليكي والقصد منه ليس عبادة الشيطان فحسب وإنما

أولا: إطلاق العنان للقوى الشيطانية والسحرية كي تسيطر على المكان،

(1)يوسف البنعلي، عباد الشيطان أخطر الفرق،مصدر سابق ،ص 98.

(2) نفس المصدر، ص 99.

(3)يوسف البنعلي، عباد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة ، ص 90،91.

ثانيا: سب الله -عز وجل-بالألفاظ البذيئة ونعته بالصفات الرذيلة والسخرية منه[1].

المطلب الثالث:انتشار عبدة الشيطان في الوطن العربي:

أسباب انتشار عبدة الشيطان بالوطن العربي إلى أمور سبعة، نوجزها هنا؛ ليظهر لنا جانب من أسباب تلك الطاعة العمياء للشيطان:

1- سياسة تجفيف المنابع، التي ازداد أُوارها بعدَ عملية السلام مع العدو الصّهيوني، حيث انبثق عنها ما يعرف بعمليات تطبيع العلاقات مع اليهود، والتي استتبعت غربلَةَ المناهج الدراسيَّة، وإجراءَ كثير من التعديلات، والحذف لصالح هذا التوجُّه، فضلاً عمَّا هو موجود أساسا، من تحجيم لمواد التربية الإسلامية.

2- دور الإعلام المتواصل عن طريق وسائله المنوَّعة في إثارة نزوات الشباب من الجنسين، وإشغالهم بالفكر الهابط الرديء، والأغاني الماجنة، والأفلام الخليعة، وترويج الكُتَّاب اليساريين للأفكار المنحرفة في المجتمعات الإسلامية.

وقد اعتبر أنَّ من إرهاصات فكْر عبادة الشيطان في بلادنا، المحاضرة التي ألقاها في بيروت الشيوعي السوري د. صادق جلال العظم سنة 1996 بعنوان "مأساة إبليس"، دعا فيها إلى ردّ الاعتبار لإبليس، وهي المحاضرة التي ساقته إلى المحاكمة التي تراجع أمامها؛ لينجو من العقاب، وهو تراجعٌ كاذب، وقد ضمنها من بعد كتابه "نقد الفكر الديني".

3- سوء استغلال شبكات الاتصالات الحديثة (الإنترنت)، والتي تحتوي على برامج تروّج لمثْل هذا الفكر المنحرف، خاصَّة وأن شبكة الإنترنت، هي الوسيلة الأهم لنشْر أفكارهم، والتواصل بين الأتباع، ولهم على هذه الشبكة أكثر من ثمانية آلاف عنوان.

(1) المصدر نفسه، ص 90.

4- تحجيم التوعية الإسلامية، من برامج ومحاضرات وندوات، عن طريق العلماء والدُّعاة، ولا سيَّما في الجامعات والنوادي، والمراكز التربوية، بدعوى أنَّ لمن يلقونها أهدافًا غير مرضيٍ عنها.

5- الحياة المترفة والمنفلتة، التي تعيشها أُسَر هؤلاء الشباب، بكل ما تعنيه الكلمة من معنًى، من شيوع التبرُّج والسفور، والاختلاط بين الجنسين، وترك مسؤولية تربية الأبناء للخدم، أو للمدارس الداخلية، والتي عادةً ما تكون أجنبيةَ الولاء.

6- المدارس المختلطة بين الجنسين في كثير من الدول العربية، وخاصَّة الجامعات، ووضع المناهج المختلطة، ووصول الأمر إلى تدريب هؤلاء الشباب من الجنسين، في دورات ومعسكرات مختلطة، لا شكَّ أنها وسيلةٌ لإشاعة الفاحشة بينهم.

7- السياسة الأمنية المتطرفة، حيالَ الاتجاهات الإسلامية في بعض الدول العربية، والتي لا تُفرق بين صالح وطالح، ولا بين معتدلٍ وغالٍ.

8- تسخير وسائل الإعلام والثقافة والفن كافَّة؛ لنشر أفكار عَبَدة الشيطان، وجعلها مستساغةً عند المسلمين، ومن ذلك نشر وسائل الإعلام الغربية لأفلام تتحدَّث عن مصَّاصي الدماء، وأشخاص ذوي قُدرات سحريَّة؛ ليغروا الشباب بامتلاكها إن وجدت، مثل فيلم الغراب " the crow"، ومسلسل "بافي"، و"إنجل"، و"بلايد" و"إندر" و"ورد" وغيرها، وللأسف تساهم كثير من الفضائيات العربية في نشر مثل تلك الأعمال[1].

وقداشتهروا في مصر في أواخر سنة 1996م، وأوائل سنة 1997م، لَمَّا قبضت الشرطة على نحو 140 فردًا منهم، من الذُّكور والإناث، كانوا جميعًا من أولاد الطبقة الغنية، تتراوح أعمارهم بين 15و24 سنة، وأنهم من خريجي المدارس الأجنبية، ولا يعرفون شيئًا عن الإسلام برغم أنَّهم -في الأصل -مسلمون.

(1) وائل بشير، الشيطان،خطواته وغايته، مجلة الراصد، العدد(1)، ص51.

وعبادتهم للشيطان –كما ذكر هؤلاء الشباب لأساتذة الأزهر الذين ناقشوهم– إنما لأنَّه رمز للقوة والإصرار،ولكلِ ما هو لذيذ، وينبغي اقتناؤه وحيازته، ولم تكن أخلاقيات التوراة والإنجيل والقرآن، إلا لتكريس الضَّعف، وحماية الضعفاء، وهؤلاء الأولاد يريدون القوَّة، وأن يُشكّلوا النظام التربوي من جديد، ويعيدوا النظر في أهداف التعليم، ويقيموا العلاقات بين الناس وفق مذهب اللذَّة والمنفعة، ويقنّنوا للحرب التي هدفها الاستعلاء والاستكبار، وسيادة الجنس الأقوى، والفرد الأقوى.

وهؤلاء الجماعة ليسوا ناديا ليليًّا، أو مضحكة يلهو بها الضاحكون، وإنما هم مجتمع رسالة، هدفُهم تحصيل البديل للدافع الدّيني المعاصر، بأن تكونَ لهم القوة الشيطانية، والقدرات الشيطانية، والذكاء الشيطاني.

وواضحٌ من أقوال معلّمي الجماعة الذين ناقشهم علماءُ الأزهر: أنهم يعتبرون عبادةَ الشيطان هي الموضة الجديدة، أو صرعة التسعينيات، مثلَّما كانت "الوجودية" صرعة الخمسينيات، و"الهيبيز" صرعة السبعينيات.

ويؤكّد معلّمو الجماعة في مصر: أنَّ عبدة الشيطان ليسوا من الخاملين، فهم موهوبون ومبدعون، وليسوا منحرفين، ولكنَّهم يمارسون الحياةَ من غير قيود الأخلاقيّين، وعبدة الشيطان في مصر يستمدُّون أفكارهم كذلك من كتاب "الإنجيل الأسود"، المطبوع في إسرائيل خصّيصًا لبلاد الإسلام، وكانتْ أول مجموعة تم القبض عليها من المترددين على منفذ طابا.

وأكّدت التحقيقات: أنَّ أفراد الجماعة يبلغ في مصر "2000" عضو، منهم مذيعات، وأبناء فنانين وموسيقيّين كبار، وتبيَّن أنَّ هناك محلاَّت متخصّصة في ملابس عبدة الشيطان، وفي موسيقاهم، وأنديةَ خاصَّة، ومطاعم تستقبلهم وتخصُّهم.

ويقول فهمي هويدي: إنَّ من أسباب سقوط الشباب المصري المسلم: غياب المشروع الوطني الذي يستثير حماس الشباب، والفراغ الشديد الذي يعانون منه، والجدب السياسي، وانعدام

النشاط الطُّلاَّبي والتربية في المدارس، وتدهور الثقافة الدِّينيَّة، وتغيير منظومة القيم في المجتمع، وصدارة قيم الوجاهة، والثراء والكسب السريع، واشتداد حملة التغريب، والإصرار على هتك الهُويَّة، واقتلاع الجذور، والانقطاع عن الأصول، وتخبُّط الخطاب الإعلامي، واجتراء البعض على المقدَّس، والتركيز على الأمن السياسي دون الأمن الاجتماعي، وتأثيرات الوجه السلبي لثورة الاتصال.

وفي رأي الدكتور عبد الوهاب المسيري: أنَّ إبليس في عبادة الشيطان، ليس كائنًا له قرون وذيل، وإنما هو يتمثَّل في فكرة إنكار الحدود، وإعلان الذات والإرادة، وهي فكرةٌ محورية في الحداثة الغربية، ظهرت في الرؤية الداروينيَّة الاجتماعيَّة، وفلسفة نيتشه، التي تهاجم العطف والمحبَّة، والعدلَ والمساواة، باعتبارها أخلاقَ الضعفاء، والعالَم في منظورها ليس سوى خلية صراع، لا يوجد فيه عدلٌ أو ظلم، وإنما فقط قوَّة وضَعْف، ونصْر وهزيمة، والبقاء ليس للأفضل، وإنما للأصلح من منظور مادي؛ أي: للأقوى.

وإذًا، فهناك مطلَق واحد، هو إرادةُ الإنسان البطل القوي المنتصر؛ الإنسان المتألِّه؛ أي: الشيطان بالمعنى الفلسفي، وعبادة الشيطان من أنماط الغنوص، أو العرفان الفلسفي، الذي يُعجب الذين يعانون الفراغ الرُّوحي، والفلسفي والنفسي، والعبادة الإبليسية هي عبادةُ الذات، وهي قَبول النسبي، والغَوْص فيه دون بحْث عن ثوابت، وهي ميتافيزيقا كاملة، ولكنَّها متجسِّمة في المادة داخل الطبيعة والزمان، فهي عبادةٌ لشيء حقيقي ملموس، وهذا هو جوهر العبادات الجديدة، التي تجعل الإله ماديًّا يمكن الإمساكُ به، ومن ثَمَّة فهي وثنية جديدة، كما أنَّ الإيمان هنا لا يُحمِّل الإنسان أية أعباء أخلاقية، فهو لا يضطرَ لكبح جماح ذاته، وإنما يطلب منه أن يُطلق لها العنان.

ولذلك، فليس غريبًا أن تأخذ هذه العبادة شكل ممارسات جنسيَّة، فهي تعبيرٌ عن تمجيد الذات، وتعظيم اللذَّة، ورفض المعايير الاجتماعيَّة، كما أنَّها تعبيرٌ عن فلسفة القوة والإرادة، وهي القيم السائدة حاليًّا.[1]

(1) بليل عبد الكريم، عبدة الشياطين: فصيل الماسونية النورانية، مقال نشر بتاريخ: (10-4-1431هـ/26-3-2010)

خلاصة واستنتاج: ومن التحديات المصاحبة للعولمة التي أثرت على الخطاب العقدي هي المنظومات الفلسفية القديمة المتجددة:

1. العلمانية في ثوبها القديم الجديد بإبعاد الدين عن الحياة وعن جميع المنظومات.
2. الاستشراق المعولم وهو تكوين الجيش من أبناء المسلمين لإعادة إحياء سموم المستشرقين والانتصار لها على حساب الخطاب الديني الوسطي.
3. إحياء المادية (الإنسان والطبيعة) وإلغاء القيم الروحية (الله، الإنسان) وبذلك تشجيع للإلحاد وتأسيسا له في المجتمعات الإسلامية.

إن العولمة تمثل ذلك التحالف اليهودي البروتستانتي من أجل تأسيس للصهيونية العالمية وتشجيعا للتنصير وإخراج الناس من دينهم وحماية الأقليات الدينية من أجل إضعاف المسلمين وتهديد هويتهم للحفاظ على الهويات الأخرى.و العولمة في جانبها الخفي تمثل الإرهاب العالمي ومساندتها لإسرائيل وإعلان الحرب بالوكالة على المسلمين في كل أصقاع العالم يمثل الوجه الحقيقي للعولمة ووسم الحركات التحررية بالإرهاب كحماس مثلا وهو من سياسة الكيل بمكيالين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس: آليات حماية وتفعيل الخطاب العقدي

المبحث الأول: الأمن الفكري والتحصين الحضاري.

المبحث الثاني: الاستثمار في الإنسان

المبحث الثالث: إعادة بناء الرؤية المعرفية الإسلامية

الفصل الخامس:آليات حماية وتفعيل الخطاب العقدي–بين التحصين والمراجعة –

فالعولمة التي يروج لها حاليا خاصة في المجال الثقافي والفكري، وهذا هو مجالها الحقيقي تفرض علينا أفكارا تعد إيديولوجيا جديدة هدفها سلب ما تبقى من جهازنا المناعي الفكري الأصيل وتحطيم كل خصوصية ثقافية أو اجتماعية وفرض النظام الاقتصادي الليبرالي، بحجة فتح الأسواق الوطنية أمام التبادلات الحرة[1].

إن الشعوب المفتوحة التي تستورد الأفكار والثقافات والإيديولوجيات من الغرب والشرق، وتستهلكها كما تستهلك المواد الغذائية، والصناعات من هذه البلدان، ولا تنتج أفكارها ومعارفها ونظامها، ولا تصنع ثقافتها وإيديولوجيتها الوطنية، وقيمها الروحية والحضارية لتحصين نفسها وحماية أبنائها، تظل عرضة لكل الاتجاهات والاحتمالات ولقمة صائغة للسلبيات وبؤرة لكل التحولات.

فما هي المناهج والوسائل الجادة للحماية والتحصين لإعادة بعث وإقلاع الأمة الحضاري؟

المبحث الأول: الأمن الفكري والتحصين الحضاري:

المطلب الأول: مفهوم الأمن الفكري:

أغلب تعريفات الأمن الفكري تدور حول تأمين العقل البشري ضد أي نوع من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال.وقد حظي المركب اللفظي بالاهتمام حديثا في ظل فوضى العولمة وما صاحبها من التطورات، الأمر الذي أدى إلى انفجار معرفي وانفتاح ثقافي، حيث انتشرت الثقافات المتعددة التي نتج عنها تداخل في المعتقدات المتعارضة، فأدت إلى تهديد الخصوصيات الثقافية ومحاولة طمس الهوية الفكرية في المجتمعات.وإن المتتبع لما كتب عن

(1) الأمن الفكري ودور مؤسسات المغرب العربي في إرسائه، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2010، ص 36.

مفهوم الأمن الفكري يجد أن معظم تعريفاته تدور حول حماية العقل وتحصينه من الخروج عن منهج الوسطية إفراطا أو تفريطا، نذكر من هذه التعريفات ما يلي:

أ- إنه "سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية وتصوره للكون".

ب- إنه " النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع لتجنيب الأفراد والجماعات شوائب عقدية أو فكرية أو نفسية تكون سببا في انحراف السلوك والأفكار والأخلاق عن جادة الصواب أو سببا للإيقاع في المهالك

ج- وعرف بأنه:" حماية عقل الإنسان وفكره ومبتكراته ومعارفه ومنتجاته ووجهات نظره، وحرية رأيه من أي مؤشر سواء من قبل الشخص نفسه أو من قبل الغير "[1].

المطلب الثاني: مؤسسات الأمن الفكري:

مهما كان الاختلاف حول مفهوم الأمن الفكري فإن الموضوع يحتل أهمية بالغة، باعتباره يحقق أمن واستقرار المجتمع وذلك من خلال التصدي للمؤثرات والانحرافات الفكرية، وقضية الأمن الفكري ليست وليدة اليوم، بل هي قضية كانت دائما حاضرة، ولكنها برزت بشكل أكبر في الآونة الأخيرة نتيجة عوامل داخلية وخارجية ، وخاصة بعد التطور الكبير الذي شهده العالم في مجال المعلوماتية والاتصال والمواصلات ، والذي ترتب عنه سهولة انتقال الثقافات والتأثر المتبادل فيما بينها ، وما نتج عن ذلك من غزو فكري وثقافي هدد بعض المجتمعات في أمنها واستقرارها وثقافتها ، ويعد ظهور ما يعرف بالإرهاب في بعض الدول الإسلامية نتيجة لضعف واختلال الأمن الفكري لدى بعض الجماعات فيها،أحد المواضيع الهامة في هذا المجال هو دراسة المؤسسات التي تشكل أطر وقنوات بناء الأمن الفكري والتي عادة ما تحدد في الأسرة، والمدرسة، والمسجد.

(1) سعيد بن مسقر الرادعي، الأمن الفكري الإسلامي، مجلة الأمن والحياة، ع: 187، ص50.

أولا: الأسرة: الأسرة هي البيئة الأولى في البناء الاجتماعي وهي ظاهرة اجتماعية قديمة، ولا نبالغ إذا قلنا إن معظم المشكلات الاجتماعية وحلولها التي تواجه المجتمع تقع على عاتق الأسرة. هذه الأخيرة هي المؤسسة الأولى التي يتلقى فيها الفرد قواعد المعتقد الذي يؤمن به مجتمعه، ولذلك فإن أي خلل يصيب الأسرة له انعكاسات خطيرة على الأمن الفكري.

ولكي تحقق الأسرة أهدافها ينبغي عليها القيام بدورها التربوي بشكل كامل، وأن يكون بينها وبين المؤسسات الأخرى تنسيقا مستمرا بهدف تحقيق الأمن الفكري للأبناء.وهذا البناء يشمل مكونات الإنسان كلها بصورة متكاملة، الجسمية منها والروحية والنفسية والعقلية التي تحدد طابعه التوافقي مع بيئته، وتحدد سلوكياته المستقيمة السوية و التي يتميز بها عن غيره، وأهم ما يميزه عن غيره قاعدته التوحيدية الإيمانية، لأن كلمة التوحيد تكسب الشخصية المسلمة ثقة في النفس وتعطي فضلاً من الله، ورحمة شاملة ودائمة، ومستقرة ومتكاملة وقد نبهنا القرآن أن الإنسان خلق من نفس واحدة. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (1)

والإنسان الذي يتمتع بالإيمان هو القادر على تحقيق مقومات الحضارة التي تبنى على أساس العدالة والمساواة وتعاليم الإسلام كلها، يجب أن يرى الناس نماذج فريدة من البشر يتمثل فيهم المنهج القرآني النبوي، ويحملون القيم الإنسانية الرفيعة التي تبني الحضارة، فالإنسان الذي يثق في قرآنه وسنته وعقله ويعتز بشخصيته الداخلية، ويقينه بالحق، وعزيمته في الانتماء إليه، والدفاع عنه، وإيمانه بحتمية انتصاره، كل ذلك يعتبر من مكونات الشخصية، وقد حدد القرآن الكريم معالم هذه الشخصية.(2)

(1) سورة الأنعام، الآية98.

(2) العطري بن عزوز، الدرس العقدي ودوره في التكامل المعرفي، رسالة دكتوراه مخطوطة ،نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، عام 2017 م ، ص185.

بقوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]

إن الدور الذي تقوم به الأسرة من أجل تهيئة الأبناء على قواعد فكرية سليمة تشمل جوانب عديدة، فالدور التربوي يقع على الوالدين من البداية وهو يشمل الجوانب الدنيوية والدينية، الفردية والاجتماعية، السياسية والثقافية. إن مسؤولية الوالدين لا تنتهي في سن معين، بل هناك دائما حاجة إلى التوجيه والمتابعة من خلال نقل الخبرات والتجارب وإبعادهم عن وسائل الغزو الفكري، وعن رفاق السوء، وكذا المحافظة على الأوقات وقضائها فيما فيه فائدة.لن تتمكن الأسرة من القيام بدورها دون توفير بيئة تعاون بين قنوات التنشئة الاجتماعية وتقديم المساعدة وتوفير الإمكانيات المادية والمعنوية للأسرة.

ثانيا: المدرسة: تعد مؤسسات التربية والتعليم من أهم المؤسسات التي تؤدي دور نقل المعتقدات والاتجاهات والأفكار من جيل إلى آخر، ولذلك فإن كل الدول في وقتنا الحاضر تهتم بالتعليم وتهيمن عليه وتخصص له أعلى الميزانيات. يندرج تحت هذا المجال كل مستويات التعليم من الابتدائي إلى الجامعي.ويكمن فيما يلي:

إن بناء الأمن الفكري فعل تراكمي يجب العمل على غرسه منذ الصغر، وتقوم المدرسة والمعلمون بدور أساسي في غرس حب الدين والوطن وتعلم أسس الحياة الاجتماعية.يمكن أن تسهم بها المدرسة وكذلك الجامعة، في خدمة المجتمع، ولعل أبرز هذه الأدوار ما يلي:

- إيجاد مدارس وجامعات جاذبة وتتوافر بها كل الخدمات، وأن يتوفر بها كل الإمكانات.
- بناء شخصية الطالب عقديا، وفكريا واجتماعيا ومهنيا.

(1) سورة الحج، الآية54.

- التركيز خلال التطبيقات المنهجية، وأثناء الأداء على: مهارات التفكير، ومهارات الحوار والانضباط والالتزام، والعمل الجماعي، وأيضا على المهارات الاجتماعية الضرورية مثل:(احترام رأي الآخرين، والعمل ضمن مؤسسات التكافل الاجتماعي).
- تدريس العلوم الشرعية بكل كفاءة، و فاعلية فضلا عن اختيار المعلم الكفء لتدريسها.
- وضع برامج إسلامية هادفة، و يخطط لها، وتتناسب مع الأحداث العالمية.
- تصحيح المفاهيم والمصطلحات الدولية، حول رهبة الإسلام و المسلمين.
- توجيه الطلاب نحو سوق العمل، ووضع برامج اقتصادية، يدرب عليها الطلاب.
- مساعدة نماذج من الطلاب، على احتراف العمل الاقتصادي.
- طرح الأحداث الدولية، وتدريسها وتناولها في أنشطة المدرسة (الثقافية والعلمية والاجتماعية وأثناء الرحلات والزيارات والمناسبات).
- ربط الطلاب بقضايا أمتهم، وأن لا يفصلوا عن هويتهم العربية والإسلامية.
- تحقيق التوازن بين الجانب النظري والمهني في التعليم[1].
- ضرورة التعاون والتكامل بين الأسرة والمدرسة بمساعدة أخصائيين اجتماعيين ونفسانيين من أجل كشف وعلاج الحالات التي يظهر فيها خلل في الفكر وفي السلوك.
- إعطاء دور تربوي لطلبة الثانوية والجامعات من خلال النشاطات خارج القسم تعزز الأمن الفكري.
- الاهتمام بالمواد ذات العلاقة بالأمن الفكري، على حسب مستويات التعليم والتكوين من الابتدائي إلى الجامعي بحيث تؤدي إلى تعزيز ثقافة المجتمع واستقراره.

(1)زهير سعد عباس، ظاهرة العولمة وتأثيراتها في الثقافة العربية، رسالة ماجستير نوقشت بالأكاديمية العربية المفتوحة، كلية القانون والسياسة، الدنمارك، سنة 2008م، ص68.

إنّ من أهم ما يفترض التركيز عليه في مختلف مراحل الدراسة هو العناية المستمرة والإصلاح العلمي الدائم للمناهج. فيما يخص الأمن الفكري يكون من الضروري الاهتمام بتربية النفس على القيم الفاضلة، والتحذير من انتهاك الحرمات والفساد في الأرض[1].

ولا يمكن إغفال دور الإطار البشري القائم على المدارس والثانويات من معلمين وأساتذة وإداريين في تنمية وبناء الأمن الفكري لدى التلاميذ والطلبة. فالدراسات تؤكد أن تأثير المعلم على طلابه كبير باعتباره القدرة في سلوكه وأفكاره، وعليه فإن المناهج التربوية وحدها لن تكون مجدية دون الاهتمام بأداء المعلم باعتباره وسيلة تحقيق سياسات المنظومة التربوية والتعليمية. في هذا الإطار يجب التفكير والعمل المستمر على تكوين المعلمين بطريقة مناسبة وأن يكون لديهم وعي وحس أمن فكري عالي.

إن الفشل في هذا الميدان مهما كان قليلا له انعكاساته الوخيمة على الأجيال وعلى المجتمع، وعلى المختصين في المجالات المختلفة القيام بالدراسات العلمية والميدانية لإبراز النقائص والعمل على علاجها ، وفي ظل التطورات الاجتماعية والعلمية وحتى السياسية التي يمر بها العالم يتأكد وجوب مضاعفة الجهد نحو تأسيس منظومة تعليمية تتجاوز الأطر التقليدية، من المهم النظر لهذه المنظومة بعقلية متفتحة ومتوازنة بين القديم والثوابت ومتطلبات الحاضر والمستقبل، ويعد وضع خطط واستراتيجيات يشارك فيها كل من المؤسسة الأمنية والمؤسسة التعليمية جزء من العلاج.

ثالثا: المسجد: ليس من العادي إدراج النسق الديني، أو المؤسسة الدينية ضمن التنشئة الاجتماعية، غير أن الخصوصية التي يتصف بها الأمن الفكري في مجتمعنا تجعلنا بالضرورة نتناول المسجد باعتباره أحد الفواعل الأساسية في بناء الأمن الفكري وتعزيزه، ومن المهم الإشارة من البداية إلى أننا نقصد بالمسجد مجموعة عناصر تحيط به تتمثل في:

(1)الأمن الفكري ودور مؤسسات المغرب العربي في إرسائه، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجوائر ، 2010، ص 84،87.

- دور الإمام من خلال خطبة الجمعة والعيدين.
- معاهد تكوين الأئمة.
- دور العلماء والدعاة.

هذه الأنساق والوسائل كلها تتعامل بأشكال مختلفة مع الخطاب الديني، وتأتي أهمية هذه الأطراف في موضوع الأمن الفكري لكونها الأكثر علاقة والأكثر ارتباطا بالمعارف الدينية، كما أن لها علاقة مع جميع أطراف المجتمع وجميع الأعمار، ولذلك يقع على عاتقها دور كبير في تعزيز الأمن الفكري، فالمسجد هو الفضاء الذي يهتم بالوظيفة الدينية والتنشئة الدينية في المجتمع ، ففي البلد آلاف المساجد وبالتالي آلاف خطب الجمعة والدروس كل أسبوع ينبغي أن تستثمر في مجال بناء الأمن الفكري وذلك عن طريق تصحيح المفاهيم المغلوطة ورد الشبهات، وتبيان الموقف من الحوادث والنوازل والتحذير من الفتن.

فجهود العلماء و علم النفس والتربية والتي ينفق عليها أموال طائلة لمعرفة مظاهر وأسباب الانحراف ووضع الخطط لمواجهتها لا تقل أهمية عن الدور الذي يقوم به الخطيب لأنه يملك وسائل ذات فاعلية مقدسة على أفراد المجتمع، فللمسجد قدرة كبيرة في جمع الناس المستمر أكثر من أي تنظيم آخر مهما كانت وسائله وهو بذلك يقوم بدوره في مجال بناء الأمن الفكري.ولكي يتمكن خطيب الجمعة من المساهمة في تعزيز الأمن الفكري عليه أن يحسن اختيار مواضيع الخطبة ، مثل التركيز على العقيدة ، وتوضيح مخاطر الغلو ، وشرح المفاهيم الإسلامية ذات الأهمية مثل الجهاد ومبدأ الوسطية والاعتدال في الإسلام وفهم التسامح الديني وقبول الآخر[1].

فتطوير الخطاب يكون بحسب الظروف والمتغيرات، وتوفير التخصصات المطلوبة له، وإخراجه من صور الغوغائية، والرتابة والحماس، إلى صور الحكمة، والدقة والموضوعية، ذلك

(1) الأمن الفكري ودور مؤسسات المغرب العربي في إرسائه، ص 91،92.

أن الخطاب الإسلامي في عصر العولمة أصبح له صفات ومواصفات، وتخصصات، ولم يعد عشوائيا، وإنما التغيير في الخطاب إنما يكون بتغيير التفكير، والمنهج، التغيير لما في النفس، وليس بالإدعاء وتغيير الملابس والمواقف، دون الاعتراف بالخطايا التي جلبت على الأمة المصائب التي تعاني منها[1].

فاتساق مؤسسات المجتمع (الأسرة، المدرسة، المسجد) ومع ما تقدمه من الانسجام والتكامل والتنسيق بين مؤسسات المجتمع والمؤسسات التربوية ما يحقق انسجام المجتمع مع الأهداف والخطط التعليمية.وأن تكون هناك استرانيجية واضحة المعالم. [2]

(2) عمر عبيد حسن، قوة الثقافة لا ثقافة القوة، ص68.

(2)زهير بن سعد عباس، ظاهرة العولمة وتأثيرها على الثقافة العربية،ص69.

المبحث الثاني: الاستثمار في الإنسان

المطلب الأول: إعادة بناء الإنسان:

ومن أبرز ثمرات النّص السماوي السليم وعطائه الخالد: عقيدة التوحيد التي تشكل أهم مقومات الإمكان الحضاري الذي تمتلكه وتتميز به الأمة المسلمة، التي ترتكز إلى الفطرة وتحرر ضمير الفرد من المخاوف والهواجس، وتخلص نفسه من اليأس والقنوط والإحباط، كما تحرر عقله من الخرافات والأوهام والإيمان بالمصادفة، والبروج والخوارق،وتعتقه من تأله البشر، وتنسخ الطواغيت، وتحقق المساواة بين الخلق، وتوقف تسلط الإنسان على الإنسان، وتخلصه من جميع أنواع العبوديات والكهانات الدينية، وتأمنه من الخوف على حياته ورزقه، وتمنحه الثقة والتحمل، لأنّه يرتكز إلى القوة المطلقة القادرة على كل شيء، أو تمنحه الإرادة، وتبعث فيه الفاعلية، لكن المشكلة في الغواش التي لحقت بعقيدة التوحيد فتحولت وأخضعت في مناهج تدريسها وبحثها إلى لون من الفلسفة بمعارفها وأدواتها البحثية الجدلية، وأطروحاتها النظرية، وعواطفها الباردة، وقطيعتها مع العمل والسلوك، وإخراجها من دائرة الأخلاق، التي تميزها، أو تميز النبوة عن الفلسفة[1]. ومن الإمكان الحضاري الذي تتوفر علية الأمة، ويؤهلها للقيام بالدور الحضاري المعاصر، إنسانية الخطاب ، وتمحور الخطاب بكل نماذجه وأبعاده حول إعادة بناء الإنسان، محور الحضارة ومعيارها، والارتكاز في ذلك إلى رصيد الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فكان بين الوحي المنزل من عند الله، وبين المخلوق الإنسان المخلوق من الله تواعد والتقاء الإنسان المخلوق من الله تواعد والتقاء، ذلك أنّ الذي خلق أعلم بمن خلق، فلا يمكن أن يأتي تشريعه، وتعاليمه متجاهلا لحاجة أ، ذلك أنّ الذي خلق أعلم بمن خلق، فلا يمكن أن يأتي تشريعه، وتعاليمه متجاهلا لحاجة أصلية أو مصطدمة بكينونة الإنسان نفسه، وأن يأتي التكليف متجاوزا طاقة الإنسان واستطاعته. يضاف إلى ذلك أنّ

(1)عمر عبيد حسن، الوراثة الحضارية، ط3، 2003 ، الكتب الإسلامي ،بيروت ،ص 37.

أعظم مرتكزات الإمكان الحضاري في هذا الملمح، أنّ الإسلام منح الإنسان حرية التدين والاختيار، وترتب على ذلك أن جعل ميزان الكرامة والتميز كسبيا من صنع الإنسان "التقوى والعمل الصالح"، ولم يجعله قسريا فيعتمد الفوارق البشرية التي لا يد للإنسان في إيجادها أو نفيها كاللون والجنس والقوم والذكورة والأنوثة، وبذلك أصبح باب الإنجاز والبناء الحضاري مفتوحا للجميع، وميدان السباق والتنافس على فعل الخير، الذي يعتبر المهماز الحضاري هو سبيل الارتقاء والتميز، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (1)

وبذلك ألغى الفوارق والحواجز والحدود، ودعا الإنسان أينما كان، فكان خطابه عالميا منذ اللحظة الأولى لحركة الدعوة، في الوقت الذي لم تقم بعد دولة المدينة أو الجزيرة أو المناطق المحيطة جغرافيا بجزيرة العرب، وجاء ذلك الإنجاز الحضاري الإسلامي مشتركا عالميا يمثل إنسانية الحضارة الإسلامية، وجعل الأجناس والأقوام والبلدان عوامل عطاء حضاري، ووسائل تكامل وتعاون، فبدَّل الحوار والتعاون بالصراع والاقتتال(2).

إن كرامة الإنسان مستمدة من إيمانه بتكريم خالقه ومعبوده، وعزته مستمدة من إيمانه بعزة خالقه وحريته وتكريمه يعتمدان على ولائه وعبوديته الخالصة لعزيز لا يذل ، وهو الله وقاهر لا يغلب وهو الله وفي إهانته نيل من مقام عبوديته لربه واستهانته بمخلوقيته ومكانته التي خصها الله بالتكريم والتشريف في أصل الخلقة على سائر مخلوقاته، وأهله بما منحه من أدوات ليكون خليفة على كونه، ومهد له مفردات هذا العالم وجعلها ذلولا لإرادة وخاضعة لمشيئته، ليعمر بها حياته ويتنعم فيها من متاع طيب ، وسخر له كل ما في السماوات والأرض تكريما له

(1) سورة الحجرات، الآية 13.

(2) عمر عبيد حسنة، الوراثة الحضارية، ص 30، 31

وتلبية لحاجاته وقضاء لمصالحه وتحقيقا لمنافعه ليتحقق فيه ويتحقق به معنى العبودية الخالصة لربه وخالقه في هذا العالم، ولقد احتفى القرآن الكريم والسنة النبوة المطهرة بمظاهر تكريم الإنسان باعتبار ذلك عقيدة ودينا يتمثله الإنسان في حياته ويعيشه في واقعه اليومي وفي علاقاته المتبادلة بين الناس جميعا ، الكل يعمل على تكريم الكل، فلا يعمل أحد على إهانة ما كرمه الله، ولا يسخر أحد مما أعزه الله فإذا أخطأ إنسان أو سقط في سلوكه فقد حدد له الشارع وسائل العقاب ومستوياته على درجات متفاوتة من التعازير والحدود، حسب حجم الجرم الذي ارتكبه أو الخطأ الذي وقع منه، حتى لا تترك الأمور في يد الحكام بلا ضوابط وبلا معايير ، وحتى لا تترك مصائر الناس خاضعة لأهواء ذوي السلطان ونفوذهم.

إن تكريم الإنسان عقيدة ودين، ينبغي أن يحتل مكانته في أدبيات المجتمع وعلى ألسنة الدعاة وأقلام المفكرين حتى ينتبه ذو السلطان إلى بشاعة الجرم الذي يرتكبونه في حق دينهم وعقيدتهم وفي حق أمتهم أيضا، حين يعمدون إلى إهانة الإنسان والنيل من إنسانيته التي كرمها الله ورفع مكانتها على سائر المخلوقات فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي خصه الخالق بأنه خلقه بيديه [1]قال تعالى لإبليس: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾[2] وهو الكائن الوحيد الذي خلقه الله على صورته، ولذلك جاء في الحديث، ومن قاتل فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته.وهو الكائن الوحيد الذي اختصه الله بالخلافة على هذا العالم، وهو الكائن الوحيد الذي تحمل الأمانة التي أبت جميع المخلوقات وأعرضت عن حملها وحملها الإنسان.

(1)محمد السيد الجليند، خلل في مسيرة الأمة،2006، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،ص50.

(2) سورة ص ،الأية 75.

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1]وهو الكائن الوحيد الذي شرفه الله بخاصية العقل؛ ليسود به ويسوس به هذا العالم، فلماذا الإصرار على إهمال عقيدة تكريم الإنسان والإصرار على إهانته، إن هذه المعاني ينبغي أن تكون جزءا أساسيا من المنهج التربوي الذي يلتف حوله أبناؤنا في مؤسساتهم التعليمية والتربوية، وينبغي أن نوضح لهم في ضوء هذه المعاني، كيف تقوم العلاقات بين الناس، كيف نرسم علاقات الرؤساء بالمرؤوسين والحكام بالمحكومين، إن تربية الأجيال على هذه المعاني النبيلة والعقائد السامية تخلق فيهم صفات العزة في غير غرور، وتجسد لهم معاني الإباء في غير كبرياء، يعرفون كيف ومتى يقولون للمخطئ قف أنت على خطأ، ويتصدون له أيا كانت منزلته ومكانته، وكيف ومتى يقولون للمحسن أحسنت ويشدون على يديه وينتصرون له ويؤازرونه، لابد أن نعمل على شيوع عقيدة التكريم للإنسان في مناهجنا الدراسية، لأن ذلك يؤدي إلى خلق الثقة بالنفس والاطمئنان للمستقبل ويقضي على الظواهر السلبية التي تفشت في الأمة وعملت على هدم كيانها وزلزلت أركانها، ومن هذه الظواهر السلبية عدم الانتماء للأمة والوطن، وعدم الاهتمام بالشؤون العامة، والانكفاء على الذات والتقوقع داخل النفس، مما قتل في الإنسان المعاصر كل معاني الهمة والإرادة الجماعية والإبداع إذ كيف يتأتى للعالم أن يفكر في التعمير والتنمية والنهوض والارتقاء بالمجتمع وهو يعيش حياته متقلبا بين هلع في حاضره وخوف من مستقبله؟كيف له أن يبدع وهو مهان في مجتمعه، غريب في وطنه؟كيف له أن يبني في الوقت الذي يجد كل شيئ حوله يقف أمامه سدا منيعا يعوق حركته ويصد مسيرته؟[2].

(1) سورة الأحزاب ،الآية 72

(2) محمد السيد الجليند، خلل في مسيرة الأمة، ص52.

إنّ عقيدة تكريم الإنسان هي نقطة البدء في خلق الإحساس بالثقة والشعور بالانتماء ليجد فيها الإنسان نفسه ويحس بذاتيته، وينتشل نفسه من هذا الإحساس هي نقطة البدء في خلق الإحساس بالثقة والشعور بالانتماء ليجد فيها الإنسان نفسه ويحس بذاتيته، وينتشل نفسه من هذا الإحساس القاتل الذي يعيشه صباحا ومساء ألا وهو الإحساس بالغربة الذي يعوق كل تفكير في النهضة ويقضي على كل أمل في البناء[1] .

المطلب الثاني: التمكين لروحانية الإنسان وعدم إهمال المادية

من خصائص الخطاب الإسلامي أنّه يدعو إلى الروحانية التي هي جوهر الدين ولبه، ولكن لا يهمل الجانب المادي من الحياة، ذلك أنّ الله تعالى خلق الإنسان مزدوج الطبيعة، فيه قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله سبحانه وتعالى، وهذه النفحة الربانية هي التي ميزته عن سائر الحيوانات، وجعلته أهلا لأن يأمر الله الملائكة بالسجود تكريما:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[2]

فإذا عني الإنسان بعنصره الروحي – وأصله السماوي–سما وارتقى حتى يلتحق بأفق الملائكة، وإذا عاش أسيرا وخادما لعنصره الطيني –وأصله أرضي–هبط وأخلد إلى الأرض، فينزل إلى حضيض الأنعام، وربما كان أضل منها وأسوأ ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ٤٣ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ

(1) نفس المرجع، ص53.

(2) سورة ص، الآيات 71،72.

هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [1]. ولهذا نجد أنّ أوامر القرآن الكريم، ونواهيه اتجهت لتهذيب الجسد والروح، وإثراء الجسد والروح[2].

فالإمكان الحضاري الذي تمتلكه الأمة المسلمة، والذي يؤهلها للقيام بدور متميز ورائد لإلحاق الرحمة بالعالمين هي الطاقة الروحية المتجددة المختزنة في الإيمان، التي تغذيها التعاليم والعبادات الإسلامية والإقبال المتزايد على الإسلام، على الرغم من كل ظروف المسلمين، من مواقع حضارية شتى، ومستويات ثقافية وعلمية متعددة. فهذا الضخ الروحي والثقافي والمعرفي للقرآن الكريم وبيانه النبوي نبع لا ينضب، حيث لا تتم عبادة المسلم إلا بتلاوته سرا وجهرا وسماعاً وتأملاً وتدبراً، في يوم المسلم وليلته، إضافة لتحقيق الولادة الجديدة للأمة في كل عام، حيث يسعى المسلمون من شتى البقاع إلى أرض النبوة للعيش ولو لأيام على أرض ولادة المجتمع الأول، الذي حمل الحضارة للعالمين، وحقق المساواة والتكافل مع (الآخر)، وألغى فوارق وحواجز الزمان والمكان، وما يصاحب ذلك ويسانده من توجهات للمسلمين من مواقعهم إلى البيت الحرام، محور حركة الحجيج، في اليوم خمس مرات،يستلهمون من خلال هذا التوجه كل معاني الخير، ويجددون العزيمة على متابعة الطريق، إضافة إلى الدخول في دورة روحية متجددة في صيام رمضان، الذي يعكف فيه الناس على الذات لإعادة صقلها بالقرآن والارتقاء بها عن الغرائز والشهوات.فهذه الطاقة الروحية المتجددة والمستمرة العطاء والصقل، إلى جانب العبادات الأخرى، تصوغ الفرد المسلم فاعلا صياغة أخرى ليبقى معطاء مؤثرا لغيره، متحملاً لكل المصاعب، متأبياً عن القلق والإحباط والسقوط والانكسار، حمالاً للحب والخير للآخرين، مسئولا عن ذلك أمام الله، مستذكرا ذلك في عبادته، رابطا نجاته بتنجية (الآخر).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»[3]

(1) سورة الفرقان، الآيات 43،44.

(2) سعيد الكرواني، نحو تجديد الخطاب الديني تأسيس البنية النظرية وحق الاختلاف، ط1(1428هـ-2007م منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،ص251،252.

(3) عمر عبيد حسنة، الوراثة الحضارية، مرجع سابق،ص 43

إن هذه الطاقة الروحية المتأتية من طبيعة الإيمان، الذي تغذيه العبادة، ويستجيب له السلوك،هي التي تشحذ الهمم وتمنحها الصبر والاحتمال والاحتساب، وتجدد الشباب الحضاري للأمة المسلمة[1].

المطلب الثالث: مراجعة الذات وإعادة بعث الوعي

الخطاب الديني في عصرنا هذا لابد أن يتبنى عالمية الدعوة، والتوجه، وإن لم يغفل الجوانب المحلية والإقليمية، وذلك لسببين أساسيين:

أولهما : أنّ هذه هي طبيعة الدعوة الإسلامية، فهي ليست دعوة عربية ولا دعوة شرقية، وليست دعوة عرقية ولا إقليمية بحال، بل هي دعوة للعالمين.

ثانيهما : أنّ العزلة الآن لم تعد ممكنة، إذ لم يعد في إمكان عالم أو داعية أن يغلق أبواب مسجده أو معهده على نفسه، وعلى مصليه أو تلاميذه، ويقول لهم ما يود أن يقوله دون أن يسمع به أحد.[2]ومع دعوة الخطاب الإسلامي للعالمية، وانفتاحه على الكون لا ينسى الواقع الإقليمي والمحلي من حوله، فالأقربون أولى بالمعروف، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:"**ابدأْ بنفْسِك ثُمَّ بِمن تعول**"[3]

والقرآن الكريم يقول:" يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ " [4]، فبدأ بالوالدين والأقربين لأنهم أحق من غيرهم وأولى.والإسلام إن يعتبر الأمة الإسلامية أمة واحدة يرى توزيع زكاة كل إقليم في فقراء الإقليم نفسه.[5]

(1)عمر عبيد حسنة، الوراثة الحضارية، نفس المرجع،ص 44.

(2) نفس المرجع ، ص252.

(3)صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم قرابته، رقم997، ص692/2.

(4)سورة البقرة، الآية 215.

(5)سعيد الكرواني، نحو تجديد الخطاب الديني تأسيس البنية النظرية وحق الاختلاف، ص252-253.

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن قال له:"**أَخْبِرْهُم أَن افْتُرِضَ عَلَيْهِم صَدَقَةٌ تُؤْخَذُ من أَغْنِيَائِهِم وَتُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِم**". (1)

فبعث الوعي لدي الإنسان ينطلق من الفطرة الداخلية ليحاول بواسطة الحواس أن ينسجم مع العالم الخارجي، وهذه هي لحظة الفاعلية نحو التغيير، وأخطر ما يهدد الوعي حالة "الإمعة" التي حذرنا منها الرسول عن حذيفة بن اليمان: "**لا تكونوا إمَّعةً، تقولونَ :إن أحسنَ النَّاسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلَمنا، ولَكن وطِّنوا أنفسَكم، إن أحسنَ النَّاسُ أن تُحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا**". (2)

لأنّ ذلك يعتبر تعطيل لعمل العقل الذي أشاد به القرآن الكريم في أكثر الآيات، واعتبر ذلك من الأسباب التي حجبت الناس عن الحق قال تعالى:ُ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ً (3)

وهذا التقليد الأعمى هو أخطر ما يهدد شخصية المسلم ويؤدي إلى التخلف ويبعده عن الوعي السليم، وقد نبهنا النبي إلى مخاطرهفي الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن**".(4)

واتباع الآخر من غير علم ودراية وفهم يضعف الشخصية ويبعد الإنسان عن الحق قال تعالى:ُ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ً (5) فيحصل بذلك التقليد الأعمى والذي يعتبر حالة نفسية تسجن العقل في قفص حديدي، وتجعل

(1)صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (1395)، ص104/2، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(19)، ص50/1.

(2)رواه الترمذي عن حذيفة بن اليمان. المشكاة، السابق، رقمالحديث: (5129)، ص 4/1418.

(3)سورة لقمان، الآية21.

(4) رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، التبريزي، مشكاة المصابيح ، تحقيق الألباني،ص1473.

(5) سورة النجم، الآية28.

الإنسان إمعة يقلد غيره دون أن يتعب عقله في التحليل والتحرير والتفكيك، ومع مرور الوقت تفقده الوعي بحيث يصبح التقليد عنده عادة لا يمكن التخلي عنها وأن إعمال العقل والاستفادة من تجارب الآخرين أو الانفتاح على معارفهم وعلومهم مضيعة للوقت[1]

فوعي الإنسان لذاته يعتبر محور بناء الحضارة ، أو كما يسميها الشيخ الفاضل بن عاشور بالحس الباطني أو داعية النظر ، التي تجعل الإنسان المنطلق الأول نحو تحصيل الإدراك النفسي ثم الإدراك الوجودي ، ودور كلمة الوحي في بلورة الوعي والاتجاه بالإنسان نحو الوجهة الصحيحة كما يقول الفاضل بن عاشور:(..وسر الحضارة الإسلامية،يبتدئ تكونه في الفرد بطريقة تربوية، تعتمد على إيقاظ الحس الباطني ، الذي يتوجه به الفرد إلى تحصيل المدركات الأولى... فيتخذ الإنسان نفسه المنطلق الأول ، نحو تحصيل المدارك ، إذا يدرك نفسه أولا،يدرك وجودها ،ويدرك استعدادها للمعرفة ..وبهذا الإدراك المزدوج، يتوجه إلى تحصيل المعرفة توجها غريزياً.[2]

(1) العطري بن عزوز، الدرس العقدي ودوره في التكامل المعرفي ،ص186.

(2) نفس المرجع، ص 187.

المبحث الثالث: إعادة بناء الرؤية المعرفية الإسلامية

المطلب الأول: مصادر المعرفة

الخطاب الإسلامي في عصر العولمة أنه يؤمن بالوحي ولا يغيب العقل، فهو يؤمن بالوحي باعتباره أساس كل دين سماوي، فتعاليم الدين وأحكامه ليست من صنع النبي- أي نبي- ووحي و وفكره ووجدانه، بل أوحى الله بها إليه عن طريق ملك ألهمه أو أنزل كتابه إليه ، فتلقاه النبي منه، وحفظه، وبلغه للناس كما أنزل إليه ،ونحن المسلمين بعد أن رضينا بالله تعالى ربا، وبالإسلام دينا، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، وبالقرآن العظيم إماما: أصبحنا ملتزمين - بحكم عقيدتنا- بأحكام الإسلام وأوامره ونواهيه: في العقيدة والشريعة والسلوك والمفاهيم والتقاليد، فليس لنا إلا أن نقول: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[1].

ومع دعوة الخطاب الإسلامي إلى الإيمان بما جاء به الوحي، والالتزام به أمرا ونهيا، في العبادات أو المعاملات يدعوا هذا الخطاب -في الوقت نفسه-إلى احترام العقل الذي لولاه ما ثبت الوحي. فالإسلام يحترم العقل، لأنّ به عرفنا الله عز وجل، و به عرفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، و به عرفنا كتاب الله الكريم، وهو يحترم العقل، لأننا بالعقل نفهم كتاب الله عز و جل، ونفسر كتاب الله الحكيم، ونستنبط أحكام الله العزيز، فقد شاء الله تبارك وتعالى أن ينص على بعض الأحكام في كتابه، أو على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يدع منطقة فارغة من التشريع والأحكام الملزمة سميت في بعض كتب فقهائنا "**بمنطقة العفو**"[2]

(1)سورة الأحزاب، الآية36.

(2)يوسف القرضاوي، عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية،ط1، 1985 ، دار الصحوة ، القاهرة،ص34

أخذا من الحديث القائل: «**ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو اقبلوا من الله عافيته، فإنّ الله لم يكن لينسى شيئا**[1]**ثم تلا:**

ۚ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا [2].

وهذه المنطقة – منطقة العفو– مطلوب من العقل أن يملأها عند الحاجة بما يهديه إليه اجتهاده في ضوء النصوص الأخرى: إما عن طريق القياس بشروطه، أو الاستصلاح، أو الاستحسان، أو غيره من أدلة ما لا نص فيه.وأما ما جاءت فيه نصوص قرآنية أو نبوية، فمهمة العقل أن يجتهد فيها ليستخرج منها الأحكام في ضوء الأصول والقواعد التي ارتضتها الأمة في الاستنباط، وبناء الفروع عليها، وهنا تتعدد المدارس وتتنوع المشارب مابين من يميل إلى الرأي، ومن يميل إلى الأثر، ومن ينظر إلى المقاصد، ومن يجنح إلى الظواهر، والشريعة تتسع لهؤلاء جميعا، وفي هذا التنوع إثراء للفقه وسعة ورحمة، وهو يحترم العقل بعد ذلك، لأنه أداته الفذة في معرفة الكون من حوله، فهو الذي يكتشف قوانين المادة، ويفسر الظواهر الكونية، ويربط بينها، ويستخدمها في مصلحة الإنسان، كما يوظفها في تثبيت الإيمان قال تعالى: ۚ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَ لَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ[3]، إنّ هذا العقل يجب أن يحترم لدى

(1)مسند البزار، حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم، رقم(4087)، ص(26/10)، مسند الشامين للطبراني، رقم (2102)، ص(209/3)، سنن الدار قطني، كتاب الزكاة، باب الحث على إخراج الصدقة وبيان قيمتها، رقم(2066)،ص(59/3)، المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب التفسير، رقم(3419)، ص(406/2)، السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الضحايا، باب مالم يذكر تحريمه ولا كان في معنى، رقم(19724)، ص(21/10)، قال الذهبي في المهذب حديث منقطع، ص(3976/8).

(2)سورة مريم، الآية60.

(3)سورة فصلت، الآية53.

المسلمين فلا يعطلوه عن وظيفته الأساس: التفكير والبحث والاستنباط والنقد، فلا تنحصر مهمته في مجرد التلقي التقليد والجمود، وقبول كل مايلقن للإنسان دون أن يمتحنه ويفحصه ويعرف الصدق فيه من الكذب، أو الصحة من الفساد، أو الصواب من الخطإ، أو الحق من الباطل والضلال، ولهذا كان لابد في إثبات الحسيات من دليل المشاهدة: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ [1]، ولا بد في إثبات النقليات من دليل التوثيق ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ [2].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [3] وكان لابد في إثبات العقليات من البرهان المنطقي، ولهذا تكرر في القرآن مطالبة أصحاب الدعاوى العقدية أن يأتوا بالبرهان على دعواهم ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[4]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[5]

فالعقل الذي يواجه التحديات هو العقل الحر الباحث عن الحقيقة، الطليق من أسر التقليد، و إتباع الظنون والأهواء، فإنّ الظن لا يغني من الحق شيئا، والهوى يعمي ويصم، أما

(1)سورة الزخرف، الآية19.

(2)سورة الأحقاف، الآية4.

(3) سورة الأنعام ، الآية 148.

(4) سورة الأنبياء ، الآية 24.

(5) سورة البقرة، الآية11.

العقل المكبل بأغلال الانبهار بفلسفة معينة، أو بثقافة بشرية، أو بتقليد الماضين، فهذا عقل غير مأمون على تحصيل المعرفة الصحيحة، والوصول إلى الحقيقة الصريحة، وقد قال الإمام ابن الجوزي: اعلم أنّ المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه، في التقليد إبطال منفعة العقل، لأنه خلق للتأمل والتدبر، وقبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة[1].

وفي عصرنا امتحن العقل الإسلامي بفتنة الانبهار بصنم آخر هو صنم الحضارة الغربية الحديثة، بما تحمله من فلسفة للحياة والإنسان. لقد وجد من بني جلدتنا من فتنوا بهذه الحضارة، ومن لا يزالون مفتونين بها، ويريدون منا أن ننسلخ من جلدنا، وننخلع من ذاتنا، أنتبع هذه الحضارة شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه وراءهم، هؤلاء الذين سماهم بعض العلماء ب(عبيد الفكر الغربي). ونحن نريد من (العقل المسلم) اليوم أن يتحرر من التبعية والتقليد للغرب وفلاسفته، كما دعوناه أن يتحرر من التبعية والتقليد للشرق وأئمته، بل إنّ التحرر من الغرب أحق وأولى، نريد للعقل المسلم أن يتحرر من التبعية والتقليد، وألا يتعبد إلا بمحكمات النصوص الربانية، التي تضيء له الطريق، وتهديه سواء السبيل فالله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾[2].

ليس عندنا –نحن المسلمين–ما في الأديان الأخرى من عزل العقل عن قضية الإيمان، فلا بد للإيمان من أن يؤسس على العلم حتى يؤمن الإنسان بربه جل جلاله وبرسوله صلى الله عليه وسلم عن بينة، ويسير في طريقه على بصيرة ونور، فالعلم دليل الإيمان كما قال تعالى: ﴿

(1)ابن الجوزي ،تلبيس إبليس، ط1 ، 2001، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ،ص81.

(2) سورة النساء، الآية174.

وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ[1].

ولا توجد عندنا -نحن المسلمين-مشكلة الصراع بين العقل والوحي، أو بين الحكمة والشريعة أو بين الفكر والعقيدة، أو بين العلم والدين، فالدين عندنا علم، والعلم عندنا دين، ومن القواعد المعلومة المقررة عندنا: أنه يستحيل التناقض بين قواطع العقل وقواطع الشرع، لأنّ الحق لا يعارض الحق أبدا، وإذا وجد شيء من هذا في الظاهر، فلا بد أن يكون لأحدهما تفسير أو تأويل يخرج به عن التناقض[2].

المطلب الثاني: المنهجية المعرفية(إسلامية المعرفة أنموذجا)

إن عالمية الأزمة تتطلب عالمي الحل وليكون الحل الإسلامي على مستوى خطاب عالمي، فإن مدخله الأساس هو (المنهجية المعرفية) القائمة على القرآن المجيد. فهي وحدها القادرة على إعادة تشكيل العقل المعاصر، وبناء مدركاته بناء سليم.[3]

1- **مفهوم إسلامية المعرفة**: وهي من أكثر القضايا التي ميزت توجهات الفكر الإسلامي المعاصر، فهي من الحقول المعرفية الجديدة التي استطاع الفكر الإسلامي المعاصر أن يقتحمها بكفاءة عالية، خاصة مع تأسيس "المعهد العالمي للفكر الإسلامي"الذي جعل من إسلامية المعرفة قضيته الفكرية والمنهجية الأساسية.وإسلامية المعرفة في التصور المنهجي " للمعهد العالمي للفكر الإسلامي"تتحدد في أمرين:

الأول:التأسيس والتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية و الإنسانية.

(1)سورة الحج، الآية54.

(2)سعيد الكرواني، نحو تجديد الخطاب الديني تأسيس البنية النظرية وحق الاختلاف، المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى(1428هـ-2007م)،ص246.

(3)طه جابر العلواني،إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، ط5 ،2009، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، بيروت ،ص 105،106.

الثاني:إصلاح مناهج الفكر الإسلامي،وحسب هذا التصور فإن إسلامية المعرفة تعني: منهجية إسلامية قويمة شاملة تلتزم توجيه الوحي ولا تعطل دور العقل؛بل تتمثل مقاصد الوحي وقيمه وغاياته وتدرس وتدرك وتتمثل موضوع اهتمام الوحي وإرشاده،وهو الفرد والمجتمع الإنساني والبناء والإعمار الحضاري... وتفي وتتمثل بالضرورة القدرات والإنجازات العلمية والحضارية الصحيحة كافة، تلك التي توارثتها البشرية وأنتجتها بعد أن تمحصها وتزنها بميزان الإسلام وشمولية قيمه وتوجيهه وغاياته[1].

فإسلامية المعرفة هي منهج معرفي محدد المعالم واضح القسمات، ويمثل بديلا للمادية والوضعية المتجاهلة لله وللغيب، وتشكيل وبناء قواعد المنهجية الإسلامية على ضوء المنهجية المعرفية القرآنية ولا تحقق الأسلمة أهدافها إلا بالتكامل بين المعارف.

2- **أهداف أسلمة المعرفة**: وتهدف خطة عمل المعهد العالمي للفكر الإسلامي لإسلامية المعرفة إلى:

أ- توعية الأمة على الأزمة الفكرية: بتوعية الأمة على موقع أزمة الفكر الإسلامي ومنهجيته من أزمة وجود الأمة الثقافي والحضاري.

ب- تحديد معالم العلاقة بين قصور الفكر الإسلامي وقصور منهجيته من ناحية وبين غياب الأمة ومؤسساتها ونظمها وتخلفها علميا وثقافيا وحضاريا من ناحية ثانية، وبين ذلك القصور، وبين ضعف الأمة وفشل جهودها في التحرر والتقدم من ناحية أخرى.

ج- تفهم طبيعة أزمة الفكر الإسلامي المعاصر وأسبابها والسبل والوسائل المطلوبة لمواجهتها والتغلب عليها وعلى آثارها.

(1)إسلامية المعرفة؛ المبادئ العامة، خطة العمل، الإنجازات (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1986م)، ص167.

د- العمل على تجديد فكر الأمة،وتحديد طاقاته وتطوير مناهجه وبلورة منطلقاته،وربطه بمقاصده الإسلامية الأصيلة.

هـ- العمل على تأصيل شمولية المنهج الإسلامي في ميدان الدراسات الاجتماعية والإنسانية وتأصيل الدراسات العلمية الإسلامية في ميدان الواقع الحياتي والفطرة الإنسانية والاجتماعية.

و- البدء بأعمال تمكين الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية المعاصرة من استيعاب الأصول الإسلامية والتراث الإسلامي، ومن العلوم والمعارف الحديثة وتيسيرهما على الدارسين المسلمين.

ز- العمل على تقديم الأبحاث والدراسات والكتب المنهجية بقصد بلورة المفاهيم والمنطلقات الإسلامية، وإرساء أسس العلوم الاجتماعية والإنسانية الإسلامية.

ح- إعداد الكوادر العلمية اللازمة لزيادة مجالات إسلامية المعرفة، وذلك من خلال برامج المنح الدراسية والإشراف العلمي والبرامج الدراسية الإسلامية في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة كافة.[1]

3- المعرفة بين الأسلمة والتكامل لتحقيق النهوض المنشود:

وعلى هذا الأساس طرح مصطلح إسلامية المعرفة للدلالة على بديل فكري ومنهجي معرفي في ظل واقع فكري ومعرفي متأزم بعيد عن إدراك الحقائق الكلية، وغير قادر على تقديم رؤية منسجمة ومتوازنةعن حقائق الكون والكائنات أو على تفسير الظواهر الإنسانية والاجتماعية، تفسيرا يوظف كل عناصر الطبيعة البشرية ويحقق التكامل بين أبعادها المختلفة، ويراد من هذا البديل أن يحدث النقلة النوعية الضرورية في كل من الفكر الإسلامي، والفكر

(1) إسلامية المعرفة، المبادئ العامة، خطة العمل، الإنجازات، ص121،122.

الإنساني عموما عن طريق إصلاح مناهج الفكر وربط الحركة العلمية المعاصرة بالرؤية المعرفية القرآنية[1].

فالأسلمة ليست تعني أن نقوم بعملية سطو على ما أنتجه الغرب من علوم ثم نضم إليه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لتصبح هذه العلوم مسلمة، فذرة الأكسجين لا يمكن أن يطرأ عليها تغيير، وهي الذرة نفسها سواء شاهدها العالم المسلم في مختبره، أو شاهدها غيره، ولا حديث عن الأسلمة بهذا المعنى.

فالأسلمة تهدف إلى تخليص العلوم ومناهجها من خلفياتها الوضعية لتصبح أكثر التصاقا بواقع الإنسان وأكثر استجابة لتطلعاته. وهدف الأسلمة ليس الوقوف عند هذا الحد من الترصد لما ينتجه الآخرون والكلام فيه وحسب، على اعتبار أن هذا قد يفهم مجرد رد فعل غير مدروس، بل إن ما يوازي هذا هو التأسيس لمناهج جديدة للعلوم، وذلك بالبدء بوضع النظريات التي تهتم بالكليات في سائر العلوم، بحيث تكون تلك النظريات مستحضرة لكليات للوحي ودون أن تهمل المشترك الإنساني العام الذي هو من قبيل إبداع الفطرة الإنسانية أو ما يمكن عده منطقة خارج الأحكام الشرعية، أو ما يدخل ضمن دائرة الأحكام العقلية والعادية بإصلاح المتكلمين، وكل ذلك وفق رؤية مقاصدية عامة، ذلك أن بناء أي علم من العلوم لابد أن يسبق في هذه الحالة ببناء نظري، فالنظرية الاقتصادية سابقة لعلم الاقتصاد، والنظرية الاجتماعية سابقة لعلم الاجتماع وهكذا وهلم، وعلى ذلك يمكن بناء نظرية إسلامية في الاقتصاد، وأخرى في الاجتماع، وأخرى في السياسة، وأما ما ينبني على

(1) إسلامية المعرفة وسؤال المشروعية ، مجلة الدراسات العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبدالقادر ، قسنطينة ، الجزائر ،2011 ،ص40.

هذه النظريات من علوم، فإنها قد تتقاطع مع غيرها مما بني على غير النظرية الإسلامية انطلاقا من كون ذلك يحمل الطابع الإجرائي بصورة عامة[1].

وإصلاح مناهج الفكر يقتضي الإقدام الفوري على مراجعة الذات، وتحديد مواطن الخلل والإصابة ، واكتشاف الأزمنة، وإدراك آليات التوليد فيها، واستلهام القيم في صناعة فكرية معاصرة قادرة على استرداد الشهود الحضاري، ووضع موازين القسط ، ومعايير الحق اللازمة لتحقيق الشهادة، كما أن إسلامية المعرفة ضرورية من جهتها لاستئناف العطاء العلمي، وتفجير الطاقات الإنسانية نحو البناء الفكري والمعرفي المولد للحضارة، وإعادة تشكيل العقل المسلم ثقافة وفكرا وسلوكا، وتصويب مسار المعرفة لتنضبط بمنطلقاتها وتحقق أهدافها الشمولية والمتوازنة.ولا يمكن أن نتصور أن يكون الإصلاح والتصويب في جانب بمعزل عن بقية الجوانب الأخرى المصاحبة ، فاختيار الموقع الفكري أو الثغر الثقافي، والتوجه صوب القضية الأهم و هي إصلاح المناهج العقلية، وبناء الشوكة الفكرية، وتنقية الموارد الثقافية في ضوء الكتاب والسنة، لأن ذلك يشكل الرحم والمحضن الذي تتشكل في داخله الأجنة الحضارية، القادرة على استئناف الحياة الإسلامية، وبناء الحضارة الإنسانية، والمرابطة في هذا الثغر واختيار هذا الموقع، ليس بديلا عن أي من حركات الإصلاح والنهوض والبعث الحضاري وإنما هو شرط[2].وتشكيل وبناء قواعد المنهجية الإسلامية على ضوء المنهجية المعرفية القرآنية ولا تحقق الأسلمة أهدافها إلا بالتكامل بين المعارف.[3]

(2)إبراهيم، أبو بكر محمد، التكامل المعرفي وتطبيقاته،(المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة، ط1، 1425هـ ، 2004م، هامش ص (424)،ص424.

(2)طه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، مصدر سابق،ص85.

(3)**التكامل المعرفي**: هو الصلة المنظمة بين الأجزاء، ثم التنظيم الديناميكي وتأدية الوظائف وفق نموذج معين. والنقطة الأخيرة هي التي تميز التكامل عن سواه من أنواع التنظيم.العطري بن عزوز ، الدرس العقدي ودوره في التكامل المعرفي،ص190.

والتكامل المعرفي هو تفعيل مبادئ الإيمان في كافة المعارف والعلوم وترجمة مبادئ التوحيد في المجال المعرفي،وتحويل التوحيد من مجرد علاقة إدراكية ، لثنائية عالمي الخالق والمخلوق ، إلى محتوى معرفي يصل الإنسان بربه ، وليس المقصود به هو تكامل العلوم الإنسانية فقط دون العلوم الأخرى ، وبمقدور الإنسان تصور الوحدة الكلية وإحداث تكامل بين طرفيها ، وذلك عن طريق تعقله للوحي واكتشافه لسنن الخلق بشرط انقياده لأمر الله تعالى،وبدون هذا الإنقياد ستظل الأهواء النفسية تتحكم في عقله وتصرفه عن إدراك الحقيقة والتكامل لا يتحقق إلا من خلال التوازن في بناء كل من العقل والوحي بصورة متوازنة ، والتكامل ليس هدفا في حد ذاته،فالهدف الأبعد يكمن في بلوغ قمة الهرم، بتحقيق معنى الخلافة والعبادة وبناء الحضارة الإنسانية الكونية،تحت ظل وحدانية الخالق وعبادته. قال تعالى :" قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ "[1]

فالتكامل المعرفي المشروع الإصلاحي الذي يستهدف تقويم مسيرة الفكر الإسلامي المعاصر ، وتفعيل مؤسساته العلمية على وجه الخصوص في خدمة قضايا الأمة الإسلامية ، من خلال وصل المعارف الإنسانية والتطبيقية وتسديدها بالوحي المعصوم وتوليد معارف إسلامية قادرة على الاستجابة لحاجات الأمة على مستوى الأفراد والمؤسسات والجماعات والشعوب[2].

(1)سورة الأنعام، الآية162-163.

(2)أبو بكر إبراهيم، مصدر سابق،ص 335.

المطلب الثالث: تجديد علم الكلام ودوره الدفاعي

إن قضايا علم الكلام ومفرداته ومسائله لم يتناولها القدماء إلا لأنها كانت تمثل مشكلات واقعية فرضت على المجتمع الإسلامي خلال احتكاكه بالحضارات المجاورة له، فهي ليست مشكلات عقلية لا علاقة لها بالواقع ، ولكنها كانت تمثل واقعا ثقافيا يعيش القدماء همومهم في صباحهم ومسائهم وفي مجالسهم العلمية ، وإذا راجعنا تاريخ مشكلات علم الكلام وكيف ظهرت في البيئة الإسلامية ، نعرف أن علم الكلام كان مرتبطا بالواقع ومشكلاته الدينية والثقافية ولم يكن ترفا عقليا ، كمشكلة القضاء والقدر، ومشكلة الإمامة – مشكلة خلق القرآن – مشكلة الذات والصفات وما تفرع عن هذه المسائل الكبرى من جزئيات وتفريعات لم تكن منفصلة عن واقع المسلمين أبدا، ولم يكن القصد من بحثها في نشأتها الأولى إلا الكشف عن الحلول القرآنية لهذه المشكلات ، ولكن طرأ على المسيرة التاريخية لهذا العلم ، تغير في المنهج والهدف أدى إلى تحول الحوار من حوار مع الخارج المخالف لنا في الملة إلى حوار مع الداخل، تمثل في الحوار بين أصحاب المذهب ومخالفيهم في المذهب وتطور هذا الحوار في لغته وفي مسائله، فبعد أن كان حوارا بين الداخل والخارج بين علماء الكلام المسلمين وخصومهم من أهل الملل الأخرى ، أصبح حوارا بين الداخل والداخل، وبعد أن كان مصطلح الخصوم يراد به أهل الملل الأخرى أصبح يطلق على المخالفين من الداخل أصحاب المذاهب الأخرى، وتطور الحوار شيئا فشيئا إلى ما يشبه الصراع الداخلي بين الفرق الكلامية[1].

فالدور الإيجابي لعلم الكلام قديما، أين دافع عن الإسلام والعقيدة الصحيحة عندما كانا مهددين، حيث يرى هؤلاء ضرورة إحياء علم كلام جديد يكون في مستوى تحديات العصر، من ذلك ما ذكره عبد العزيز الحبابي قائلا:" اليوم نحن في حاجة إلى علم كلام قوي أكثر من ذي قبل، لماذا لأننا لسنا في معركة مع اليعقوبيين ومع النصارى وغير ذلك... فاليوم عندنا

(1)محمد السيد الجليند،خلل في مسيرة الأمة، مرجع سابق،ص 61، 62.

مشاكل الإلحاد، الإلحاد ينتشر بكيفية فضيعة، فما هو سلاحنا؟ يجب أن نتسلح بعلم كلام جديد ونقنعهم به".

وغير بعيد عن هذه الدعوة نجد مقداد يالجن يرى ضرورة " تجديد علم الكلام على نحو يستطيع تحقيق وظيفته الأساسية، وهي تكوين الإيمان الحي الدافع إلى الالتزام بالمبادئ الإسلامية، ذلك أن من أهم مشكلات العالم الإسلامي الآن أزمة الإيمان، التي جعلت المسلمين في واد والإسلام في واد آخر، ثم جعلت المسلمين في فرق وأحزاب فأصبح يقاتل بعضهم بعضا وكأن كل فرقة تختلف عن الأخرى عقيدة ودينا" . ربما يكون الحديث عن بعث علم الكلام من باب التشبث بالماضي على شكل تمسك بالأصالة، لكن في الواقع أن هذا التشبث ليس عاطفيا وساذجا، بل إنه يعي ويدرك الوضع الإسلامي الراهن والذي يختلف عن وضع أسلافنا من نواحي كثيرة، لكن الحاجة إلى علم كلام كأداة هي المطلوبة وليس إلى مضمونه الجدلي الذي كانت له مبرراته الظرفية الزمانية والمكانية.فواقعنا يشهد تناقضات وممارسات بعيدة عن الدين هناك اللامبالاة ، هناك وسطنا: الأسرة لا تعطي النموذج للمسلم الملتزم، الكذب، النفاق، حينما يرى الابن أباه يكذب وأمه تكذب وغير ذلك فيقول إذن هؤلاء صلوا أم لم يصلوا، هذا الإسلام لا يفيد، لذلك يجب أن يوجد عند المفكرين المسلمين علم كلام جديد منفتح. (1)

فالأمة الإسلامية في حاجة الآن إلى علم كلام جديد في أهدافه ومناهجه يخاطب الداخل أولا، لكي يصل ما انقطع في مسيرته التاريخية، يخاطب الداخل لكي يبين له أهمية العمل بمقتضيات العقيدة، ليصحح له اعتقاده في الله ورسوله، يخاطب الداخل بالحلول الإيمانية لمشكلات عصرنا التي نعانيها ونبحث لها عن حلول هنا وهناك دون أن نعرج على حلولها من قيمنا وبمقتضى عقيدتنا.نحن في حاجة إلى علم كلام نخاطب به الداخل لنتبين أن الحرية

(1) إسلامية المعرفة وسؤال المشروعية، ص 40.نقلا عن عبد العزيز الحبائي، ملتقى للفكر الإسلامي ص 110.

في الإسلام فريضة تحتاج إلى من يدافع عنها ويبرهن على أنها فريضة دينية وأن العبودية لله لا تتحقق إلا إذا تحرر العبد من عبودية العباد.

نحن في حاجة إلى علم كلام جديد يخاطب الداخل بما يلي:

- أن العدل أساس الحكم، وأن الخلل في انهيار الحضارة الإسلامية يرجع إلى الخلل الذي أصاب مبدأ العدل في نظام الحكم، وأن المساواة فريضة دينية كالعدل والحرية وبالثلاثة تستقيم أمور الممالك، وتنظيم الحكومات.
- أن مبادئ الاجتماع البشري المسلم ينبغي أن تؤسس على قيم الإسلام ومبادئه من الصدق والعفة والأمانة والوفاء ، وأن هذه الأسس الأربعة ينبغي أن تكون أصولا اجتماعية للكيان البشري، الذي يقوم على المحبة والمودة والإخلاص والتسامح، وأن هذه الأسس الأربعة ترتبط بصحة الاعتقاد، لأنها علامة امتلاء القلب بصحيح الإيمان وآيته عليه ناهيك عن شعب الإيمان الأخرى التي تحث عنها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: « **الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** »[1]وأن شعب الإيمان كلها هي الإيمان الخارجي لسلامة الاعتقاد، وصحيح الإيمان، فإذا ما صح لنا الحوار مع الداخل يكون الحوار مع الخارج أيسر وأسهل، لأن أصول العقيدة الإسلامية في بساطتها لا تحتاج إلى تكلف في الدفاع عنها ويكفي للإقناع بها تجليتها للأخر بمنهج سليم يمثل أحد جناحيه العلم الصحيح، ويمثل الجناح الآخر النقل الصحيح، ويكون التطبيق العملي للسلوكيات الإسلامية مظهرا للإقناع بما يعتقد وقدوة للآخر بالتزام المجتمع بما تمليه عليه عقيدته.[2]

(1)صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم(9) ، ص(11/1)صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم (1395)،ص104/2،صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(19)،ص50/1.

(2) محمد السيد الجليند، خلل في مسيرة الأمة، مرجع سابق،ص 67.

وحتى يواصل خطاب الفكر الإسلامي المعاصر صموده المتنامي، ويواجه بصلابة طغيان الفكر الغربي الغازي والمستورد، فعليه أن يجعل من قضية إصلاح مناهج الفكر قضيته الرئيسية والأساسية، قصده من ذلك تحقيق الأصالة الإسلامية المعاصرة، وتمكين للأمة، من خلال استلهام الأصالة وهضم الحداثة، وتقديم ذلك في مشروع معاصر موحد كامل متحرر، يقوم على فكر سليم دون أزمات، ومنهج واضح دون خطأ أو انحرافات، وثقافة بانية دون آفات، وحضارة شاهدة دون قصور أو معوقات[1].

فعلينا أن نتسلح بالعلم الحديث ومنهجه التجريبي، ولا شك أن العطاء العلمي لعصرنا قد كشف لنا عن أسرار من الكون كان يجهلها الأقدمون، وهذا يفرض على علم الكلام الجديد أن يتسلح بلغة هذا العلم الحديث ويتدرب على منهجه ويحسن توظيف أدواته في الإقناع والبرهنة بادئا بما بدأ به القرآن، بالاستدلال على الحقائق الدينية يبدأ من عالم الشهادة من استقراء الآيات الكونية، و الواقع الذي يحيط الإنسان، بل من الإنسان نفسه وليس من الفروض العقلية المجردة التي فرضتها العقلية اليونانية بمصطلحاتها ومفرداتها على تراث المتكلمين.[2]

خلاصة و استنتاج: و لكي يصل الخطاب العقدي الإسلامي إلى تجديد منهجه في النظر إلى العولمة بانعكاساتها وتحدياتها لابد من رؤية استشرافية لتجاوز العولمة وما تحمله من سلبيات والاستفادة منها، لابد من:

1. التحصين الفكري والحضاري وتفعيل كل مؤسسات المجتمع وهذا لا يكون بإنشاء وتكوين منظومة أمنية معرفية وحضارية وما يتوافق وثوابت الأمة وقيمها الإسلامية.
2. بناء الإنسان قبل بناء الحضارة ومرجعية هذا البناء لا يكون إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة والاقتداء بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم والصالحين من بعده عن ذلك هو الاستثمار الحقيقي.

(1) طه جابر العلواني،إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر،مرجع سابق، ص 85.

(2)محمد السيد الجليند، مرجع سابق، ص69.

3. إحياء وبعث الجانب الروحي من الإنسان وعدم إغفال الجانب العقلي والمادي بالعودة إلى الإيمان بوجود الله وتوحيده حقيقة.

4. مراجعة الذات وإعادة بث الوعي وفق منهجية سليمة ليدرك دوره في الوجود ويحقق ما هو مطلوب منه.

5. إعادة بناء الرؤية المعرفية الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة:

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين، وعلى اله وأصحابه وأتباعه، وبعد:

ففي نهاية هذا المشوار، نصل إلى خاتمة البحث.وفيما يلي ذكر لأهم **النتائج** التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

فالعولمة هي تعميم النمط الأمريكي ليشمل العالم كله، وهذه الأنماط هي أنماط اقتصادية واجتماعية وثقافية في إطار تدويل النظام الرأسمالي وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والواقع أنّ العولمة هي الوجه التطبيقي للعالمية الإنسانية التي دعا إليها اليهود من أجل السيطرَة على العالم والعالمية الإنسانية هي الوجه النظري للأفكار والمعتقدات والأطروحات التي يقدمها اليهود للعالم من أجل السيطرة على أفكارهم وحياتهم وصرفهم عن دينهم ومعتقداتهم.

العولمة ما هي إلا مظهر من مظاهر لثقافة المنتصر، وما هي إلا واجهة من واجهات النظام العالمي الجديد الذي برز بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، وأنها لا تمثل حالة جديدة مبتكرة وإنما هي أشبه بجسم قديم بملابس جديدة.

ما يطلق عليه عولمة ما هو في الحقيقة إلا أمركة بفلسفة نفعية براغماتية من أجل استنزاف خيرات الشعوب والقضاء على هويتها المحلية وإحلال محلها الثقافة الامريكية في كل مناحي الحياة.

العولمة الأمريكية تحمل في طياتها نظرة عدائية اقصائية للحضارات الأخرى وخاصة الحضارة الإسلامية وخير دليل على ذلك الأطروحات الكبرى التي صاحبتها من نهاية التاريخ وصراع الحضارات وحوار الحضارات.

إن خطورة العولمة لا تكمن في قوتها وقدرتها على الاختراق الحضاري بقدر ما تكمن في ضعف الآخر وعدم استعداده لمواجهة هذا الاختراق،هو ضعف ارتباط وتمسك واعتزاز المسلمين بدينهم وهويتهم الحضارية هو سبب الاختراق الحضاري.

إن للخطاب العقدي سمات ومنطلقات وخصائص لأن يكون خطاب عالمي يستوعب الجميع، بدون أن يؤثر ذلك على الخصوصيات والثقافات والهويات الخاصة.

فموضوع الخطاب العقدي يحتل الصدارة في سلم المواضيع التي لها بالغ الأثر في أمور ديننا ودنيانا لتحقيق الاستخلاف المنشود، و وظيفة الإنسان الحضارية في تحديد وضبط علاقاته بخالقه وتوحيده حقيقة لتضبط بعد ذلك علاقاته بالمخلوقين والكون من حوله وهذا لا يكون إلا بالتدين الصحيح المعتدل البعيد عن الجمود والتطرف.

لذا فالخطاب العقدي ينطلق من الوحي كمصدر أول دون إغفال للعقل لأنه به ترتب الأولويات وينبع صوت الحكمة ويتم الوصل بين العقيدة والشريعة وفقه الحياة ويحدث التكامل المنشود ، ولتحقيق النهوض الحضاري وفق المنهجية المعرفية السلمية وبعيدا عن أزمات العقل_التعصب والتقليد وتغليب للعاطفة والجهوية والحزبية الضيقة والمذهبية المقيدة_

فالمنطلقات السلمية للخطاب العقدي، والابتعاد عن الأسلوب العاطفي في خطابنا وفكرنا، فإنه يقدم الإسلام كحل لما تعانيه الحضارة العالمية المعاصرة من مشاكل وأزمات، فالخطاب السائد لابد أن يكون الإسلام كبديل ، لإن الخطاب الديني في تعامله مع الحضارات والديانات ليس من قبيل الصراع أو الإلغاء ولكن من قبيل التعارف والتعايش والتسامح واحترام الآخر.

إن الخطاب العقدي قد خاض صراع مرير مع هويات وأفكار أخرى كثيرة داخلية وخارجية وانتهت جميعها بانتصاره وثباته وازداد قوة وانتشار لأن السر في الإسلام هو أنه كلما زاد التحدي ازداد الظهور والبروز والانتشار.

فالصراع بين الخطاب الإسلامي و العولمة ولد انعكاسات عديدة على مستويات عدة:

1. استبداد سياسي وتبعية للغالب في كل الدول العربية والإسلامية وضعف السيادة الوطنية والإقليمية ناتج عن منظومة سياسية فاشلة لأنها نتاج لاستعمار قديم جديد.
2. المنظومة التربوية المعرفية ليست في مستوى التحديات الراهنة ولا في تطلعات الشعوب وكذلك ليست مبنية وفق الرؤية المعرفية السليمة لأن العولمة الأمريكية تريد مشروع يناسب استراتيجياتها في السيطرة على الأبدان والعقول والأوطان وأسهل طريقة في ذلك هي التربية والتعليم.
3. إن أسهل طريقة للترويج لأفكار العولمة وأطروحاتها وإبعاد الشعوب والأمم عن مقاومتها الحضارية هو الإعلام هذا الأخير الذي يكرس الرؤية الغربية العلمانية وإبعاد كل رؤية حضارية إسلامية وإظهار من الدين إلا الدروشة وبعض المناسك كالطهارة والصلاة.
4. أكبر انعكاس للعولمة هو القيم بحيث تنظر إلى المجتمعات على أنها مجتمعات استهلاكية وتفريغ الإنسان من جانبه الروحي وإشباع غرائزه وفقط.

ومن التحديات المصاحبة للعولمة التي أثرت على الخطاب العقدي هي المنظومات الفلسفية القديمة المتجددة:

4. العلمانية في ثوبها القديم الجديد بإبعاد الدين عن الحياة وعن جميع المنظومات.
5. الاستشراق المعولم وهو تكوين الجيش من أبناء المسلمين لإعادة إحياء سموم المستشرقين والانتصار لها على حساب الخطاب الديني الوسطي.

6. إحياء المادية (الإنسان والطبيعة) وإلغاء القيم الروحية (الله، الإنسان) وبذلك تشجيع للإلحاد وتأسيسا له في المجتمعات الإسلامية.

إن العولمة مثل ذلك التحالف اليهودي البروتستانتي من أجل تأسيس للصهيونية العالمية وتشجيعا للتنصير وإخراج الناس من دينهم وحماية الأقليات الدينية من أجل إضعاف المسلمين وتهديد هويتهم للحفاظ على الهويات الأخرى.

إن العولمة في جانبها الخفي تمثل الإرهاب العالمي ومساندتها لإسرائيل وإعلان الحرب بالوكالة على المسلمين في كل أصقاع العالم يمثل الوجه الحقيقي للعولمة ووسم الحركات التحررية بالإرهاب كحماس مثلا وهو من سياسة الكيل بمكيالين.

العولمة تسعى لتشجيع كل الحركات الدينية الهدامة والوقوف الى جانبها لأنها في نظرها تقضي على الإسلام الأصولي مثل البابية والبهائية والأحمدية وعبدة الشيطان لأن هذا أكبر تحد للخطاب الإسلامي في إحداث شرخ للمنظومة العقدية.

ولكي يصل الخطاب الإسلامي إلى تحديد منهجه في النظر إلى العولمة بانعكاساتها وتحدياتها لابد من رؤية استشرافية لتجاوز العولمة وما تحمله من سلبيات والاستفادة منها، لابد من:

1. التحصين الفكري والحضاري وتفعيل كل مؤسسات المجتمع وهذا لا يكون بإنشاء وتكوين منظومة أمنية معرفية وحضارية وما يتوافق وثوابت الأمة وقيمها الإسلامية.
2. بناء الإنسان قبل بناء الحضارة ومرجعية هذا البناء لا يكون إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة والاقتداء بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم والصالحين من بعده عن ذلك هو الاستثمار الحقيقي.
3. إحياء وبعث الجانب الروحي من الإنسان وعدم إغفال الجانب العقلي والمادي بالعودة إلى الإيمان بوجود الله وتوحيده حقيقة.

4. مراجعة الذات وإعادة بث الوعي وفق منهجية سليمة ليدرك دوره في الوجود ويحقق ما هو مطلوب منه.

5. إعادة بناء الرؤية المعرفية الإسلامية ولا يكون ذلك إلا بما يلي:

أ- تحرير المعرفة من القيم الغربية اللادينية وتخليصها من الفساد الذي لحق بها من المدنية الغربية.

ب- بناء العقل المنتج الذي يستطيع أن يبني المعرفة والحضارة بمفهومها الإنساني.

ج- الرجوع الى مصادر المعرفة الإسلامية والمتمثل في كتاب الله المسطور الذي يوافق كتابه المنظور.

د- بناء المعرفة وفق منهجية سليمة والمتمثلة في إسلامية المعرفة والتكامل بين العلوم والمعارف لتحقيق النهوض والإقلاع الحضاري المنشود.

مصدر المعرفة السليم والرؤية المنهجية السديدة تحقق نتائج سليمة وهي اداء الدور الريادي بالتدين السليم والصحيح والدفاع عن الدين وإحياء منظومة علم الكلام الجديد أمام رياح العولمة لإثبات الهوية الإسلامية العالمية وفق منهج سليم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن لنحقق بذلك دورنا في هذا الوجود وهو إقامة الدين في نفوسنا والدعوة إلى الله على بصيرة.وصياغة الخطاب العقدي أمر ضروري لتحقيق الأهداف الكلية إلى النهوض بالمجتمع الإسلامي ونتجه به صوب البناء الحضاري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرسة الآيات القرآنية

رقم سورة	السورة	رقم الآية	صفحة البحث	رقم الآية	صفحة البحث	رقم الآية	صفحة البحث
2	البقرة	11	164	30	52	109	39
		143	66-58	215	160	228	68
3	آل عمران	19	57	64	61	79	47
		85	57	101	50	185	70
		190	60				
4	النساء	1	54	33	42	65	64
		82	51	150-151	56	163	60
		174	61-48	174	164		
5	المائدة	1	43	3	65	8	55
		89	43				
6	الأنعام	98	151	145	163	162	64
		162-163	168				
7	الأعراف	172	67				
8	الأنفال	39	47				
9	التوبة	31	52				
10	يونس	57	48				
11	هود	61	53				
12	يوسف	39	50				

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

13	الرعد	11	59				
14	إبراهيم	1	52-48				
16	النحل	23	63	44	61	89	48
		90	51	103	106		
17	الإسراء	15	66	44	49	67	50
18	الكهف	107	70	110	60		
19	مريم	44	134	60	162		
21	الأنبياء	22	53	24	-53 164	25	50
		107	60-48				
22	الحج	10	54	13	-54 156	25	106
		54	-151 165				
23	المؤمنون	91	54				
25	الفرقان	44-43	158				
26	الشعراء	82-77	49				
27	النمل	14	58				
28	القصص	51	65	59	66		
29	العنكبوت	64	60				
30	الروم	30	49				
31	لقمان	08	70	21	160	25	50
33	الأحزاب	36	168	40	55	72	53
35	فاطر	24	66				

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

36	يس	40	57				
38	ص	20	41	72-71	158		
39	الزمر	16	63	29	50	53	63
41	فصلت	53	53-163				
42	الشورى	11	63				
43	الزخرف	19	163				
45	الجاثية	21	60				
46	الأحقاف	4	163	9	60		
49	الحجرات	10	54	13	54-156		
51	الذاريات	21	58	31	41	56	48
52	الطور	36-35	53				
53	النجم	28	160	42	47		
54	القمر	49	57				
55	الرحمن	5	57	9	57	37	9
59	الحشر	7	68				
62	الجمعة	5	53				
65	الطلاق	12	48				
88	الغاشية	20-17	62				
103	العصر	3	70				
112	الإخلاص	1					

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرسة الأحاديث النبوية:

ر	الراوي	نص الحديث	التخريج	ص
1	أَبو هُرَيرة	فَوالذي نَفْسي بيده، لا يُؤْمِن أَحدُكُمْ حتَّى أَكُونَ أَحبَّ إِلَيه من والده وولَده	صحيح البخاري	185
2	أَبو الدَّرداء	ما أَحلَّ اللهُ في كتابه فَهُو حَلالٌ، وما حرَّم فَهو حرام، وما سكَت عنه فَهو عفْو، فَاقْبلُوا من اللَّه عافيته	مسند البزار	189
3	أَبِي هريرة	الإِيمانُ بضْعٌ وستُّونَ شُعْبَةً، والحَياءُ شُعْبَةٌ من الإِيمان	صحيح البخاري	199
4	معاذ بن جبل	أَخبِرْهُمْ أَن افْتُرِض عَلَيْهِمْ صَدَقَةٌ تُؤْخَذُ من أَغْنيائهم لتُرَدَّ على فُقَرائهم	صحيح البخاري	187
5	حذيفةبن اليمان	لا تكونوا إمَّعة، تقولون :إن أحسن النَّاس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلَمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم، إن أحسن النَّاس أن تُحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا	رواه الترمذي	187
6	أبو سعيد الخدري	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن	رواه البخاري	187

فهرسة المصادر و المراجع:

- القرآن الكريم.
- إبراهيم، أبو بكر محمد، التكامل المعرفي وتطبيقاته،(المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة، ط1، 1425هـ، 2004م.
- أبركان أمال، ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية، ط1، 2012، دارالقلم، بيروت، لبنان.
- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الجيل بيروت
- ابن القيم، التفسير القيم، تحقيق، محمد حامد الفقي،1408 هـ. 1998 م، دار الفكر.
- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، ص 19، ط1 ،2000م، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1 ،141هـ. 1990م، دارالخير، بيروت.
- أحمد أنور سعيد أحمد الجندي، أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة، دارالاعتصام، بيروت.
- أحمد أنور سعيد أحمد الجندي،أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة،دار الاعتصام،بيروت
- أحمد بغدادي ، تجديد الفكر الديني، دعوة لاستخدام العقل، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، 1999.
- أحمد شبلي، الاستشراق تاريخه وأهدافه، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987)،
- إدوارد السعيد، الإسلام الأصولي، وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، بيروت، دار الجيل، ط1، 1990.

- إدوارد السعيد، الإسلام الأصولي، وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، بيروت، دار الجيل، ط1، 1990.

- إدوارد سعيد: "صدام الجهالات"، في: إدوارد سعيد (محرر)، إسرائيل والعراق والولايات المتحدة الأمريكية، (بيروت، دار الآداب، 2004).
- إدوارد سعيد، الإستشراق المعرفة السلطة الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980.
- إدوارد سعيد، الإستشراق المعرفة السلطة الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980
- إسماعيل صبري عبد الله، الكوكبة، الرأسمالية في مرحلة ما بعد الامبريالية في كتاب العرب وتحديات النظام العالمي، سلسلة كتب المستقبل العربي العدد: 16 مركز الدراسات الوحدة العربية.
- إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي المعاصر، طه جابر العلواني.
- الأمن الفكري ودور مؤسسات المغرب العربي في إرسائه، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2010
- أميمة عبد اللطيف: قراءة في تقرير الحريات الدينية الأمريكي: الحالة السعودية مثالا، العصر،22 فيفري2005
- الأمين الأندلسي، جدل المغرب حول تقليص التربية الإسلامية، التجديد العدد 90 جوان 2005
- أنور الجندي، موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، دار الأنصار، القاهرة 1979، مج
- باتر حمد علي وردم، العالم ليس للبيع، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط8، 2003.
- براهام طومسون: مقدمة تحديد موقع العولمة، المحلية الدولية للعلوم الاجتماعية كمصدر عن اليونسكو ع 160، جوان 1990.
- برهان غليون: سمير أمين، ثقافة العولمة وعولمة ثقافة ط2، 2002، دار الفكر، دمشق سوريا.

- بكر بن عبد الله بن بوزيد، الإبطال لنظرية الخلط بين الدين الإسلامي وغيره من الأديان، (الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1996).
- تيري ميسان (إعداد): فضائح التستر على حقائق الهجوم على البنتاغون، ترجمة زهير طالب، (بيروت، دار الصحاري، 2002
- جلبير الأشقر: صدام الهمجيات، ترجمة ميل داغر، (بيروت، دار الطليعة،2002).
- جيمس روزناو، ديناميكية العولمة، نحو صياغة علمية، قراءات إستراتيجية، القاهرة.
- حسن الصقار، الخطاب الإسلامي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى(2005).
- حيدر حميد الدهوي، العولمة والقيم ط2، 2008،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق.
- الخن، مصطفى، ومستو، محيي الدين، العقيدة الإسلامية، ط 4 ،1423 هـ . 2003 م، دار ابن كثير ،دمشق.
- دانيال ريغ، سبيل معجم (فرنسي، عربي)، مكتبة لاروس، باريس، 1983.
- رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم، المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا القاهرة، مكتبة الشروق،2001

الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تحقيق عبد الرزاق المهدي.
- الزنيدي، عبد الرحمان بن زيد، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر ط1 ، 1418 هـ، داراشبيلية، الرياض. 1998
- سعيد الكرواني، نحو تجديد الخطاب الديني تأسيس البنية النظرية وحق الاختلاف، ط1 ،2007 م، دار ابي رقراق ، المغرب
- سمارة إحسان عبد المنعم، مفاهيم أساسية في العقيدة الإسلامية، ط 2 ،1426 هـ . 2005 م، دار الكتاب الثقافي، أربد.
- الأشقر، عمر سليمان، العقيدة في الله، ط5 ،1414 هـ . 1984 م، مكتبة الفلاح، الكويت.

- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق محمد سيدكيلاني، ج1، 1404 هـ، دار المعرفة بيروت.
- صادق جلال العظم، ما العولمة؟ دار الفكر المعاصر، دمشق سوريا، 1999.
- عبد الإله بلقزيز: العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟ في كتاب العرب والعولمة.
- عبد الخالق عبد الله، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، عالم الفكر ع 22، 1999.
- عبد الرحمان بدوي، الإلحاد في الإسلام، ط1، د ت، الناشر مطبعة وهبة، القاهرة، مصر
- عبد الرحمـن بن شريط، الدولة الوطنية بين متطلبات السيادة وتحديات العولمة،كنوز الحكمة، 2011، الجزائر.
- عبد الصبور شاهين، نحن والعولمة، من يزل الآخر ، وزارة المعارف، الرياض.
- عبد الكريم بكار، العولمة (طبيعتها، وسائلها تحدياتها التعامل معها).ط1، 2008م ، دار الرعي، الكويت.
- عبد الله موسى، رؤيتنا الثقافية وتحديات العولمة، مجلة النبأ، عدد 59، 2001/1422م.
- عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة ط 3، 2000.
- عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة.ط 2 ،2010م،دار الفكر،دمشق.
- عزمي بشارة: الانتفاضة والمجتمع الإسرائيلي: تحليل في خضم الأحداث، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2002).
- العلي أحمد عبد الله، العولمة والتربية، دار الكتاب الحديث، الكويت، 2002.
- علي بن محمد، معركة المصير والهوية في المنظومة التربوية. (الجزائر، دار الأمة،2001).
- عمر عبيد حسنة، قوة الثقافة .. لا ثقافة القوة، (المكتب الإسلامي، 2004م)
- عمر عبيد حسنة، قوة الثقافة لا ثقافة القوة، المكتب الإسلامي، ط 1، 2004.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ت: حسي أحمد أمين، ط1، 1993 مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.
- فؤاد عبد الكريم،الأسرة والعولمة، مجلة البيان، العالم الإسلامي تحديات الواقع وإستراتيجية المستقبل ط1، 2006.
- فوزي طه إبراهيم: المناهج المعاصرة، (الاسكندرية، منشأة المعارف، 2003)
- القرضاوي يوسف، الخصائص العامة للإسلام ط3، 1406 هـ. 1986م،مكتبة وهبة.
- لسان العرب لابن منظور، طبعة يوسف الخياط، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت 19.
- مازن بن صلاح المطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس،(الرياض مكتبة الملك فهد الوطنية، 1995).
- محمد أحمد منصور: مناهج التعليم وخطيئة التبديل"، علم الفكر، العدد4، أكتوبر2003
- محمد السيد الجنديد، الاستشراق والتبشير (سلسلة تصحيح المفاهيم القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.
- محمد أيوب، السمعيات: معناها–مصدرها، الطبعة الخامسة، بيروت–لبنان.
- محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي، القاموس المحيط.-أحمد الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العصرية، بيروت 1996.
- محمد بن شاكر الشريف، تجديد الخطاب الديني،2004،ط 1، الرياض.
- محمد بن مهنا آل علي، أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري، الرياض، دار المؤيد، ط1، 1998.
- محمد حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (قطر، كتاب الأمة، 1982)
- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، عشر أطروحات، رحلة المستقبل العربي، 22 فيفري 1998.
- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 جوان

- محمد محفوظ، اللقاء على أمل، مجلة النبأ، العدد 11، جمادى الثانية (1422هـ)، إيلول (2001م).
- محمد معوض ابراهيم، المشكلات الإعلامية في برامج التلفزيون الخليجي الموجهة للأطفال، مجلة المنهل، ع 587، رجب 1424هـ.
- ملكاوي، محمد أحمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ط 1412هـ 1992 م، دار ابن تيمية،الرياض.
- الموسوعة السياسية، إشراف د. عبد الوهاب الكيالي وكامل الزهيدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 1974.
- نايف علي عبيد، العولمة مشاهد وتساؤلات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، 2001،
- نذير حمدان: الرسول في كتابات المستشرقين، (جدة، دار الأصفهاني، 1984).
- نيكوهيرت،"هل سيتحول التعليم إلى بضاعة؟"، المنظمة، العدد85، جوان2005،
- هاني لبيب، العولمة وقضية الحماية الدينية في مصر، في: سمير أمين وآخرون، المجتمع والاقتصاد أمام العولمة، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004، ط1

الأطروحات الجامعية:

- بن يعقوب فازية، الخطاب الثقافي للعولمة وتأثيره على الثقافة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير نوقشت بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، سنة 2002م.
- حمروني الكيسة، آثار العولمة على التربية، رسالة ماجستيرنوقشت بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، سنة 2010م.حموم فريدة، الأمن الإنساني في ظل عولمة القيم، رسالة دكتوراه نوقشت بكلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، سنة 2010م.
- الرميح ماجد بن علي، العولمة دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الملك سعود، الرياض المملكة العربية السعودية، سنة 1422هـ.لم أطلع عليها.

- زهير سعد عباس، ظاهرة العولمة وتأثيراتها في الثقافة العربية، رسالة ماجستير نوقشت بالأكاديمية العربية المفتوحة، كلية القانون والسياسة، الدنمارك، سنة 2008م
- صفية نزاري، الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي، رسالة ماجستير مخطوطة جامعة باتنة2010 2011م.
- صورية فرج الله، الإصلاحات التربوية في الجزائر في ظل العولمة، ماجستيرنوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة محمد خيضر بسكرة، سنة 2006م.
- عبد القادر تومي، الأسس الفلسفية للعولمة الاقتصادية، رسالة دكتوراه نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر.
- العطري بن عزوز، الدرس العقدي ودوره في التكامل المعرفي، رسالة دكتوراه مخطوطة ،نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة ،عام 2017 م.
- مبارك بن نزال بن مبارك الصغيري العنزي، العولمة في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، سنة 2007م.
- محمد جعرير، الخصوصية الثقافية والعولمة، رسالة ماجستيرنوقشت بقسم الفلسفة، جامعة الجزائر (2)بوزريعة،سنة 2009م.
- نعيمة غالية، تداعيات منظومة القيم الغربية الاستشراقية على المنطقة العربية في ظل استراتيجيات العولمة الثقافية،رسالة دكتوراه نوقشت بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر،سنة 2007/2006م.
- هند مولاي، عولمة حقوق الإنسان، رسالة ماجستير نوقشت بقسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، سنة 2008م.
- وسيلة شريد،آثار العولمة على الهوية الثقافية لدول العالم الثالث، رسالة ماجستير نوقشت بكلية الحقوق، جامعة يحي فارس المدية، سنة 2009م.
- يسمينة حماش، إعلام العولمة وانعكاساته على الثقافة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير نوقشت بقسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، سنة 2007م.

الدوريات:

- أحمد محمد زايد، مقال بعنوان بنية الخطاب الإسلامي – دراسة في المضمون والوظيفة-دار النشر: جامعة قطر، كلية الشريعة، سنة النشر(1438هـ-2016م).
- أحمد مصطفى عمر، إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، المستقبل المعرفي العدد 256 السنة الثالثة والعشرون، 2000.
- أحمد محمد زايد، بنية الخطاب الإسلامي – دراسة في المضمون والوظيفة.
- أحمد مصطفى عمر، إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك، المستقبل المعرفي العدد 256 السنة الثالثة والعشرون، 2000.
- الأمن الفكري ودور مؤسسات المغرب العربي في إرسائه، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر، 2010.
- الخطاب الاستشراقي في أفق العولمة، يوم دراسي، إعداد مصطفى سلوى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، رقم76، سلسلة25.
- السيد ولدباه: العولمة والاقتصاد في النظرية الاختزالية للإسلام، جريدة الاتحاد 1997/05/17م.
- الأمين الأندلسي، جدل المغرب حول تقليص التربية الإسلامية، التجديد العدد 90 جوان 2005.
- الحبيب الجنحاني: ظاهرة العولمة، الواقع والآفاق، مجلة علم الفكر، م28، ع2، 1998.
- السيد ياسين، (في مفهوم العولمة)، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ع: 288، 1998.
- المجلة العربية للثقافة (إعداد)"هل مدرسة المستقبل في الوطن العربي: إعلان دمشق"، العدد المجلد،20 ديسمبر.

الصادق المهدي، الإسلام والنظام العالمي الجديد نشر: دائرة الإعلام الخارجي في حزب الأمة السوداني، سلسلة آفاق جديدة (2) بدون تاريخ.

- حسين معلوم:"الإستراتيجية الأمريكية في وسط آسيا الواقع والآفاق"السياسة الدولية، العدد 147، يناير 2002.

- رشدي شحاتة، مسؤولية الإعلام الإسلامي في ظل نظام العالم الجديد، دار الفكر القاهرة 1999
- رضوان السيد، من الاختلاف إلى الصراع، الخطابات الأمريكية والعربية بعد 11سبتمبر"، الاجتهاد العدد 54، ربيع 2002.
-رعد توفيق صالح البياتي، أثر البعد الديني من الإعلام الأمريكي العولمي الجديد، مجلة المتنصرية للدراسات العربية العربية والدولية، ع 37، الجامعة العراقية.
-صالح بن سليمان بن صالح العمرو، تحديات العولمة الثقافية ودور التربية الإسلامية في مواجهتها، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية، مج 4 ع 8، محرم 1433هـ يناير 2012م.
-عبد الله موسى، رؤيتنا الثقافية وتحديات العولمة، مجلة النبأ، عدد 59، 2001/1422 م.
الحوار بين الحضارات وقضايا العصر: العولمة وآثارها على الخصوصيات الثقافية، الاجتهاد، العدد 53/52).
- مجلة البيان، العدد 314، شوال (1434هـ) -أغسطس، سبتمبر (2013م).
- محمد إسماعيل مصطفى: "حوار الأديان هدف نبيل أو فخ للمسلمين؟"، مجلة عقيدتي، العدد13، ديسمبر1994
- محمد معوض ابراهيم، المشكلات الإعلامية في برامج التلفزيون الخليجي الموجهة للأطفال، مجلة المنهل، ع 587، رجب 1424هـ.
- رئاسة التحرير: " الخارجية الأمريكية تتبنى مبدأ كنيسة مقابل جامع "، رسالة الأطلس، العدد843، 11-17 جانفي 2004.
- ريتا عوض،صورة العرب والاسلام في الغرب، كيف يعاد تشكيلها، شؤون عربية،العدد109،ربيع
- 2002 فؤاد بن عبد الكريم، قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية دراسة نقدية في ضوء الإسلام. مجلة علوم وتكنولوجيا، ع 49، ديسمبر 1997.

المواقع الالكترونية:

- خليل عماد الدين، تحديات النظام العالمي الجديد، موقع الإسلام على الطريق، شبكة المعلومات الدولية www.islamonline.net/Arabi

- شبكة المعلومات الدوليةwww.islamonline.net/Arabi

- عبدة إبليس،www.palestinianforunm.net

- عبدة الشيطان، www.islamweb.net

- محمد مهاتير، الإسلام والعولمة، ترجمة صهيب جاسم كوالالامبور، موقع الإسلام على الطريق،

- ناصر بن سليمان، آثار أخرى للعولمة الثقافية، موقع www.almoslim.net على شبكة المعلومات الدولية.

مراجع باللغة الأجنبية:

- Anne Hsoukhanou «encarka-world englishdictionarg first edition stmartin's (Newyork) 1999.

- Jean-Pierre Warine, La mondialisation de la culture, Editions la découverte (Gosllectionepéres) Paris.

- Le Monde " Civilisations en guerre" Ignacio Ramonet diplomatique, N495 ? Juin 1995

- Ronld Robertson ; Globalisation Social heory and global culture, London Sage, 1992,

فهرس الموضوعات

البسملة.....

الإهداء.....

الشكر والثناء.....

المقدمة.....أ

موضوع البحث وأهميته.....أ

إشكالية الموضوع.....ب

أسباب اختيار الموضوع.....ج

أهداف الدراسة.....ج

الدراسات السابقة.....د

المنهج والمنهجية.....و

خطة الدراسة.....ز

الصعوبات.....ك

الفصل الأول: العولمة البناء المفاهيمي والأصول المعرفية.....13

المبحث الأول: العولمة (المفهوم، المضمون...).....13

المطلب الأول: تعريف العولمة.....13

الفرع الثاني: المفهوم الاصطلاحي للعولمة.....14

المفهوم الاصطلاحي عند بعض المفكرين العرب.....15

المفهوم الاصطلاحي عند بعض المفكرين الغربيين.....15

المفهوم الاصطلاحي عند بعض الهيئات الدولية.....18

المطلب الثاني: قراءة تحليلية نقديةفي التعاريف السابقة.....20

المطلب الثالث: العوامل المساعدة على تأسيس مضمون مصطلح العولمة.....21

المبحث الثاني: مضمون العولمة (الجذور، المصادر، الوسائل).....23

المطلب الأول: جذور العولمة ونشأتها.....24

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: مصادر العولمة 24
الفرع الأول: النفعية 29
الفرع الثاني: الأمركة 29
المطلب الثالث: وسائل العولمة..... 30
المبحث الثالث: أطروحات العولمة 33
المطلب الأول: صدام الحضارات 37
المطلب الثاني: نهاية التاريخ..... 40
المطلب الثالث: الحوار بين الأديان 42
الفصل الثاني: الخطاب العقدي..... 46
المبحث الأول: ماهية الخطاب العقدي..... 46
المطلب الأول: تعريف الخطاب 46
الفرع الأول: لغة 46
الفرع الثاني: اصطلاحا..... 46
المطلب الثاني:تعريف العقيدة 46
الفرع الأول: لغة 46
الفرع الثاني: اشتقاقات كلمة العقيدة في استخدام القرآن والسنة..... 46
الفرع الثالث: العقيد في الاصطلاح العام..... 50
المطلب الثالث: منطلقات الخطاب العقدي (أسس الخطاب)..... 52
الفرع الأول: المنطلق النقلي 52
الفرع الثاني: المنطلق العقلي..... 52
المبحث الثاني: خصائص الخطاب العقدي 53
المطلب الأول: الربانية 53
المطلب الثاني: الإنسانية..... 59
المطلب الثالث: الشمول 63
المطلب الرابع: الوسطية 66

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الخامس: الواقعية 69
المبحث الثالث: موضوع الخطاب العقدي 72
المطلب الأول: الألوهية 75
المطلب الثاني: النبوات 79
المطلب الثالث: السمعيات 82
المبحث الرابع:الوظيفة الحضارية للإنسان في الحياة 85
المطلب الأول: الإنسان والحياة 85
المطلب الثاني: الوظيفة الحضارية .....
الفصل الثالث: انعكاسات العولمة على الخطاب العقدي 88
المبحث الأول: الانعكاسات في المجال السياسي 88
المطلب الأول: الأحادية القطبية وبروز النظام العالمي الجديد 88
المطلب الثالث: واقع الخطاب العقدي في ظل الوضع السياسي الراهن 90
المبحث الثاني: الانعكاسات في مجال التربية 92
المطلب الأول: مفهوم التربية 93
المطلب الثاني: أسس التربية 93
المطلب الثالث: بعض نماذج التغيير في بعض المنظومات التربوية العربية 95
المطلب الرابع: العولمة وأثرها على الثقافة والأفكار 95
الفرع الأول: العولمة وأثرها على الثقافة 95
- عولمة الثقافة 92
- عولمة المثقفين 92
الفرع الثاني: الصراع الفكري 95
المبحث الثالث: انعكاسات العولمة في المجال الإعلامي 97
المطلب الأول: مفهوم الإعلام 103
المطلب الثاني: انعكاسات العولمة الإعلامية 103
المطلب الثالث: واقع الخطاب الديني في القنوات العربية والإسلامية 105

المبحث الرابع: انعكاسات العولمة على القيم والمجتمع..... 107
المطلب الأول: مفهوم القيم الاجتماعية 109
المطلب الثاني: العولمة والقيم 109
المطلب الثالث: انعكاسات منظومة القيم المعولمة على المجتمع 111
الفصل الرابع: التحديات التي تواجه الخطاب العقدي..... 114
المبحث الأول: التحديات الفكرية الفلسفية 117
المطلب الأول: العلمانية..... 117
المطلب الثاني: المادية 117
المطلب الثالث: الاستشراف..... 120
الفرع الأول: المفهوم اللغوي 123
الفرع الثاني: المفهوم الاصطلاحي 123
الفرع الثالث: الاستشراق المعولم 124
الفرع الرابع:المستشرقون الجدد..... 124
المطلب الرابع: الإلحاد..... 124
الفرع الأول: تعريف الالحاد..... 127
الفرع الثاني:التيار الالحادي واثره على المشهد الديني 127
المبحث الثاني: الامتداد اليهودي المسيحي:..... 128
المطلب الأول: التواجد اليهودي..... 130
المطلب الثاني: التنصير 130
الفرع الأول :تعريف التنصير 132
الفرع الثاني:حملات التنصير..... 132
المطلب الثالث: التحالف اليهودي البروتستانتي..... 136
المبحث الثالث: تحد القاديانية والبابية والبهائية..... 145
المطلب الأول:تعريف القاديانية..... 150
المطلب الثاني:أسباب اتشار القاديانية.....

المطلب الثالث:البابية والبهائية 152
الفرع الأول: التعريف بالبابية والبهائية..... 155
الفرع الثاني:تواجد البهائية 155
المبحث الرابع:عبدة الشيطان وتأثيرهاعلى المجتمع..... 156
المطلب الأول:التعريف بعبادة الشيطان..... 158
المطلب الثاني: عبادة الشيطان حديثا 158
الفرع الأول: التأسيس 160
الفرع الثاني: الأصول الفكرية والفلسفية 163
الفرع الثالث: العبادات والطقوس..... 166
المطلب الثالث:انتشار عبدة الشيطان في الوطن العربي 167
الفصل الخامس: آليات حماية وتفعيل الخطاب العقدي بين التحصين والمراجعة.....
المبحث الأول: الأمن الفكري والتحصين الحضاري..... 176
المطلب الأول: مفهوم الأمن الفكري 176
المطلب الثاني: مؤسسات الأمن الفكري 178
الأسرة 178
المدرسة 179
المسجد 181
المبحث الثاني: الاستثمار في الإنسان..... 183
المطلب الأول: إعادة بناء الإنسان..... 183
المطلب الثاني: التمكين لروحانية الإنسان وعدم إهمال المادية..... 187
المطلب الثالث: مراجعة الذات وإعادة بعث الوعي 189
المبحث الثالث: إعادة بناء الرؤية المعرفية الإسلامية..... 191
المطلب الأول: مصادر المعرفة..... 191
المطلب الثاني: المنهجية المعرفية "إسلامية المعرفة" أنموذجا 195
مفهوم إسلامية المعرفة..... 195

أهداف أسلمة المعرفة 196
المعرفة بين الأسلمة والتكامل لتحقيق النهوض المنشود 197
المطلب الثالث: تحديد علم الكلام دوره الدفاعي 200
الخاتمة..... 205
الفهارس .....
فهرس الآيات..... 211
فهرس الأحاديث..... 214
فهرسة المصادر والمراجع..... 215
فهرس الموضوعات..... 226
ملخص بالعربية 230
ملخص بالإنجليزية..... 232

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الرسالة باللغة العربية

ملخص باللغة الإنجليزية (Abstract)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الرسالة:

تتناول هذه الدراسة موضوعا عصريا مهمايتعلق بتحديات العولمة وانعكاساتها على الخطاب العقدي الإسلامي، وهي تهدف إلى التعرف على أبرزتحديات العولمة وتأثير ذلك على مسار الخطاب الديني ودور هذا الأخير في تفعيل آليات الحماية والتحصين ومراجعة الذات من أجل المواجهة والثبات أمام رياح العولمة العاتية، ولقد تم عرض مفردات هذه الدراسة وفق منهجية ورؤية واضحة وصورة شاملة لحيثيات هذه الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وهي كالاتي:

حيث تبدأ الدراسة في الفصل الأول بعرض مفهوم العولمة والأصول المعرفية فكان المبحث الأول يتناول تعريف العولمة في الجانب اللغوي وفي الفرع التالي المفهوم الاصطلاحي للعولمة وبعد ذلك العوامل المساعدة على تأسيس مضمونالعولمةوفي المبحث الثاني: فهو يشمل مضمون العولمة من حيث الجذور والمصادر والوسائل.وختم الفصل بالأطروحات الفكرية والحضارية التي جاءت بها العولمة والمتمثلة في أطروحة صدام الحضارات ونهاية التاريخ والحوار بين الأديان.

أما الفصل الثاني كان بعنوان الخطاب العقدي،فالمبحث الأول تناول ماهية الخطاب العقدي من حيث تعريف كل من الخطاب والعقيدة واشتقاقات هذه الأخيرة من القرآن والسنة وختم المبحث بالمنطلقات وأسس الخطاب العقدي والمتمثلة في المنطلق النقلي والمنطلق العقلي.أما المبحث الثاني فهو يتناول خصائص الخطاب العقدي وهي تشمل الربانية، الإنسانية، الشمول، الوسطية، الواقعية، والوضوح.والمبحث الثالث فهو يشتمل على موضوع الخطاب العقدي والذي يحوي على المحاور الكبرى للعقيدة وهي الإلهيات والنبوات والسمعيات.وأما المبحث الرابع فجاء يبين وظيفة الإنسان في هذه الحياة ويبين وظيفته الحضارية في إرساء والتأسيس للقيام بالخلافة المنوطة به ودوره في عالم الشهادة وتفاعله مع الكون والحياة وإحياء لعلاقته مع الله.

أما الفصل الثالث: فيظهر انعكاسات العولمة على الخطاب في مجالات السياسة والتربية والجانب الإعلامي وانعكاس العولمة على منظومة القيم في المجتمع.

وتناولت في الفصل الرابع: التحديات المصاحبة للعولمة التي تواجه الخطاب العقدي فكان المبحث الأول يتناول التحديات الفكرية والفلسفية والتي تشمل العلمانية والمادية والاستشراق والإلحاد.

وفي المبحث الثاني الامتداد اليهودي والمسيحي والمتمثل في التواجد اليهودي وتأثيره على العالم الإسلامي والعربي وتهويد الأقصى والتنصير وما يقوم به من إخراج وإبعاد الناس عن دينهم وكذلك التحالف بين الجانب اليهودي والبروتستانتي وهذه المؤامرة الكبرى ضد الإسلام والمسلمين ومحاولة إقصائه حضاريا. وفي المبحث الأخير من هذا الفصل نذكر تحد آخر له تأثير كبير على الخطاب العقدي والمتمثل في بعض الفرق المحسوب على الإسلام والتي هي في خدمة الامبريالية الاستعمارية والمتمثلة في القاديانية والبابية والبهائيةحيث تسعى لخدمة وتطويع الدينلإرضاء هذه القوى الاستعمارية وما يتماشى وأطماعها في قهر وإذلال الأمم واستنزاف طاقاتها وكذلك فرقة عبدة الشيطان هذه الأخيرة والتي تعد امتداد للماسونية العالمية وانتشارها في أوساط الأمة وتأثير ذلك على البنية الفكرية.

وتناولت في الفصل الخامس الرؤية الاستشرافية التي يتجاوز فيها الخطاب الديني تحديات العولمة وانعكاساتها وآليات التفعيل والحماية أمام تأثيرات العولمة ليراجع منهجيته ويتحصن فكريا وحضاريا ويحدث نهضة حضارية ويستعيد مقوماته المسلوبة ويظهر ويثبت في الواجهة لذلك لابد من تفعيل أساسيات الأمن الفكري على كل المستويات وفي كل المؤسسات ليتحصن أحسن وأفضل ليثبت الهوية الحضارية للأمة ويستفيد من بعض إيجابيات العولمة ويتفادى أضرارها وسلبياتها، ولا يحدث هذا التحصين إلابالاستثمار في الإنسان وهو ما تطرقنا له في المبحث الثاني بإعادةبناء الإنسان فكريا وحضاريا بالتمكين للروحانية ومراجعة لذات وإعادة بعث الوعي الحقيقي وهذا لا يكون إلا وفق رؤية معرفية إسلامية في مصادرها المعرفية، وفي المنهجية السلمية بأسلمة المعارف لتحقيق الأهداف السامية وتحقيق النهوض المنشود وبذلك يتجدد الوعي وتتحدد الرؤيا وتتكامل المنظومة الحضارية للأمة للمرافعة

السلمية والدفاع عن حياض الإسلام ولا يكون ذلك إلا بتجديد علم الكلام وتفعيله وفق المعطىالحاضر ليؤدي الخطاب العقدي وظيفته داخل مجتمعالمسلمين وخارجهبالدعوة إلى الله.

وفي الأخير جاءت الخاتمة متضمنة لنتائج البحث التي توصلنا إليها من خلال الفصول الخمسة من الدراسة مع ذكر بعض التوصيات وأهم المقترحات.

وعقب الخاتمة وضعت فهرس للآيات مرتب حسب ترتيب المصحف وفهرس الأحاديث مرتب حسب ترتيب الحروف(أبجدهوز)، وفهرس المصادر والمراجع وملخص للدراسة بالعربية وآخر باللغة الإنجليزية وفهرس المحتويات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Abstract:

This study deals with the challenges of globalization and its implications for the Islamicdiscourse in the field of faith. It aims to identify the mostimportant challenges of globalization and their impact on the path of religiousdiscourse and the role of the latter in activating the mechanisms of protection for confrontation and stability in the face of strongattacks of globalization,The axes of thisstudywerepresentedaccording to a methodology, a clear vision and a comprehensivepicture in : an introduction, five chapters and a conclusion;These are as follows:Where the studybegins in the first chapter by presenting the concept of globalization and itsknowledgeassets,The first topic deals with the definition of globalization in the linguistic aspect and the conventional concept, and then the factorsthat help to establish the content of globalization, while the second section includes the content of globalization in terms of roots and sources and means.The chapter ends with the intellectual and civilizationalideaspresented by globalization, represented in the thesis of the clash of civilizations, the end of history and the dialogue between religions.

The second chapterisentitleddoctrinal speech, in his first treatise; wediscussed the meaning of the doctrinal discourse in terms of the definition of both the discourse and the doctrine and itsderivatives of the Qur'an and Sunnah.

The second section deals with the characteristics of the doctrinal discourse and itincludes the Lordliness, humanity, inclusiveness, mediocrity, realism and clarity. The thirdtopicincludes the subject of the doctrinal discourse, whichcontains the main axes of the doctrine. And the fourthtopicis to show the function of man in this life and shows hiscivilizationalfunction in establishing and establishing to carry out his succession and hisrole in the world of martyrdom and its interaction with the universe and life and the revival of itsrelationshipwithGod.

The thirdchapter shows the implications of globalization on the discourse in the fields of politics, education and the media and the reflection of globalization on the value system in society.

The fourthchapter deals with the challenges associatedwithglobalizationfacing the doctrinal discourse. The first topic deals withintellectual and philosophical challenges thatincludesecularism, materialism, orientalism and atheism. The second part deals with the Jewish and Christian expansion of the Jewishpresence and its influence on the Islamic and Arab world, judaization of al-Aqsa and al-Nasir and whatitdoes to remove people fromtheir religion, as well as the alliance between the Jewish and the Protestant sides.In the last part of thischapter, we mention another challenge that has a great influence on the doctrinal discourse, whichisrepresented by some of the sectsthat are based on Islam and which are in the service of colonial imperialismrepresented in Qadianiyya, Babylonian and Baha'i, wheretheyseek to serve and adapt religion to satisfythese colonial powers and in line withtheir ambitions to conquer and humiliate the nations As well as the latter, whichis an extension of the global Masonicism and itsspreadamong the nation and its impact on the intellectual structure.

The fifthchapterdiscusses the forward-looking aspect in which the religiousdiscoursetranscends the challenges of globalization and its implications and the mechanisms of activation and protection against the effects of globalization to reviewitsmethodology and fortifies intellectually and civilizedly and rejuvenatescivilization and restores itsstolenelements and shows and stands in the forefront. Therefore, the fundamentals of intellectualsecurity must beactivatedat all levels and in all institutions. And better to prove the civilizationalidentity of the nation and benefitfromsome of the advantages of globalization and avoid the damage and disadvantages, and does not happenthisimmunizationonly by investing in human, whichwediscussed in the second section of the reconstruction of humanintellectual and cultural And in the peacefulmethodology of Islamization of knowledge to achieve the lofty goals and achieve the desiredadvancement. Thus, the awareness of the vision and the integration of the civilizational system of the Ummah for peacefuladvocacy and defense of the neutralization of Islam willberenewed. To renew the science of speech and activateit in

accordance with the present to lead the discourseAqdifunctionwithin the Muslimcommunity and outside the call to God.

Finally, the conclusion included the results of ourresearchthrough the five chapters of the studywithsomerecommendations and the main proposals.

After the conclusion, we put together a picture, some data, a catalog of the verses arranged according to the order of the Koran, and the index of the Ahaadeetharrangedalphabetically, the index of sources and references, a summary of the study in Arabic and another in English and the index of contents

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Democratic People 's Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research

rsity of Islamic Sciences Emir Abdelkader -Constantine-

Faculty of Fundamentals of Religion

Department of faith and the comparison of religions

The Challenges of Globalization and its Implications for the Islamic Doctrinal discourse

A thesis submittedin partial fulfilment of the requierments for the degree of ph. d. of science indoctrine

Student preparation:

Chergui Khairuddine

Under the supervision of:

Dr. Barama Hassan

Jury Members

P. Aliwan Said	Presient	**Amir University-Constantine**
Dr. Barama Hassan	Supervisor	**Amir University-Constantine**
Dr. Filali Laila	Examiner	**Amir University-Constantine**
P. Chidakh Hadjiba	Examiner	**Hadj Lakhdar University-Batna**
P. Rahmani Said	Examiner	**M'sila University-M'sila**
P. Ben Missi Monia	Examiner	**High school teachers - Constantine**

University year: 2017 -2018